مجلة بحوث

العدد العشرون

رمضان ١٤٣٩ هـ - حزيران/يونيو ٢٠١٨ م

مجلة بحوث

مجلّة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للبحوث والدراسات والاستشارات

ISSN 2313-1004

مقالات علميّة محكّمة

رئيس مجلس الإدارة

الشيخة ميسون القاسمي

المدير العام: د. ناصر الفضلي

نائب المدير العام: د. حفصة الفريب

رئيس التحرير: د. عبد الملك الدناني

مدير التحرير: د. محمد عبد العزيز

LONDON

+442033044839

Hot Line

+447766666016

conference@scrlondon.com

info@scrlondon.com

www.scrlondon.com

المجلة ضمن تصنيف EBSCO HOST

معامل التأثير رقم 1.5 - 247

@scrlondon2 @scrlondon SCR London

هيئة التحرير

د. ناصر الفضلي
المدير العام

د. محمد عبد العزيز
مدير التّحرير

د. عبد الملك الدناني
رئيس التّحرير

أ. د.شبير الحرازي
نائب رئيس التحرير

د. وسن الصالح
مدير التدقيق

د. ثناء عبد الودود

د. محمد شرف

د. مـــازن الخيــرو

د. حنان عبيد

أ. محمد الصوابي

أ. إســـلام العــزيز

مجلة بحوث

بحـوث

مجلّة علمية محكمة ربع سنوية

تصدر عن مركز لندن للاستشارات والبحوث

العدد العشرون

(رمضان ١٤٣٩ هـ - حزيران/يونيو ٢٠١٨ م)

هيئة التحرير

المدير العام

د. ناصر الفضلي

رئيس التحرير

د. عبد الملك الدناني

نائب رئيس التحرير

أ. د.شبير الحرازي

مدير التّحرير

د. محمد عبد العزيز

مدير التدقيق

د. وسن الصالح

مدير الموقع

أ. محمد الصوابي

باحثو التحرير

د. مازن الخيرو
العراق

د. حنـان عبيـد
الأردن

د. ثناء عبد الودود
العراق

د. محمد شرف
اليمن

مواقع التواصل

أ. إسـلام العـزيز

الهيئة العلمية الاستشارية ٢٠١٨

د. إنعام يوسف محمد (رئيس الهيئة)/مصر
أستاذ مساعد، جامعة عجمان

أ.د. محمد عبد الكريم محافظة/الأردن
عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية

أ.د. شبير عبد الله الحرازي/اليمن
رئيس جامعة العلوم الحديثة

أ.د. مزنة بنت حزام الشمري/السعودية
أستاذ هندسة الحاسب الآلي
kings college London

أ.د. علا عبد المنعم الزيات/مصر
أستاذ علم الاجتماع، جامعة المنوفية

أ.د. ألفت ابراهيم جاد الرب/مصر
عميد كلية التجارة، جامعة الأزهر

أ.د. محمد أحمد الدوماني/ليبيا
أستاذ الفلسفة وعلم الاجتماع، جامعة المرقب

أ.د. لطيفة إسماعيل قاسم/اليمن
أستاذ الاقتصاد، جامعة صنعاء

أ.د. يعقوب الكندري/الكويت
أستاذ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، جامعة الكويت

أ.د. أحمد عودة سعود القرارعة/الأردن
أستاذ علوم تربوية، جامعة الطفيلة

د. بدرية بنت محمد العتيبي/ السعودية
أستاذ علم الاجتماع المشارك، جامعة الإمام محمد بن سعود

د. وسن صالح حسين الحياني/العراق
أستاذ مساعد اللغة العربية، جامعة بغداد

د. شومة بنت محمد بن مساعد الفاضلي/السعودية
أستاذ البلاغة والنقد، جامعة تبوك

د. عبد الملك ردمان الدناني/اليمن
أستاذ الاتصال المشارك، جامعة الإمارات للتكنولوجيا

د. سعاد مطر/فرنسا
أستاذ الإعلام والاتصال، جامعة العين

د. نجاح حميد صنقور/البحرين
أستاذ محاضر وباحث أكاديمي

د. جميلة سليماني/الجزائر
أستاذ محاضر علم النفس، جامعة الجزائر 2

د. مازن موفق الخيرو/العراق
أستاذ مساعد البلاغة القرآنية، جامعة الموصل

د. عماد مطير الشمري/العراق
تاريخ وجغرافية، المستنصرية/الجامعة

د. أسماء جابر علي مهران/مصر
أستاذ مساعد علم اجتماع، جامعة أسيوط

د. ربيع عبد الرؤوف عامر/مصر
أستاذ مساعد التربية الخاصة، جامعة الملك خالد (السعودية)

د. هنادي الحملي/الكويت
محاضر غير متفرغ كلية الدراسات التجارية التعليم التطبيقي

د. إبراهيم الخضر/السودان
عميد كلية التربية، جامعة إفريقيا العالمية

د. نهى بنت سعيد أسعد نقيطي/السعودية
أستاذ مشارك تصميم وفنون، جامعة الملك عبد العزيز

د. فواز موفق ذنون/العراق
مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل

د. مهرة آل مالك/الإمارات
استشاري علم نفس، جامعة عجمان

د. محمد شرف محمد هاشم/ اليمن
عضو هيئة تدريس، منتدب جامعة الكويت

د. ثناء عبد الودود عبد الحافظ/العراق
أستاذ مساعد علم نفس تربوي، جامعة بغداد

Dr. Alexander c.m d
PhD in theology at the University of Birmingham, UK/Birmingham

Dr Anita moors
London research center.Uk/London

@scrlondon2
@scrlondon
SCR London

http//www.scrlondon.com
http//www.scr-magazine.com

conference@scrlondon.com
info@scrlondon.com

قواعد وضوابط النشر

١ . يجب ألا تزيد مساحة النشر عن ستة آلاف كلمة للبحث شاملة المراجع.

٢ . يعد ملخصان للبحث: أحدهما باللغة العربية والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة، ويلي الملخصين كلمات مفتاحية (Words Key) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث) للتعبير عن المجالات التي يتناولها البحث لتستعمل في الكشف.

٣ . استخدام طريقة (APA) لتوثيق مراجع البحث العلمي لتعزيز الأمانة العلمية للباحث، كما يجب أن تتضمن المنهجية مشكلة البحث، أهدافه، محدداته –حال وجودها– والدراسات السابقة، الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.

٤. يراعى عند تكرار المصدر في صفحة ثانية من البحث أن يذكر فقط اسم المصدر ورقم الصفحة أو رقم الصفحة والجزء إذا كان الكتاب أجزاء.

٥. اعتماد أقواس التنصيص الصغيرة " " في حال نقل الكلام من المصدر نصاً، أما إذا تصرف البحث بالكلام المنقول فلا يوضع الكلام بين أقواس ويكتب في الهامش كلمة «ينظر» قبل اسم المصدر.

٦. تكون صيغة الملف المرسل على طريقتين -PDF- و - WORD- ونوع الخط في المتن للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (١٤) وللإنجليزية حجم الخط (١١) ونوعه (Times New Roman) على أن تكون العناوين الرئيسة حجم ١٨ والهامش ١٢، وهوامش الصفحة ٢,٥ سم، والمسافة بين الأسطر مفردة، ويكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية (Arabic Simplified) بحجم (١٠) وللبحوث الإنجليزية (Roman New Times) بحجم (٨) كما يراعي في البحث المتضمن جداول وأشكال كتابة رقم الشكل وعنوانه أعلاه ثم مصدره أسفله.

٧. تستخدم الأرقام العربية (Arabic...1-2-3) في جميع ثنايا البحث، على أن يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.

٨. يكتب عنوان البحث واسم الباحث أو الباحثين، والمؤسسة التي ينتمي إليها وسبل التواصل ميل وواتساب، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث، ثم تتبع بصفحات البحث، بدء بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.

٩. يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، وإنما تستخدم كلمة الباحث أو الباحثين عوضاً عن الاسم سواء في المتن أو التوثيق أو في قائمة المراجع.

١٠. يجب الأخذ بعين الاعتبار الترتيب للمراجع، ومراعاة وجود علامات الترقيم من فاصلة ونقطة وغيرها، فبعض المراجع تعتمد الفاصلة في التوثيق وبعضها تعتمد النقطة.

١١. يقدم الباحث موجزاً عن سيرته العلمية باللغتين العربية والإنجليزية وصورة شخصية حديثة، كما يجب أن يضع عنوان بريده الإلكتروني أسفل اسمه مع لقبه العلمي، مدرس، أستاذ مساعد، أستاذ مشارك، إلى غير ذلك من الألقاب العلمية.

١٢. يقدم الباحث الرئيس تعهداً موقعاً منه ومن جميع الباحثين المشاركين إن وجدوا (يفيد بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى) حتى تنتهي إجراءات تحكيمه، ونشره في المجلة.

١٣. في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من المدير العام.

١٤. الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

١٥. لهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

١٦. تخضع جميع المنتجات العلمية المقدمة للنشر إلى التحكيم العلمي الدقيق من قبل أساتذة مرموقين في مختلف التخصصات.

١٧. يجب أن تستوفى البحوث المرسلة مرحلة التدقيق اللغوي الأولي قبل إرسالها إلى إدارة المجلة.

١٨. لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه، وفي حال قبول لجنة التحكيم له يعلم الباحث شفهياً، وريثما يتم بقية إجراءات النشر يخطر بكتاب رسمي، ثم يدرج البحث في قائمة الانتظار للنشر كل بحسب دوره.

١٩. يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال بريد المجلة الإلكتروني: عناية مدير التحرير

conference@scrlondon.com - Whatsapp: 0096594448018

محتويات العدد

- كلمة رئيس التحرير ٧

- تأثير منهج تدريبي مقترح بأسلوب الأثقال في تطوير القوة العضلية للذراعين لتطوير الأداء الفني في فعالية القفز بالزانة للناشئين

د. أميرة محمد دهام (العراق) ٩

- تحولات سوق العمل في الجزائر في ظل التنمية المتوازنة (١٩٦٥-٢٠١٦)

د. أنور محمد مقراني - د. حسان حامي (الجزائر) ٢٧

- ديوان الإنشاء وأسلوب الكتابة وموضوعاتها عند بني الأحمر (٦٧١ - ٨٩٧هـ / ١٢٧٢ - ١٤٩٢م)

أ.د. أحلام حسن مصطفى النقيب - د. برزان ميسر حامد الحميد (العراق) ٤٩

- البيئة من المنظور الجنائي الجزائري

د. بلعرابي عبد الكريم - أ. سرخاني سماعيل (الجزائر) ٦٩

- حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم في القرآن الكريم «دراسة بلاغية تحليلية»

د. شومة بنت محمد الفاضلي البلوي (السعودية) ٧٩

- الوثيقة التاريخية مصدراً من مصادر التاريخ: دراسة نظرية نقدية

د. عبد الرحيم الحسناوي (المغرب) ٩٧

- Erection of the Knowledge Economy: a strong development potential for industrialized countries and a perspective for developing countries

Dr. Bechir Musbah FRIDHI

احتياجات الواقع العربي

بقلم/ **د. عبد الملك الدناني** - رئيس التحرير

يأتي صدور العدد عشرين من مجلة **بحـوث** بعد أن حققت الأعداد السابقة منها انتشاراً واسعاً ووجدت صدى متميزاً في أوساط الباحثين المهنين والأكاديميين العاملين في المراكز البحثة والجامعات العربية، لا سيما وأنها خصصت ثلاثة أعداد منها لنشر بحوث الزملاء المشاركين في المؤتمر الدولي السادس للعلوم الإنسانية الذي عقد بالعاصمة الأردنية عمان، تحت شعار «تداعيات الإرهاب». وقد حرصت هيئة تحرير المجلة بأن يصدر هذا العدد في موعده المحدد للصدور بحكم أنها مجلة «ربع سنوية»، ومن حيث الالتزام بالمعايير المهنية والأخلاقية، بينما الأعداد الثالثة السابقة التي صدرت بشكل متتالي كانت مخصصة لنشر بحوث المؤتمر فقط.

وما يميّز هذا العدد بأنه يضم سبعة بحوث علمية رصينة في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، لباحثين من العراق والجزائر والسعودية والمغرب العربي، وفي موضوعات وتخصصات متنوعة، بل وباللغتين العربية والإنجليزية، فضلاً عن أن كتّاب البحوث في هذا العدد ينتمون إلى مدارس فكرية وعلمية متنوعة.

ومن خلال اطلاعي على بحوث هذا العدد وجدت بأنها تلامس احتياجات الواقع العربي والمكتبة العربية وتوجهات البحث العلمي، لا سيما وأنها تركز على سوق العمل في ظل التنمية المتوازنة، والمحافظة على البيئة، وكيفية تطوير المقترحات العلمية للارتقاء بالأداء الفني،

وضرورة الاهتمام بالوثيقة التاريخية كمصدر من مصادر التاريخ، فضلاً عن تأصيل علمي لبلاغة القرآن في حوار الأنباء، وهو ما تسعى إليه هيئة التحرير في ملامسة احتياجات الواقع المعاش، من خلال جديّة التناول وسعة الانتشار وتنوع المجالات، انطلاقاً من تطوير المجال البحثي ومعالجة قضايا الأمة بمنهجية علمية، وكما هو واضح في محتوى العدد.

ونحن نصدر هذا العدد الإلكتروني على ثقة تامة بأن التعاون والعمل الدؤوب الجاد هو السبيل الوحيد لتطوير هذه المجلة العلمية الدولية، لا سيما وهناك جهود مشتركة من جهة الزملاء في الهيئة الاستشارية العلمية، ودعم لا محدود للإدارة العليا للمركز.

والله من وراء القصد.

دراسة بعنوان

تأثير منهج تدريبي مقترح بأسلوب الأثقال في تطوير القوة العضلية للذراعين لتطوير الأداء الفني في فعالية القفز بالزانة للناشئين

د.أميرة محمد دهام - العراق

دكتوراه تربية رياضية، أستاذ مساعد، جامعة كويه،
كلية التربية الرياضية

ملخص البحث

يهدف البحث إلى التعرف على المنهج التدريبي المقترح بأسلوب الأثقال في تطوير القوة العضلية للذراعين للاعبي القفز بالزانة.

أما فرض البحث

١- وجود فروق دالة أحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي و لصالح القياس البعدي في تطوير القوة العضلية للذراعين للاعبي القفز بالزانة.

٢- استخدمت الباحثة المنهج التجريبي بأسلوب الاختبارين القبلي والبعدي انسجاماً مع طبيعة المشكلة. وتم اختيار عينة البحث بالطريقة العمدية لاعبي منتخب العراق ناشئين في فعالية القفز بالزانة والبالغ عددهم (٨) لاعبين تم استبعاد لاعبين للتجربة الاستطلاعية وأصبح بذلك عدد العينة (٦) لاعبين.

٣- من أجل معرفة تجانس أفراد عينة البحث في متغيرات الطول والعمر والوزن استخدمت الباحثة معامل الإلتواء الذي أظهر التجانس للعينة، وتم إيجاد التكافؤ بين أفراد عينة البحث للاختبارات القبلية، وظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة البحث في متغيرات (الطول، والعمر، والوزن) فضلاً عن ذلك فقد أجرى التكافؤ بين أفراد عينة البحث البحث في الاختبارات الآتية: اختبار القوة القصوى والذي يمثل اختبار الذراعين واختبار القوة المميزة بالسرعة واختبارات تحمل القوة فضلاً عن اختبار إنجاز القفز بالزانة.

أجريت اختبارات القوة العضلية لفعالية القفز بالعصا واختبار القوة القصوى واختبار الضغط من الاستلقاء، واختبار رمي الكرة الطبية، واختبار إنجاز القفز بالعصا (الزانة).

وأجرت الباحثة بمساعدة فريق العمل المساعد تجربتها الاستطلاعية الأولى بتاريخ ٢٠١٧/٨/١٥، على مجموعة من اللاعبين بلغ عددهم (٢) من خارج عينة البحث، وتم استخراج المعاملات العلمية للاختبارات: تم إجراء الاختبارات القبلية.

أعدت الباحثة منهاجاً تدريباً خاصاً بفعالية القفز بالعصا (الزانة) وقد استغرق مدة تنفيذ المنهاج التدريبي (٦) أسابيع بواقع ثلاث وحدات تدريبية (أسبوعياً)، وبعد أن تم تطبيق المنهاج التدريبي لتطوير القوة العضلية الخاصة ضمن المدة الزمنية المحددة.

وبعد عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها، وفي ضوء نتائج البحث وحدود العينة وكذلك المعالجات الإحصائية، توصلت الباحثة إلى النتائج الآتية:

١- أثر البرنامج المقترح لتمرينات الأثقال تأثيراً إيجابياً على تنمية القدرة العضلية لأداء المهارات الأساسية في فعالية القفز بالزانة.

٢-وجود فروق دالة إحصائياً ولصالح الاختبار البعدي بين أفراد عينة البحث في متغير القدرة العضلية متمثلة في اختبارات القوة القصوى، والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة.

٣- وجود فروق دالة احصائياً ولصالح الاختبار البعدي بين أفراد عينة البحث في متغير الإنجاز.

Research Summary

The research aims to:

1- Identify the proposed training method in the style of weights in the development of muscle strength of the arms of bowel players.

As for the imposition of research:

1- There are statistically significant differences between the tribal and remote measurements and for the benefit of telemetry in the development of muscular strength of the arms of players jumping pole.

2) The researchers used the experimental method in the method of tribal and remote tests in line with the nature of the problem. The sample was chosen by the deliberate method of players of the Peshmerga Sports Club in Erbil in the event of jumping the bow, the (8) players were excluded players for the pilot experience and thus became the sample number (6) players.

3) In order to determine the homogeneity of the research sample in the variables of length, age, and weight, the researchers used the torsion coefficient, which showed the homogeneity of the sample. The equivalence between the sample of the research sample was found for the tribal tests and there were no statistically significant differences in the variables (length, age, weight) In addition, the parity between the subjects of the research sample examined the following tests: “The maximum strength test, which is the arm test, the test of speed strength and strength tests, in addition to the test of completion of the jump in the bow.

The muscle strength tests were performed for the efficiency of stick jumping, maximum strength test, pressure test from lying down, medical ball throwing test and stick jumping test:

The researcher carried out his first exploratory experiment on 15/8/2017 on a group of players (2) from outside the research sample.

Tribal tests were performed

The researchers prepared a special training course for the effectiveness of stick jumping. The duration of the training program was 6 weeks with three training units (weekly).

After the training curriculum was applied to develop the special muscle strength within the specified period of time.

After presenting, analyzing and discussing the results:

In light of the results of the research and within the sample, as well as statistical treatments, the researchers reached the following results:

1- The effect of the proposed weight training program has a positive effect on the development of muscle capacity to perform basic skills in the effectiveness of bowel jumping.

2- There are statistically significant differences in favor of the post-test among the members of the research sample in the muscle strength variable represented in the tests of maximum strength and strength characteristic of speed and tolerance of power.

3- There are statistically significant differences in favor of the post-test among the members of the research sample in the achievement variable.

١ - التعريف بالبحث

١-١ المقدمة وأهمية البحث

إن العلوم المختلفة لها الأثر الكبير في رفع المستوى في جميع مجالات الحياة، ومنها المجال الرياضي وتعد محصلة التطور العلمي الحاصل في الميادين كافة، كما أن البحوث المختلفة في مجالات العلوم كافة هي السبيل المهم والأنسب للوصول الغاية، ويمكن اعتبار الأسلوب العلمي الطريق السليم للوصول إلى الهدف المطلوب، وان هذه النجاحات لم تكن وليدة الصدفة وإنما بالتخطيط العلمي السليم من خلال استخدام مختلف المعارف والعلوم والطرائق والأساليب الحديثة من قبل العديد من الباحثين، والعلماء، والمختصين لإيجاد أفضل السبل الناجحة لتطوير أداء المهارات الحركية، وتحقيق أفضل الانجازات الرياضية، وإن اختلاف خصائص وسمات وقدرات اللاعبين يزيد الحاجة إلى إيجاد أساليب ووسائل تعليمية جديدة تتوافق مع قدرات كل منهم، وتؤدي إلى استثارة اهتمامهم، وبالتالي تنمي استعداداتهم للأداء المهاري.

وتعد فعالية القفز بالعصا (الزانة) من الفعاليات الممتعة لما تمتاز به من إثارة وجذب وجمالية عالية في التنافس وتحطيم الأرقام القياسية.

وكما هو معلوم في الأوساط الرياضية بأن القوة عنصر مهم وأساسي لكل الفعاليات الرياضية؛ إذ تقترن القوة بالقابلية العضلية والجسمانية من خلال التكوين الجسمي للشخص ومن خلال التدريب المستمر لتطوير القابليات البدنية والجسمية والعضلية، وكما يذكر بعض المختصين؛ إذ تعد القوة العضلية من العناصر الأساسية في جميع الفعاليات الرياضية من ناحية الأداء البدني، وهذه الصفة عامة تؤثر على مستوى الأداء في الأنشطة المختلفة بصفة خاصة، فلا يخلو أي نشاط بدني من اعتماده على هذا العنصر المهم مع تباين في درجة الاعتماد بما يتناسب مع متطلبات الأداء البدني لكل نشاط.

إن تدريبات الأثقال إحدى الأساليب المهمة التي يستطيع المدرب من خلالها تنمية القوة العضلية لدى الرياضيين، وهي من الصفات البدنية الأساسية التي تلعب دوراً مهماً في تحسين الإنجاز، إذ تعد إحدى الفعاليات التي يتحكم فيها مستوى القوة العضلية لدرجة كبيرة؛ لأن الهدف هو تحقيق أفضل إنجاز، وقد أشار (حسانين) بهذا الخصوص إلى ((أن القوة العضلية واحدة من العوامل الديناميكية للأداء الحركي، وتعد سبب التقدم في الأداء))[1].

تكمن أهمية البحث في أن القدرة العضلية يرجع لها الكثير من عوامل التفوق، والوصول للمستويات العليا؛ فهي تظهر بصورة واضحة في قوة عضلات الذراعين في القفز، وهي جزء مهم من متطلبات أداء الفعالية، وهذا يعطي إمكانية كبيرة للأعب في السباقات والبطولات وتحقيق النتيجة التي يطمح لها اللأعب، وإنها تتطلب استخدام مناهج تدريبية ذات صفة خاصة تساعدها على التطور، ومنها استخدام الأثقال، ولكون إن هذه المناهج لها تأثير مباشر للوصول الى التكنيك العالي، وبالتالي تحقيق الإنجاز. إن استخدامنا لمنهج تدريبي غرضه تحسين وتطوير القوة العضلية للذراعين واعتمادنا على منهج علمي دقيق فيه يؤدي إلى تطوير إنجاز القفز بالعصا (الزانة) وهنا تكمن أهمية البحث من خلال هذا المنهج اللذي نعتقد بأنه سيسهم في تحقيق إنجازات متقدمة لدى قافزي الزانة.

١-٢ مشكلة البحث

إن تطور العلوم يوماً بعد يوم وفقاً لتطور الوسائل والطرائق العلمية انعكس بشكل واضح على عملية التسريع في إجراء البحوث العلمية خدمةً للصالح العام؛ ففي الوقت الذي أهتم فيه الباحثون بالتفتيش والتمحيص عن أهم الأساليب العلمية الحديثة التي من الممكن أن تخدم العملية التدريبية.

تعد فعالية القفز بالزانة من الفعاليات الصعبة التي تتطلب توافق حركي عالي في جميع مراحلها لأجل أداء تكنيك صحيح يحقق إنجازاً جيداً، وتحتاج إلى تمرينات ذات تركيبات معقدة من هياكل حركية مختلفة، وكل هذا لا يتحقق إلا من خلال وجود صفات بدنية لتطوير القوة العضلية، ومن خلال استخدامنا منهج تدريبي بتوظيف بعض التمرينات الخاصة بالأثقال بواسطة الحديد والمقاومات لتنمية القوة العضلية الخاصة للذراعين؛ وذلك لما يعانيه القافزون من تأثيرات ومقاومات، ولا بد من قوة عضلية كبيرة للجزء العلوي فضلاً عن أجزاء الجسم المختلفة.

ومن خلال خبرة الباحثة الميدانية كونها لاعبة سابقة ومدربة حالياً لفعاليات ألعاب القوى ومن خلال متابعتها للبطولات الرياضية المحلية لاحظت قلة المناهج التي تعتمد على تدريبات الأثقال للذراعين، وإن أكثر

(١) حسانين، محمد صبحي (١٩٨٧): التقويم والقياس في التربية الرياضية، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة.

المناهج تعتمد على تطوير قوة الساقين وهذه واحدة من أسباب تدني الإنجاز في فعالية القفز بالزانة، وقد لوحظ عدم التوجه لممارسة هذه الفعالية، لكون متطلباتها صعبة وتحتاج إلى تمرينات تدريبية خاصة لممارسيها فضلاً عن ذلك تحتاج إلى الصفات البدنية والحركية والمهارية الخاصة بها مما دفع الباحثة بالتفكير لإيجاد منهج تدريبي بالاستخدام الأثقال قد تكون لها تأثير في تطوير بعض الصفات البدنية والحركية وبالتالي الوصول إلى مستويات أفضل.

وتكمن مشكلة البحث في قلة البحوث التي تعمل على تنمية القوة العضلية للذراعين، ومن خلال اطلاع الباحثة على البحوث والدراسات السابقة وجدت أن التدريب بالأثقال كان عاملاً أساسياً لتنمية القوة العضلية عند اللاعبين بصورة عامة؛ لذا ارتأت الباحثة استخدام منهج تدريبي مقترح باستخدام الأثقال لمعرفة تأثيره على تنمية القوة العضلية لذراعين لدى قافزي الزانة؛ ولهذا حاولت الباحثة المساهمة في وضع بعض الحلول لبناء المناهج التدريبية لفعالية القفز بالعصا (الزانة).

١-٣ هدف البحث

التعرف على المنهج التدريبي المقترح بأسلوب الأثقال في تطوير القوة العضلية للذراعين للاعبي القفز بالزانة.

١-٤ فروض البحث

وجود فروق دالة إحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي ولصالح القياس البعدي في تطوير القوة العضلية للذراعين للاعبي القفز بالزانة.

١-٥ مجالات البحث

المجال البشري: لاعبي المنتخب الوطني ناشئين (أربعة لاعبين – نجف وأربعة لاعبين بغداد ١٦- ١٧سنة).

المجال المكاني: ملعب وزارة الشباب بغداد وملعب النجف.

المجال الزماني: للمدة من ١/٨/ ٢٠١٧ إلى ١/١١/ ٢٠١٧.

٢- الدراسات النظرية والمشابهة

٢-١ الدراسات النظرية

القوة العضلية (مفهومها، أهميتها)

القوة العضلية اصطلاح يستخدم مختلف في المناسبات في حياتنا اليومية، والقوة العضلية هي قدرة العضلة على بذل جهد من أجل القيام بحركة معينة، وإن اهتمامنا لتطوير هذه القوة لا يأتي فقط عن طريق اهتمامنا بالأنشطة الرياضية وإنما يأتي نتيجة النشاطات التي تمارس يومياً كأساس لتنشيط وحماية وتطوير حركة المفاصل لمداها الطبيعي، وإن أكثر العلماء في هذا المجال حاولوا مجتهدين لوضع تعريفات للقوة العضلية هي «قدرة العضلة

على إخراج قوة ضد مقاومة ثابتة في انقباض أحادي الزمن غير محدود»[٢] والقوة هي إحدى المكونات الأساسية للقوة البدنية؛ لذا هي تعني «أقصى مقدار للقوة يمكن للعضلة أو مجموعة عضلية إنتاجية ضد مقاومة»[٣] وتعرف القوة على أنها « قابلية الإنسان في التغلب على المقاومة الخارجية أو المضادة عن طريق بذل جهد عضلي»[٤].

وتزداد أهمية القوة العضلية للإنجاز الرياضي بمقدار المقاومة التي يجب التصدي لها والتغلب عليها في المباريات، وتنعكس القوة العضلية على الإنجاز بشكل مختلف؛ لذلك ارتبطت بمتطلبات كل نوع من الرياضات وبفضلها يتحرك جسم الرياضي وبدون القوة العضلية لا يمكن أن تؤدي أي حركة جسمية، وعند تغير حجم واتجاه استخدام القوة تغير السرعة وشكل الحركة وعندما يغير المرء القوة العضلية لصفة عندها نتكلم عن القابلية الجسمية التي تحدد المقاومة الخارجية أو العمل العضلي المعاكس. إن المعالجة الخارجية يمكن أن تكون الجاذبية الأرضية التي تتناسب مع وزن الرياضي أو رد فعل الارتكاز عندما تتعرض إلى ضغط، ولقد أثبت العلماء أن القوة العضلية تتعلق بالمقطع العرضي الفسيولوجي للعضلة ومن خلال الفسلجة الرياضية الحديثة أثبتت أن درجة الانقباض العضلي تعتمد عمل الجهاز العضلي المركزي.[٥]

أما أهمية القوة العضلية فقد « تسهم في إنجاز أي نوع من أنواع الأداء للجهد البدني في الرياضات جميعها، وتتفاوت نسبة مساهماتها طبقاً لنوع الأداء، وتسهم في تقدير العناصر البدنية الأخرى مثل: السرعة والتحمل والرشاقة؛ لذا فهي تشغل حيزاً في برامج التدريب الرياضي وتعده محدداً مهماً في تحقيق التفوق الرياضي في معظم الرياضات».[٦]

أنواع القوة العضلية: -

انطلاقاً من أهمية القوة ولأجل تسهيل تأثيرها ذهب الخبراء في مجال علم التدريب يقسمون القوة إلى أنواع فقد اتفق كل من (محمد حسن علاوي و ريسان خريبط وعلي تركي)[٧] [٨] على تقسيم القوة العضلية إلى الأنواع الرئيسة الآتية: -

- **القوة المميزة بالسرعة:**- «حين تقترن القوة بالسرعة نطلق عليها بالقوة المميزة بالسرعة والتي يسميها الكثير من المختصين في مجال التدريب الرياضي (Power) كمرادف للقدرة القصوى (Explosive power) ومن خلال ذلك يمكن تعريف القوة المميزة بالسرعة على أنها قدرة الجهازين العضلي والعصبي للتغلب على مقاومات خارجية بأعلى سرعة انقباض عضلي ممكن».[٩]

---

(٢) هاشم عدنان الكيلاني؛ الأسس الفسيولوجية للتدريبات الرياضية، ط١: (الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٩٦.

(٣) أبو العلا أحمد عبد الفتاح؛ هضبة القوة وكيف يمكن التغلب عليها: (القاهرة مركز التنمية الإقليمي، العدد الثالث والعشرين، ١٩٩٨) ص٣١.

(٤) لولبغ كولدي وآخرون؛ ألعاب القوة، (ترجمة) مالك حسن، ١٩٨٦، ص ٨٨.

(٥) عبد علي نصيف، قاسم حسن حسين؛ تدريب القوة، ط١: (بغداد، دار العربية للطباعة، ١٩٨٧)، ص٩.

(٦) مفتي إبراهيم حماد؛ التدريب الرياضي الحديث، تخطيط وتطبيق وقيادة، ط٢: (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١)، ص١٦٧.

(٧) محمد حسن علاوي؛ علم التدريب الرياضي، ط٦: (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩)، ص٩٨.

(٨) ريسان خريبط وعلي تركي؛ نظريات تدريب القوة: (بغداد، ٢٠٠٢)، ص٣٧.

(٩) بسطويسي احمد؛ أسس ونظريات التدريب الرياضي: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩)، ص١١٥.

- **تحمل القوة:** - إن تحمل القوة قابلية الأجهزة على مقاومة التعب عند استعمال مستوى القوة ولفترة طويلة وإن تحمل القوة توصف بأنها قابلية مستوى القوة العالية نسبياً مع ربطها بقابلية التحمل أنها تتعين أساساً في الفعاليات التي تتطلب المقاومة العالية ولفترة طويلة كالذي يحدث في بعض الأنشطة الرياضية، إن تحمل القوة يعني في ألعاب التحمل قبل كل شيء حجم معدل وسط وفاعلية القوة لكل حركة ثنائية والتي يتعلق تأثير الدفع للأمام بها في كل خطوة، وإن تحمل القوة مهم جداً للفعاليات الرياضية التي تتطلب فيها المسارات الحركية الثلاثية.[١٠]

المراحل الفنية للقفز بالعصا (الزانة)[١١]

- إن المراحل الفنية للقفز بالزانة تتكون من الاقتراب، غرز الزانة، الارتفاع، المرجحة للأعلى (التعلق)، المرجحة الخلفية (التكور الخلف)، الدوران مع الفرد، عبور العارضة، الهبوط.
- إن لاعب الزانة الأيمن يمسك الزانة بالقرب من نهايتها باليد اليمنى ويده اليسرى تمسك الزانة على بعد (٥٠سم) تقريباً أسفل يده اليمنى.
- إن لاعب الزانة الأيمن يحمل الزانة على الجانب الأيمن للجسم ويرتقي بالقدم اليسرى.
- إن الاقتراب يبدأ من علامة ثابتة ومن وضع الوقوف أو من عدة خطوات تمهيدية.
- خفض مقدمة العصا (الزانة) تدريجي بانسيابية أثناء ركض الاقتراب.
- إن الاقتراب للمتدربين يكون من (١٠-١٢) خطوة أما بالنسبة للأبطال فيزيد حوالي (١٨) خطوة.
- إن وضع (غرس) الزانة في الصندوق يبدأ من هبوط الرجل اليسرى على الأرض قبل الارتقاء بدفع العصا (الزانة) للأمام مع تقديم الذراع اليسرى للأمام.
- رفع اليد اليمنى للأعلى بسرعة عند لمس الرجل اليمنى للأرض.
- ضرورة هبوط قدم الارتقاء لتلامس الأرض بالجزء الأمامي من القدم.
- إن لاعب الزانة يحاول الدفع بالذراع اليسرى للأمام وللأعلى خلال مرحلة التعلق يحتفظ بوضع الارتقاء.
- سحب الرجلين باتجاه الصدر في أثناء التكور الخلفي.
- ثني الذراع اليسرى ببطء لتقريب الجسم من الزانة.
- إنه في نهاية مرحلة التكور الخلفي يكون الظهر بصفة عامة موازياً للأرض.
- المحافظة على موازنة الرجلين (العصا) الزانة.
- أن يبدأ الدوران في أثناء الشد لكلتا اليدين من الدوران لليسار لمواجهة العارضة بالبطن.
- دفع الجسم بعيد عن الزانة باليد اليمنى.
- أن يتم الهبوط على الظهر وعند الأداء بشكل صحيح فإنه هبوط اللاعب في منطقة الهبوط.

---

(١٠) هارا، (ترجمة) عبد علي نصيف؛ أصول التدريب، ط٢: (الموصول، مطبعة التعليم العالي، ١٩٩٠) ص١٦٤-١٦٥.

(١١) الاتحاد الدولي لألعاب القوى للهواة، المستوى الأول، المراحل الفنية والخطوات التعليمية للألعاب القوة، مركز التنمية الإقليمي، القاهرة، تأهيل المدربين نظام الشهادات، ١٩٩٤، ص٦١.

٣- منهج البحث وإجراءاته الميدانية

٣-١ منهج البحث

استخدمت الباحثة المنهج التجريبي بأسلوب الاختبارين القبلي والبعدي انسجاماً مع طبيعة المشكلة.

٣-٢ عينة البحث

تم اختيار عينة البحث بالطريقة العمدية لاعبي المنتخب الوطني ناشئين في فعالية القفز بالزانة والبالغ عددهم (٨) لاعبين، تم استبعاد لاعبين للتجربة الاستطلاعية، وأصبح بذلك عدد العينة (٦) لاعبين.

٣-٣ التجانس والتكافؤ بين عينة البحث

من أجل معرفة تجانس أفراد عينة البحث في متغيرات الطول والعمر والوزن استخدم الباحثان معامل الالتواء الذي أظهر التجانس للعينة بحسب ما موضح في الجدول (١) وهي القيم محصورة بين (-٣، +٣) مما يشير إلى تجانس عينة البحث.

جدول (١)

اختبارات التجانس بالطول والعمر والوزن وقيمة معمل الإلتواء بين أفراد عينة البحث

الوسائل الإحصائية / المتغيرات	الوسط	الوسيط	الانحراف المعياري	معامل الإلتواء
الطول	١,٧٠م	١,٧٠	٠,٠٢١	-٠,٠٥٦
العمر	١٥,٤٤ سنة	١٥,٣٢	٠,٧٩	-٠,٧٩٣
الوزن	٦٢,٩٠ كغم	٦٢,٥٦	٣,٠٨	-٠,٢٩٥

من أجل إيجاد التكافؤ بين أفراد عينة البحث للاختبارات القبلية، وظهر عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة البحث في متغيرات (الطول، والعمر، والوزن) فضلاً عن ذلك فقد أجرى التكافؤ بين أفراد عينة البحث البحث في الاختبارات الآتية « اختبار القوة القصوى والذي يمثل اختبار الذراعين، واختبارالقوة المميزة بالسرعة، واختبارات تحمل القوة فضلاً عن اختبار إنجاز القفز بالزانة.

والجدول (٢) يوضح نتائج اختبار (T.Test) وظهرت الفروق عشوائية في الاختبارات المذكورة سلفاً مما يدل على عدم وجود فرق حقيقي بين أفراد عينة البحث الأمر الذي يدل على تكافؤهما.

جدول (٢)

يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبارات القوة القصوى والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة وقيمة (t) المحتسبة والجدولية ومستوى الدلالة لعينة البحث في الاختبار القبلي

الوسائل الإحصائية / المتغيرات	وحدة القياس	الاختبار القبلي		قيمة T المحسوبة	قيمةT الجدولية	مستوى الدلالة
		سَ	±ع			
- اختبار القوة القصوى للذراعين	م/سم	٣,٩٨٣	٠,٠٩٣	١,٧٠	١,٨١	غير معنوي
- اختبار القوة المميزة بالسرعة للذراعين	م / ت	٣,٣٨٣	٠,٥٤١	١,٤٦		غير معنوي
- اختبار تحمل القوة	عدد	٧,٨٤٣	٠,٦٧٧	١,٣٧		غير معنوي
- اختبار الإنجاز	م/ سم	٢,٢٣	٠,٠٩٣	٠,٣٧		غير معنوي

عند درجة حرية (٥) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

٣-٤ الوسائل والأدوات والأجهزة المستعملة في البحث

وسائل جمع المعلومات

استعانة الباحثة بالوسائل والأدوات اللازمة سواء كانت (بيانات أم عينات أم أجهزة) - المصادر العربية والأجنبية.

- شبكة المعلومات (Internet)

- المقابلات الشخصية[١٢]*

الأجهزة والأدوات المستخدمة في البحث

- جهاز الميزان لقياس الوزن والطول.

- عصا زانة.

- شريط معدني، شريط لاصق، مصطبات، كراسي للجلوس في أثناء الاختبارات.

- كرات طبية عدد (٢) زنة (٣كغم).

- ساعة توقيت نوع (Casio) يابانية الصنع.

(١٢) الخبراء:

أ.د محمد عبد الحسن.ألعاب قوى. تدريب.استاذ متقاعد.

أ.د صريح عبد الكريم. ألعاب قوى. بايو. كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. جامعه بغداد.

أ.د إيمان عبد الأمير. ألعاب قوى. . كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. جامعه بغداد.

أ.د أحمد العاني. ألعاب قوى. .كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. جامعه بغداد.

أ.د زينب حسن الجبوري. العاب قوى. .كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة. جامعه المستنصرية.

(*) انظر ملحق (١).

٣-٥ الاختبارات المستخدمة لصفة القوة العضلية الخاصة لفعالية القفز بالعصا كما في الملحق (١)، وهي:

- القوة القصوى للذراعين لقياس القوة العضلية الخاصة.
- القوة المميزة بالسرعة للذراعين لقياس القوة العضلية الخاصة.
- تحمل القوة للذراعين لقياس القوة العضلية الخاصة.
- اختبار انجاز القفز بالعصا (الزانة).

اختبار القوة العضلية الخاصة بالفعالية

أجريت اختبارات القوة العضلية لفعالية القفز بالعصا، وكانت الاختبارات على وفق الإجراءات الآتية: -

اختبار القوة القصوى: - وشملت اختبار الضغط من الاستلقاء على المسطبة المستوية (Bench Press) لرفع أقصى وزن.

هدف الاختبار: قياس القوة القصوى لعضلات الذراعين.

الأدوات المستخدمة: قضيب حديدي (Bar) زنة (٢٠) كغم، وحمالات حديدية، وأقراص حديدية بأوزان مختلفة، ومسطبة حديدية (Bench).

مواصفات الأداء: يقوم المختبر باتخاذ وضع الرقود على الظهر فوق مسطبة وبكل جسمه، وبعدها يرفع اللاعب القضيب الحديدي من فوق الحمالات الحديدية على أن يكون القضيب الحديدي أمام الصدر تماماً، وبفتحة بين الذراعين باتساع الصدر تقدر بـ (٨١)سم تقريباً، ويبدأ الاختبار بمحاولة اللاعب ثني الذراعين ومدهما كاملاً والثقل محمول.

التسجيل: تحتسب للمختبر نتيجة أعلى وزن يحققه لتكرار واحد.

اختبار الضغط من الاستلقاء على المسطبة المستوية (Bench Press) لأداء أكثر عدد ممكن من التكرارات خلال (١٠) ثوانٍ

هدف الاختبار: قياس القوة المميزة بالسرعة لعضلات الذراعين.

الأدوات المستخدمة: قضيب حديدي (Bar) زنة (٢٠) كغم، وحمالات حديدية، وأقراص حديدية بأوزان مختلفة، ومسطبة حديدية (Bench) خاصة للمعوقين، وساعات إيقاف وصافرة.

مواصفات الأداء: يأخذ المختبر وضع الرقود على الظهر فوق المسطبة، ويوضع القضيب الحديدي فوق الحمالات، ويتم وضع ثقل بوزن يعادل شده قدرها (٧٠٪) من الشدة القصوى ويبدأ الاختبار برفع الثقل من فوق الحمالات بعد سماع المُختبِر الصافرة، إذ يقوم المُختبِر بثني الذراعين ومدهما كاملاً ومحاولته أداء أكبر عدد ممكن من التكرارات في خلال (١٠) ثوانٍ.

التسجيل: تحتسب للمختبر عدد التكرارات التي يحققها خلال (١٠) ثوانٍ ويمنح المختبر محاولة واحدة فقط.

اختبار الضغط من الاستلقاء على المسطبة المستوية (Bench Press) لأداء أكثر عدد من التكرارات حتى التعب

هدف الاختبار: قياس تحمل القوة لعضلات الذراعين

الأدوات المستخدمة: قضيب حديدي زنة (٢٠) كغم، وحمالات حديدية، وأقراص حديدية مختلفة الأوزان، ومسطبة حديدية (Bench).

مواصفات الأداء: يأخذ المختبر وضع الرقود فوق المسطبة، ويوضع القضيب الحديدي مع الوزن المناسب لكل مختبر على الحمالات بحيث تكون الشدة (٥٠٪) من الشدة القصوى، ويبدأ الاختبار بمحاولة اللاعب رفع أثقال بثني الذراعين ومدهما لحين التعب وعدم مقدرة المختبر أداء أي تكرار.

التسجيل: تحتسب عدد التكرارات التي يحققها المختبر ويمنح محاولة واحدة فقط.

اختبار رمي الكرة الطبية زنة (٣) كغم من الجلوس

هدف الاختبار: قياس القوة القصوى لعضلات الذراعين

الأدوات المستخدمة: كرة طبية زنة (٣) كغم، شريط قياس بطول (١٥) متراً.

مواصفات الأداء: يؤدي الاختبار من وضع الجلوس على الكرسي الخاص للمختبر ويبدأ الاختبار بمسك المختبر للكرة الطبية بكلتا اليدين ورميها لأبعد مسافة ممكنة بحركة نصف دائرية وبثني الجذع إلى الأمام، ويجب ثني الذراعين في أثناء أداء الاختبار، ويوضع خط مرسوم بالطباشير أو لاصق ملوّن يقف المختبر خلفه ليبدأ محاولاته.

التسجيل: تحتسب أفضل محاولة من ثلاث محاولات تمنح لكل مختبر.

اختبار إنجاز القفز بالعصا (الزانة)

الهدف من الاختبار: قياس إنجاز القفز بالعصا (الزانة).

الأدوات المستخدمة: ملعب الساحة والميدان، عصا زانة عدد(٨)، استمارة تسجيل.

وصف الأداء: تم اختبار لاعبين جميعهم سوية لضمان عنصر المنافسة، وقد بدأ الاختبار حسبما يأتي عند سماع اللاعب الإيعاز بالنداء على سمة يبدأ بأخذ التهيؤ من البداية أخذ القياس على العارضة، ثم مسك العصا بعد ذلك يقوم اللاعب بالركض داخل المجال، ثم القفز، وقد أعطيت ثلاث محاولات لكل ارتفاع ، وأخذ أعلى ارتفاع أو إنجاز يحصل عليه اللاعب خلال المحاولات ثم يسجل الإنجاز الذي يحققه المختبر في استمارة تسجيل خاصة به.

٣-٦ التجربة الاستطلاعية

تعد التجربة الاستطلاعية تدريباً عملياً للباحث للوقوف بنفسه على السلبيات والإيجابيات التي تقابله في أثناء إجراء الاختبار لتفاديها[١٣].

ولأجله أجرت الباحثة بمساعدة فريق العمل المساعد تجربتها الاستطلاعية الأولى بتاريخ ٢٠١٧/٨/١٥ على مجموعة من اللاعبين بلغ عددهم (٢) من خارج عينة البحث، وقد اشتملت على الاختبارات الخاصة لتنمية القوة العضلية على ملعب وزارة الشباب بغداد وملعب النجف والهدف منها التعرف على إمكانية إجراء الاختبارات البدنية وخرجت الباحثة من هذه التجربة بما يأتي: -

- التعرف على مدى ملائمة أدوات الاختبارات.
- التأكد من ملائمة الاختبارات ومدى تفهم عينة البحث لها.
- تلافي السلبيات التي من المحتمل ظهورها في أثناء الاختبارات.
- تعرف فريق العمل بطبيعة الاختبارات ومعرفة مدى كفاءتها.
- تفهم عينة التجربة لمفردات الاختبار.
- معرفة زمن الاختبارات.

٣-٧ المعاملات العلمية للاختبارات

معامل الصدق

لإيجاد معامل الصدق أستخدم الباحثان صدق المحتوى وذلك عن طريق رأي الخبراء والمختصين المذكورين آنفاً؛ إذ اتفقوا جميعهم على هذه الاختبارات صادقة في قياس هذه المتغيرات.

ثبات الاختبارات

لغرض استخراج ثبات الاختبارات قامت الباحثة بإجراء الاختبارات على عينه من خارج عينة البحث وعددهم (٢) يوم ٢٠- ٨ -٢٠١٧، وبعد مرور سبعة أيام وبتاريخ ٢٧-٨ -٢٠١٧ أعيد الاختبار نفسه وعلى العينة نفسها وبالظروف نفسها، وتم استخراج معامل الثبات عن طريق استخدام قانون معامل الارتباط البسيط (بيرسن) إذ أظهرت النتائج أن الاختبارات تتمتع بدرجة ثبات عالية تبلغ (٨٧٪).

٣-٨ الاختبارات القبلية

تم إجراء الاختبارات القبلية على عينة البحث لتدريبات الأثقال في فعالية القفز بالزانة الساعة الرابعة مساءً بدءاً من يوم ٢٠١٧/٩/١ولغاية ٢٠١٧/٩/٣.

---

(١٣) قاسم المندلاوي وآخرون؛ الاختبارات والقياسات في التربية البدنية: (الموصل، مطابع التعليم العالي، ١٩٨٩) ص١٨٧.

وقد تم إجراء الاختبارات:

١- اختبار الإنجاز.

٢- اختبار القوة العضلية (القوة الانفجارية) للذراعين.

٣- اختبار القوة المميزة بالسرعة للذراعين.

٤- اختبار تحمل القوة للذراعين.

٣-٩ المنهج التدريبي

أعدت الباحثة منهاجاً تدريباً خاصاً بفعالية القفز بالعصا (الزانة) انظر الملحق (١)، معتمدة في ذلك على تجربتها وخبرتها التدريبية والميدانية ومستعينة بآراء المختصين بمجال علم التدريب الرياضي وألعاب القوى وبالمصادر العلمية التدريبية.

وقد استغرق مدة تنفيذ المنهاج التدريبي (٦) أسابيع بواقع ثلاث وحدات تدريبية (أسبوعياً) وقد أكد ذلك (مفتي إبراهيم حماد) بقوله «تؤدي تدريبات القوة العضلية الخاصة بواقع (٣-٤) وحدات تدريبية أسبوعياً».

وبلغ عدد الوحدات التدريبية (١٨) وحدة تدريبية تم تطبيقها في المدة من ١-٩-٢٠١٧ ولغاية ١٦-١٠-٢٠١٧ استخدمت الباحثة أسلوب التدريب الفتري المرتفع الشدة بنسبة (٦٠-٧٥ ٪) من أقصى ما يستطيع الفرد تحمله من القوة القصوى وعدد مرات التكرار (٦-٨) مرة؛ إذ كان زمن أداء كل تمرين يتراوح ما بين (٥-١٠) ثانية و كانت فترة الراحة بين كل تمرين وآخر (٥٠-٨٠) ثانية وأخرى من (٢-٤-) دقائق وكذلك استخدمت الباحثة تحديد شدة التمرين وفق النسبة المئوية لأقصى ما يستطيع الفرد أداءه لكل تمرين يستخدم خلال المنهج التدريبي.

كما استخدمت الباحثة لكل تمرين المؤشر الخاص في استخدام الشدة القصوى بحسب متطلبات كل تمرين بوضع الشدة المطلوبة بما يناسبها خلال مفردات المنهج التدريبي وبهدف تأمين حدوث التعب فضلاً عن استخدم مبدأ التدرج في شدة التدريب خلال مدة المنهاج التدريبي غرض التعويض الزائد طول فترة التدريب.

وقد اعتمدت الباحثة على خبرتها وتجربتها بالمصادر العلمية والتدريبية في توزيع هذه التمرينات خلال تنفيذ المنهاج التدريبي؛ إذ ثبت الشدة والحجم لكل لاعب بحسب إمكانيته في هذه التمرينات وعدت مدة تنفيذ المنهاج ضمن مرحلة الإعداد الخاص.

واستخدمت الباحثة كثافة الحمل بفترة راحة تتراوح ما بين (٢-٣) دقيقة حتى استعادة الشفاء وتؤدي خلالها تمرينات مرونة ايجابية ومطاطية للعضلات العاملة

- أجريت القياسات قبلية في ١ / ٧ /٢٠١٧

٣-١٠ الاختبارات البعدية

بعد إن تم تطبيق المنهاج التدريبي لتطوير القوة العضلية الخاصة ضمن المدة الزمنية المحددة لها أجرت الباحثة الاختبارات البعيدة في الساعة الرابعة من عصر يوم السبت الموافق ٢٠-١٠-٢٠١٧ بالأسلوب والظروف نفسها التي أجريت فيها الاختبارات القبلية، كما يأتي:

٣-١١ الوسائل الإحصائية

استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية في معالجة الدرجات الخاصة التي حصل عليه من التجربة:

١. قانون النسبة المئوية[١٤].

٢. الوسط الحسابي .

٣. الانحراف المعياري.

٤. معمل الإلتواء.

٥- (الوسط الحسابي – الوسيط).

٦-اختبار (T.Test) لعينة واحدة.

٤ - عرض النتائج وتحليلها ومناقشتها

في هذا الباب ارتأت الباحثة عرض النتائج التي تم الحصول عليها من الاختبارات القبلية والبعدية خلال مجريات البحث في جداول توضيحية، ثم تحليل هذه النتائج ومناقشتها لغرض التأكد من صحتها ومدى تطابقها مع أهداف وفروض البحث التي تم التوصل إليها بعد جمع البيانات الخام المتعلقة بالاختبارات القبلية والبعدية لعينة البحث لمعرفة مدى تعلم المهارة قيد البحث.

٤-١ عرض نتاج اختبار القوة القصوى والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة وقيمة (t) المحتسبة والجدولية ومستوى الدلالة لعينة البحث وتحليلها ومناقشتها.

جدول (٣)

يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبارات القوة القصوى والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة وقيمة (t) المحتسبة والجدولية ومستوى الدلالة لعينة البحث

الوسائل الإحصائية / المتغيرات	وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		قيمة T المحسوبة	قيمةT الجدولية	مستوى الدلالة
		سَ	±ع	سَ	±ع			
اختبار القوة القصوى للذراعين	م/سم	٣,٩٨٣	٠,٠٩٣	٥,٢٦٦	٠,١٠٨	٣,٧٦	١,٨١	معنوي
اختبار القوة المميزة بالسرعة للذراعين	م / ت	٣,٣٨٣	٠,٥٤١	٣,٧٢١	٠,٤٢١	٣,١٦		معنوي
اختبار تحمل القوة	عدد	٧,٨٤٣	٠,٦٧٧	١٢,٠٩٦	٠,٤٣٥	٣,٩٧		معنوي

عند درجة حرية (٥) واحتمال خطأ (٠,٠٥)

(١٤) محمد نصر الدين رضوان؛ الإحصاء الباروميتري في بحوث التربية الرياضية: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٩) ص٥٤.

بلغ الوسط الحسابي للاختبار القوة القصوى للذراعين للاختبار القبلي للذراعين (٣,٩٨٣) وبانحراف معياري مقداره (٠,٠٣٩) وبلغ الوسط الحسابي للمجموعة نفسها وللاختبار نفسه في الاختبار البعدي (٥,٢٦٦) وبانحراف قدره (٠,١٠٨) أما قيمة (T) المحسوبة فبلغت (٣,٧٦) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٨١) عند درجة حرية (٥) واحتمال الخطأ بدرجة (٠,٠٥) مما يدل وجود فروق معنوية بين الاختبارين ولمصلحة الاختبار البعدي.

أما بالنسبة لاختبار القوة المميزة بالسرعة للذراعين فبلغ الوسط الحسابي وللاختبار القبلي (٣,٣٨٣) بانحراف معياري قدره (٠,٥٤١) وبلغ الوسط الحسابي للمجموعة نفسها وللاختبار نفسه في الاختبار البعدي (٣,٧٢١) وبانحراف قدره (٠,٤٢١) أما قيمة (T) المحسوبة فبلغت (٣,١٦) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٨١) عند درجة حرية (٥) واحتمال الخطأ بدرجة (٠,٠٥) مما يدل وجود فروق معنوية بين الاختبارين ولمصلحة الاختبار البعدي.

أما بالنسبة للاختبار تحمل القوة فبلغ الوسط الحسابي للاختبار القبلي (٧,٨٤٣) وبانحراف معياري مقداره (٠,٦٧٧) وبلغ الوسط الحسابي للمجموعة نفسها وللاختبار نفسه في الاختبار البعدي (١٢,٠٩٦) وبانحراف معياري قدره (٠,٤٣٥) أما قيمة (T) المحسوبة فبلغت (٣,٩٧) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٨١) عند درجة حرية (٥) واحتمال الخطأ بدرجة (٠,٠٥) مما يدل وجود فروق معنوية بين الاختبارين ولمصلحة الاختبار البعدي.

جدول (٤)

يبين الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبار الانجاز وقيمة (t) المحتسبة والجدولية ومستوى الدلالة لعينة البحث

الوسائل الإحصائية / المتغيرات	وحدة القياس	الاختبار القبلي		الاختبار البعدي		قيمة T المحسوبة	قيمةT الجدولية	مستوى الدلالة
		سَ	±ع	سَ	±ع			
اختبار الإنجاز	م/ سم	٢,٢٣	٠,٠٩٣	٢,٥٩	٠,١٠٨	٢,٧٤	١,٨١	معنوي

عند درجة حرية (٥) واحتمال الخطأ بدرجة (٠,٠٥)

من خلال الجدول (٤) والخاص باختبار الإنجاز؛ فقد بلغ الوسط الحسابي للاختبار القبلي (٢,٢٣) وبانحراف معياري مقداره (٠,٠٩٣) وبلغ الوسط الحسابي للمجموعة نفسها وللاختبار نفسه في الاختبار البعدي (٢,٥٢) وبانحراف معياري قدره (٠,١٠٨) أما قيمة (T) المحسوبة فبلغت (٢,٧٤) وهي أكبر من القيمة الجدولية البالغة (١,٨١) عند درجة حرية (٥) واحتمال الخطأ بدرجة (٠,٠٥) مما يدل وجود فروق معنوية بين الاختبارين ولمصلحة الاختبار البعدي.

٤-٢ مناقشة النتائج وتحليلها

نتائج الفروق بين القياس القبلي والبعدي لعينة البحث في الاختبارات البدنية في متغيرات قيد (البحث). إذ يتضح من نتائج جدول (٣) أن الفروق التي ظهرت دالة إحصائياً بين القياسين القبلي والبعدي؛ إذ نجد من خلال الأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية لاختبارات القوة القصوى والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة أن تمرينات المستخدمة من قبل الباحثة التي تم اختيارها لها تأثيرها الإيجابي على تنمية القدرة العضلية وبالتالي على مستوى الأداء.

وترجع الباحثة ذلك إلى حسن اختيار التمرينات المقترحة والتي كان لها تأثير إيجابي على تنمية القدرة العضلية. مما يدل على أن المنهج التدريبي المقترح بأسلوب الأثقال قد ساعد تطوير القوة العضلية للذراعين في فعالية القفز بالزانة.

ومن خلال تجربة الباحثة الميدانية المتواضعة تعزى سبب ذلك التطور إلى التمارين المقترحة بالأثقال والتي أثرت بشكل ايجابي على مستوى تطور الأداء الفني لفعالية القفز بالزانة.

ويرى قاسم حسن حسين ((أن مرحلتي الارتقاء والمرجحة تحتاج إلى إتقان للأداء الفني لفترات طويلة حتى يستمر الترابط الكامل لعملية القفز والضبط الأوتماتيكي لباقي المراحل الفنية للقفز بالزانة))[١٥].

إن فعالية القفز بالزانة تتطلب من القافز القوة الجسمية وقوة الذراعين وهذا يعني أن مفرداتها ستكون مختلفة كثيراً لكون سمة تمارين المنهج التدريبي المقترح التنوع في أداء تمارين قوية وسريعة ولكون نوعية التمارين البدنية المستخدمة تعتمد في مضمونها على أداء حركات تشتمل على قوة القفز، وسرعة الركض، وأداء تمارين مركبة مع بذل جهد قريب من القصوى إن لم يكن قصوياً مما يؤدي إلى مقاومة التكرار الحركي المتضمن على شدد تدريبية موزعة ومقسمة بصورة علمية دقيقة تؤدي باللاعب إلى الأداء الجيد وهي نتيجة حتمية تبرز من خلال نوع الشدة المستخدمة للتمارين التي يؤديها اللاعبون، لكونها تمارس بآلية جديدة ومركبة وهو ما يستدعي من اللاعب استخدام قوته الكامنة بصورة أقرب إلى الكلية بعد أن يأخذ الجسم الراحة الكافية، وترى الباحثة أن تطور اللاعبين بدنياً في تلك الصفة يساعد في رفع كفاية اللاعبين في ادائهم للحركات القوية السريعة وفي حال أفضل لمواجهة متطلبات المهارة المختلفة المتنوعة وغير الثابتة.

---

(١٥) قاسم حسن حسين: القواعد الأساسية لتعليم ألعاب الساحة والميدان في فعاليات الركض والقفز، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٧٦. ص ٣٩٤.

٥- الاستنتاجات والتوصيات

٥ - ١ الاستنتاجات

في ضوء نتائج البحث وفي حدود العينة وكذالك المعالجات الإحصائية توصلت الباحثة الى النتائج التالية:

١- أثر البرنامج المقترح لتمرينات الأثقال تاثيراً إيجابياً على تنمية القدرة العضلية لأداء المهارات الأساسية في فعالية القفز بالزانة.

٢- وجود فروق دالة إحصائياً ولصالح الاختبار البعدي بين افراد عينة البحث في متغير القدرة العضلية متمثلة في اختبارات القوة القصوى والقوة المميزة بالسرعة وتحمل القوة.

٣- وجود فروق دالة إحصائياً ولصالح الاختبار البعدي بين افراد عينة البحث في متغير الإنجاز.

٥-٢ التوصيات

١. ضرورة احتواء المنهاج التدريبي المعد من قبل المدربين على تمرينات الأثقال لغرض الإسهام في تطوير مهارة القفز بالزانة.

٢. ضرورة التأكيد على إن يكون استخدام تمرينات الاثقال مشابهة للأداء المهاري من حيث المسار الحركي والسرعة ومشاركة العضلات العاملة وتطويرها لدى ممارسي القفز بالزانة.

٣. ضرورة إجراء اختبارات مستمرة في فترات منتظمة لاختبار القدرات البدنية والمهارية الخاصة بالقفز بالزانة للتعرف على مستوى التطور وفعالية المنهاج التدريبي المستخدمة.

٤. الاستفادة من المنهج التدريبي المعد من قبل الباحثة وبناء مناهج تدريبية مشابهة لتطوير بعض الصفات البدنية والمهارية الأخرى الخاصة بالقفز بالزانة.

٥. الاهتمام بمرحلة الإعداد العام والخاص في التدريب على القوة العضلية بأنواعها لأنها الأساس في تطوير المهارات الأساسية في القفز بالزانة.

المصادر

- محمد نصر الدين رضوان؛ **الإحصاء البارومتري في بحوث التربية الرياضية**: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٩).
- حسانين، محمد صبحي (١٩٨٧): **التقويم والقياس في التربية الرياضية**، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة.
- هاشم عدنان الكيلاني؛ **الأسس الفسيولوجية للتدريبات الرياضية**، ط١: (الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠).
- أبو العلا أحمد عبد الفتاح؛ **هضبة القوة وكيف يمكن التغلب عليها**: (القاهرة مركز التنمية الإقليمي، العدد الثالث والعشرين، ١٩٩٨).
- لولبغ كولدي واخرون؛ **ألعاب القوة**، (ترجمة) مالك حسن، ١٩٨٦.
- عبد علي نصيف، قاسم حسن حسين؛ **تدريب القوة**، ط١: (بغداد، دار العربية للطباعة، ١٩٨٧).
- مفتي إبراهيم حماد؛ **التدريب الرياضي الحديث، تخطيط وتطبيق وقيادة**، ط٢: (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠١).
- محمد حسن علاوي؛ **علم التدريب الرياضي**، ط٦: (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩).
- ريسان خريبط وعلي تركي؛ **نظريات تدريب القوة**: (بغداد، ٢٠٠٢)
- بسطويسي احمد؛ **أسس ونظريات التدريب الرياضي**: (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٩).
- هارا ، (ترجمة) عبد علي نصيف؛ **أصول التدريب**، ط٢: (الموصول، مطبعة التعليم العالي، ١٩٩٠).

الملحق (١)

المنهج التدريبي

	اليوم	التمرين الأساسي	هدف التمرين	الشدة	التكرار	المجاميع	الراحة بين التكرارات	راحة بين المجاميع
الأسبوع الأول	السبت	رفع ثقل وزن (١٠) كيلو والضغط على مسطبة مستوية	تحسين الإنجاز تطوير القوة القصوى للذراعين	٨٠ ٪ ٨٠ ٪	١٠ تكرارات	--- ٢	كافية لاستعادة الشفاء ---	--- ٣٠,٣٢ – دقائق
	الاثنين	رمي الكرة الطبية زنة ٣كغم (يتم اعتماد طول المسافة) والضغط على مسطبة مستوية (أداء تكرارات محددة)	تطوير القوة القصوى للذراعين والجذع تطوير مطاولة القوة للذراعين	٨٠ ٪ ٥٠ ٪	١٠تكرارات	٤ ٣	٣٠,٣٢ – دقائق ---	٣-٤ دقائق ٣٠,٣٢ – دقائق
	الأربعاء	رفع ثقل وزن (١٠) كيلو والضغط على مسطبة مستوية (أداء أكثر عدد خلال ١٠ثا)	تحسين الإنجاز تطوير القوة المميزة بالسرعة للذراعين	٨٥ ٪ ٦٥ ٪	١٠ تكرارات	--- ١	كافية لاستعادة الشفاء ٣٠,٣٢ – دقائق	--- ---
الأسبوع الثاني	السبت	رفع الثقل والضغط على مسطبة مستوية	تحسين الإنجاز تطوير القوة القصوى للذراعين	٨٥٪ ٧٥ ٪	١٠ تكرارات	--- ٥	كافية لاستعادة الشفاء ---	--- ٣٠,٣٢ – دقائق
	الاثنين	رمي الكرة الطبية زنة ٣كغم (يتم اعتماد طول المسافة) والضغط على مسطبة مستوية (أداء تكرارات محددة)	تطوير القوة القصوى للذراعين تطوير مطاولة القوة للذراعين	٩٠ ٪ ٦٠ ٪	٤ ١٢مستمرة	٤ ٣	٣٠,٣٢ – دقائق ---	٥ – ٦دقائق ٣٠,٣٢ – دقائق
	الأربعاء	قذف الثقل الضغط على مسطبة مستوية (أداء أكثر عدد خلال ١٠ثا)	تحسين الإنجاز تطوير القوة المميزة بالسرعة للذراعين	٩٠ ٪ ٧٠٪	١٠ تكرار	--- ١	كافية لاستعادة الشفاء ٣٠,٣٢ – دقائق	--- ---
الأسبوع الثالث	السبت	رفع الثقل الضغط على مسطبة مستوية	تحسين الإنجاز تطوير القوة القصوى للذراعين	٨٠ ٪ ٨٠ ٪	١٠ تكرار	--- ٥	كافية لاستعادة الشفاء ---	--- ٣٠,٣٢ – دقائق
	الاثنين	رمي الكرة الطبية زنة ٣كغم (يتم اعتماد طول المسافة) الضغط على مسطبة مستوية (أداء تكرارات محددة)	تطوير القوة القصوى للذراعين والجذع تطوير مطاولة القوة للذراعين	٨٠ ٪ ٥٠ ٪	١٠ تكرار	٤ ٣	٣٠,٣٢ – دقائق ---	٥ – ٦ دقائق ٣٠,٣٢ – دقائق
	الأربعاء	رفع الثقل الضغط على مسطبة مستوية (أداء أكثر عدد خلال ١٠ثا)	تحسين الإنجاز تطوير القوة المميزة بالسرعة للذراعين	٨٠ ٪ ٦٠٪	١٦ ٦	--- ١	كافية لاستعادة الشفاء ٣٠,٣٢ – دقائق	--- ---

دراسة بعنوان

تحولات سوق العمل في الجزائر في ظل التنمية المتوازنة (١٩٦٥-٢٠١٦)

د. أنور محمد مقراني - الجزائر

أستاذ باحث ورئيس المجلس العلمي لكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. جامعة سطيف٢

anouar01dz@yahoo.fr

د. حسان حامي - الجزائر

أستاذ محاضر بجامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢
قسم علم الاجتماع. ومخبر المجتمع الجزائري المعاصر

Hasanh5510@yahoo.fr

الملخص

تروم الدراسة تقديم فهم سوسيولوجي لتحولات سوق العمل في الجزائر خلال الفترة ١٩٦٥-٢٠١٦، فالتنمية المتوازنة بقيادة الدولة، كان يراد منها في مرحلة أولى، القضاء على كل أشكال التخلف المناطقي والجهوي الذي خلفه الاستعمار الفرنسي، وإتاحة فرص التحضر والترقية الاجتماعية للسكان. لاحقا تعزز الاستثمار الدولاتي في البنية التحتية والسكن والمرافق المختلفة التي تخدم المواطنين وذلك لتدارك مشكلات حقبة المأساة الوطنية، والتحول نحو الاقتصاد المنتج.

استند مضمون التنمية المتوازنة على تشكيل وعي عند المواطنين لقيم العمل، يأخذ في الحسبان المساواة بين الفئات الاجتماعية، وتكافؤ الفرص بين النساء والرجال، بما يشيع واقعياً قيم الجدارة والكفاءة والمعرفة في الحصول على عمل لائق. بهذا يصبح سوق العمل المجال الذي يعرف ديناميكية القوى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي تسعى إلى هندسة التراتبات الاجتماعية والجيلية والجندرية، وفي الوقت نفسه تدفع باتجاه توافق مجتمعي يعزز مكسب الشغل للمواطن، وتحديدٍ أكثر موضوعية للعدالة الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: سوق العمل، العدالة الاجتماعية، التنمية، النوع الاجتماعي.

مقدمة

يمثل التشغيل أحد تحديات الدولة في الجزائر، ويرتهن السلم الاجتماعي والاستقرار الدولاتي على قدرة الحكومة على بناء اقتصاد قوي قادر على استيعاب مطالب المجتمع، بما يحقق الرفاه لمختلف الفاعلين أفرادا وجماعات. وينظر للعمل على أنه وسيلة للإشباع النفسي الاجتماعي والاقتصادي للفرد، وفي الوقت نفسه هو تعبير عن انتقال المجتمع من نمط إنتاجي واجتماعي إلى نمط آخر يسمح باستخلاص قيم جديدة وإنشاء معايير يستند إليها الفرد في تمثل واقعه الاجتماعي.

يعتبر سوق العمل اليوم امتدادا للتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها اليد العاملة في الجزائر منذ الحقبة العثمانية (اقتصاد عتيق)، ثم الحقبة الاستعمارية إذ تشكل التبلتر البدائي للشغيلة بمناسبة النظام الرأسمالي المقتحم للتكوين الاجتماعي القومي، وأخيراً الحقبة الاستقلالية وما تلاها من توالي مشاريع النمو على مدى أكثر من خمسين عاماً.

المعرفة المنجزة عن سوق العمل اعتمدت على مصادر اقتصادية وسوسيولوجية، وتمثل التحقيقات التي تنجزها الأجهزة الحكومية مادة خام تستحق الوقوف عندها. ولسنا هنا في وارد محاكمة مصداقية الأرقام المقدمة، بقدر ما تقدم هذه الأرقام وارتباطاتها قراءة نعتقد أنها خلافية عن ظاهر المقول الذي يستغرق في السرديات الرقمية. الخاصية التي تميز سوق العمل ليس تنامي معروض مناصب العمل، ولكن المزاحمة التي أصبحت تعرفها الدولة من طرف فاعلين آخرين (القطاع الخاص الرسمي وغير الرسمي) تمكنوا من الاستحواذ على جزء كبير من الشغيلة، وهؤلاء الفاعلون الموزعون بين قطاعات الخدمات، الصناعة والبناء والأشغال العمومية والفلاحة استطاعوا نقل الثقل البشري من المؤسسات العمومية إلى المؤسسات الخاصة، مع ما يعنيه ذلك من تحوّل في مفهوم العمل، الذي رافق لأكثر من خمسين عاما تصورا يقوم على التماثل والتطابق بين الوظيفة الاجتماعية للعمل العمومي وبين الشغيلة المندمجة مجاليا (الملكية العامة). هذه العلاقة التي يعاد صياغتها بفعل توجه دولاتي نحو المرافقة والتسيير والتحكيم للاقتصاد القومي، سمحت بتغيّر انتظارات المجتمع للحكومة التي تتأسس فقط على الخدمة العمومية والمرافق الصحية والتعليمية (التنمية)، فيما أصبح المجتمع زبون عروض الشغل لفاعلين آخرين يقدمهم الخطاب الرسمي على أنهم يلقون الدعم من الدولة لأجل تحقيق مطلب الشغل.

يثير البحث إشكالية العلاقة بين سوق العمل والأشكال المؤسساتية التي تضخمت في حقبة الاستقرار والتنمية التي عرفتها البلاد منذ العام ١٩٩٩م، كما أن علاقة الساكنة النشطة مع الشغل أخذت محتوى جديدا يطابق التصور الدولاتي الرامي إلى بث قيم الجدارة والكفاءة والمعرفة في الحصول على عمل لائق ومن ثم التطور فيه مستقبلاً.

أولاً- سوق العمل في الجزائر: محاولة للفهم

تقاس التنمية في العالم بقدرة الحكومة على ضبط وتسيير سوق العمل. ذلك أن مردودية القوى الإنتاجية تمثل حاصل تساند المشروعات الحكومية والخاصة مع متطلبات المستهلكين والمواطنين على حد سواء. فهؤلاء ينتظرون تحقيق الرفاهية في جميع مناحي الحياة، وفي الوقت نفسه تعمل الدولة على تأطير هذه التعاقدية والتعزيز للقوى الاجتماعية عبر تفاهمات مواطنية واجتماعية وسياسية تبتغي من خلالها تحقيق هدفين رئيسين، يتعلق الأول بتوفير قدر كبير من هامش المناورة لجميع الأفراد والجماعات لأجل بلورة مشروعاتهم الخاصة والجماعية بما يفيد

في تنمية المبادرة والابتكار والتنوع والحرية الفردية والاقتصادية واستقلالية هؤلاء عن جميع الاكراهات السائدة في المجتمع. أما الهدف الثاني فتنشد الدولة مزيدا من الاندماج لهذه القوى وأيضا مشاركة متعاظمة لهم في كل المجالات. وبذلك تتمكن الدولة من تسيير تمايزات وتباينات وتنازعات واتفاقات هذه الجماعات من خلال حكامة تأخذ في الحسبان مكانة وفاعلية هذه القوى الاجتماعية ومن جانب آخر تعمل على طمأنتهم من خلال الشفافية والمساءلة والمشاركة في صناعة القرار القومي في كل تجلياته ومجالاته.

مسار التنمية في الجزائر اعتمدت فيه الدولة على تجاوز أزمة النظام الكولونيالي الذي عمل لوقت طويل على تنمية تخلف القوى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إذ عملت القوى المرتبطة بالحالة الاستعمارية على بناء جدار اجتماعي وسياسي واقتصادي بين الكيانات الأوروبية والجزائرية، والذي يتجلى في فصل المدينة عن هوامشها المتخلفة، الاقتصاد الاستعماري عن الاقتصاد الأهلي، الأحزاب الفرنسية والأحزاب الأهلية، العمل الرأسمالي عن العمل التقليدي، الثقافة الأوروبية عن الثقافة الأهلية. هذه القطائع بين المكونات الاجتماعية تماهت أيضا مع الرفض الأهلي لكل الأشكال الجمعوية التي تروم تذويب المجتمع الجزائري في الأطر الاستعمارية، وبذلك تنامت بشكل مطرد علاقة خاصة مع العمل في النظام الاستعماري، طبعت سوق العمل بتمايزات قطاعية (النشاط الحرفي)، فئوية (غلبة المستقلين وأصحاب المهن الحرة) ونوعية (الذكورية) وأيضاً إقليمية (المركز على حساب الأطراف والحضر على حساب الريف). كل هذه التباينات الاقتصادية والاجتماعية سترثها لاحقا دولة الاستقلال العام ١٩٦٢م، وستكون بمثابة بواعث ومنطلقات لرسم سياسة قومية ثورية على جميع مخلفات الفترة الاستعمارية.

توجهت الحكومة الجزائرية إلى إعادة رسم سوق عمل قومي خالص، وتؤكد الدراسات أنه «من النادر في العام ١٩٦٢ أن تجد جزائريين حازوا على تكوين تقني ولا أحد منهم مارس وظيفة عمومية، ولا حتى وظيفة سامية ولا حتى مسير في بلدية، لأنه ببساطة منع النظام الكولونيالي ولوجهم في هذه الوظائف: في تسيير العملية الإنتاجية الحديثة كما في تسيير الأعمال العمومية، لم تحز الجزائر لا على الكفاءات الفردية بعدد كاف ولا على الكفاءات الجماعية»[١]. وعطفا على ذلك وبرغم هذه الصعوبات، فقد حولت الدولة هجرة المعمرين(الإطارات والفنيين)، مناسبة مفضلة لتوسيع جزأرة اليد العاملة الوطنية في جميع القطاعات، غير أن ذلك اصطدم في الواقع بعوائق اجتماعية واقتصادية وثقافية قلّصت من هامش تدخل الحكومة من جهة، ومن جهة ثانية بطّأ بشكل كبير مسعى التحديث الذي تأخّر مقارنة بالخطط والسياسات التي أعدت لأجل مجتمع تقدمي وعصري.

بناء سوق العمل في الجزائر تطلب أن تلعب الحكومة دورا اجتماعيا وطلائعيا لجماهير منتظرة وفرحة بنشوة الانتصار الكبير على الاستعمار، لهذا كان الطموح في التنمية يحمل سقفا عاليا من الانتظارات التي ينبغي أن تقود إلى تحرير الدولة من التبعية للقوى الامبريالية. فالحكومة من جهتها الواقعة تحت سطوة ضغوط اجتماعية كبيرة بفعل تدمير البُنى الاقتصادية والاجتماعية، وضحايا حرب التحرير بالملايين، وعودة اللاجئين من دول الجوار والمهجرين الداخليين، وتهدم المنشآت الاقتصادية، وضعف كبير في التنمية الاقتصادية،

وسيطرة الشركات الفرنسية والأجنبية على قطاع النفط، وعجز الميزان التجاري وتبعيته لفرنسا، وهشاشة في التعليم والصحة،...إلخ، كل هذه المشكلات كانت محفزة للحكومة الجزائرية لإشاعة أنموذجها في التنمية القائم على سيادة الدولة على الاقتصاد والمجتمع (الدولة القائدة) والتي تكفلت بتلبية الاحتياجات الوطنية وبالخصوص من خلال المنظومة التعليمية والتكوينية، لهذا فقد كانت المؤسسة التعليمية مطلوب منها أن تنتج لصالح الاقتصاد، وأن يشكل الفلاحون والعمال ركائز المجتمع الاشتراكي، وأن الملكية العمومية تعود نواتجها الاقتصادية والاجتماعية لجميع المواطنين في ظل العدالة الاجتماعية.

هذه الاحتياجات التي لبتها الدولة نحو الجماهير، كانت في نهاية المطاف محفزة لأجل تعبئة القوى الاجتماعية وتجنيدها لصالح مفهوم «الشغل»، الذي من خلاله يمكن للإنسان الجزائري أن يترقى اجتماعيا ويحقق اندماجه في الهياكل والهيئات المختلفة، وهذا المفهوم يأخذ في العقل السياسي للدولة شكلاً أداتياً واستعمالياً، فهو وسيلة تستخدم لأجل تحقيق الحاجات الأساسية، وهو من الناحية الأداتية تعبير اقتصادي عن نزعة الدولة في الاستثمار الاقتصادي المتوازن سواء تعلق الأمر بالإقليم أو بالتراتبات الاجتماعية أو التمايزات النوع اجتماعية (التمكين الاقتصادي والاجتماعي للنساء) أو بالعدالة الاجتماعية بين المنتجين والعاطلين.

لقد كانت التنمية المتوازنة في صلب الخطاب والفعل الحكومي، ولا تزال إلى اليوم ثابتة في المرور بالجزائر من البناء إلى الإنتاج، بعيدا عن هزات السوق النفطية. لهذا خطّت الحكومة أنموذج نمو يتوخى التوصل إلى «مستويات متاحة في مجال توازنات الخزينة والمالية العمومية، كما يمثل تدابير من شأنها تعزيز العدالة الاجتماعية دون تكاليف اقتصادية إضافية وإصلاح الجباية وتسخير الميزانية لخدمة النمو والتنمية البشرية المستدامة...العدالة الاجتماعية تشكل الخط التوجيهي الثابت في عمل الجهاز التنفيذي في إطار مسعى توافقي مكرس من خلال الثلاثية»[٢]. ولعل الملاحظ اليوم أن تعبئة المقدّرات الوطنية الداخلية ساهم بشكل كبير في استقرار الميزانية العمومية، واللجوء الحكومي إلى رفع الضرائب وإعادة توجيه المدخرات وتفعيل السلوك الاقتصادي للنخب الاقتصادية، هو في الواقع تعبير عن نجاح الدولة خلال عشريات ماضية على بناء سوق عمل قوي يمثل ضمانة لأجل الاستقرار الاقتصادي، وهو في الوقت نفسه ضمانة حقيقية لأية محاولة للإخلال بالاستقرار الأمني والاجتماعي الذي يعرف اليوم حالة متفردة من النجاح في إقليم دولي متزعزع. غير أن ذلك لا يعفي من القول أن عطالة سوق العمل تنهل اليوم من اختلالات إيديولوجية واقتصادية ماضوية، «فنشأة ثقافة مقاولاتية ليس أمرا يسيرا، بالنظر إلى أن الملكية الخاصة نُظر إليها في السابق كرمز للرأسمالية الاستعمارية. وهو ما تترجم واقعيا بتعدد العوائق التي يواجهها الشباب أصحاب المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، والذين يتطورون في محيط خاص بسبب انتقال غير مكتمل واندماج سريع في الاقتصاد العالمي»[٣].

إن السيرورة السوسيواقتصادية التي سيعتمدها الباحثان لفهم حالة سوق العمل، تقوم على تفسير نوعية قطاع النشاط المهيمن،ونوعية العمل، ومجال المقاولة، والتي تمثل في الواقع توابع للنسق الاجتماعي الحاضن الذي ينتج لنفسه مخابيل اجتماعية عن المرأة، والقيم، والتعليم. فيما أن منهجية الدراسة ستقوم على قراءة سوسيولوجية للإحصائيات الرسمية التي ينتجها الديوان الوطني

للإحصاء، مع ربط تحولات سوق العمل بالنصوص المؤسسة للدولة عبر المراحل المختلفة (ميثاق وطني، وبيانات السياسة العامة للحكومة).

ثانياً-سوق العمل: الحقبة العثمانية وخلل العلاقة الريف/المدينة

اعتمد الاقتصاد الجزائري خلال العهد العثماني على الزراعة والرعي، وقد كرس النظام التركي آنذاك الفصل الاجتماعي بين عالمين متمايزين، المدينة والريف، ولكل منهما فئاته الاجتماعية المهيمنة وطرقه الخاصة في الكسب الاقتصادي وأيضا طريقته في المعاش. كانت الأغلبية الساحقة من السكان تعيش في الريف تحت سلطة قبلية وعروشية قوية وتقوم على فكرة العامل الفلاح الذي يشتغل لفائدة الجماعة الكبيرة، وينتظم في علاقته مع القبيلة على فكرتي الانتماء والولاء وأيضاً الملكية الجماعية. هذا النمط الإنتاجي استمر في الاشتغال الاجتماعي والاقتصادي إلى نهاية القرن التاسع عشر وعرف تهديماً وتفكيكاً ممنهجاً من طرف السلطات الاستعمارية. أما النمط الثاني من الإنتاج الاجتماعي والاقتصادي فيخص المدينة التي تحوز على سلطة مالية وحرفية وتجارية خصوصاً في السواحل، فيما يسجل ضعف ديمغرافية المدينة عموماً وضعف الحضور البشري للجزائريين في مقابل الأتراك والكراغلة واليهود والأندلسيين، فمدينة قسنطينة على سبيل المثال سنة ١٨٤٠ كان يسكنها خمسة وعشرون شخصاً وتحصي «١٢٦١ تاجراً مسلماً، ٢٠٣ تجار اسرائيلين و١١٦ تاجراً أوروبياً»[٤].

لقد سيطر العامل الفلاح على سوق العمل في تلك الحقبة، وتظهر القبيلة كوحدة اجتماعية واقتصادية قوة في ترسيخ وتجذير انكفاء الأهالي على مخرجات وخراج الأراضي الزراعية والرعوية التي تتملكها. هذه العملية التاريخية عطلت كثيراً تحول سوق العمل الجزائري الذي تمظهر في شكله الزراعي الصرف، ولم تستطع المانيفاكتورة أو التجارة من أن تستقطب اليد العاملة الريفية لصالح أعمالها الربحية. فضعف سلطة المدينة يمكن تفسيره بعدم قدرتها على جذب الريفيين للاندماج والتوطين فيها، وهذه العلاقة المضطربة بين العالمين الريفي والحضري دالة أيضا على مستوى العداء الذي سيصبغ المخيال الاجتماعي الجزائري مع المدينة باعتبارها مهمشة لهم وموجودة لخدمة وترقية فئات اجتماعية محددة ومحضية.

في المدينة تشير المراجع التاريخية الفرنسية في الأخص[٥]، إلى تباين حرفي بين الريف والمدينة. هذه الأخيرة عرفت قطاعين اثنين أحدهما يضم تعاضديات تتجمع بحسب نوعية المنتوج، وتتميز بهيكلية خاصة حيث يرأس كل وحدة منها أمين. وهذا الترتيب يشبه إلى حد بعيد ما كان سائدا في أوروبا القرون الوسطى. القطاع الثاني يتعلق بالتصنيع الكبير الحجم مثلما هو الحال بالنسبة إلى الورش البحرية، والنواعير الهوائية والصناعة الحربية، يقول ناصر الدين سعيدوني «إن المدن الجزائرية، كانت تضم العديد من الصناعات التي يحق لنا وصفها بالتنوع والإتقان والتنظيم، إذ كانت موزعة على عشرات النقابات المهنية. ففي مدينة قسنطينة كان عدد الحرف يناهز العشرين على رأس كل حرفة أمين، وفي مدينة الجزائر ناهز عدد المهن الأربعين، ولكل مهنة أمين يعرف بالصنعة التي يشرف عليها، كأمين الفضة وأمين الخياطين... وكل مهنة تختص بشارع أو سوق ينسب إليها»[٦]. وبذلك أصبحت الحرف والتجارة موردين لإنتاج فئوي محدد لسوق العمل في الجزائر المتشكل من التجار الكبار والصغار (البرجوازية) والصناعيين (أمين، صانع،

معلم، الصبي) وهو ما يجعلنا نخلص إلى أن سوق العمل لم يكن محمولا إلا على تأمين حاجات كفافية للمجتمع المديني والريفي، كما أنه لم يعرف توسعاً كبيراً بفعل هشاشة السلطة العثمانية الحاكمة التي أولت للنشاط البحري أهمية كبيرة في مرحلة أولى ثم استخدامها نظام الامتيازات الذي منح للشركات الأجنبية حق الاتجار والعمل في السوق المحلي على حساب البرجوازية الوطنية المحلية.

ثالثاً-سوق العمل بين النظامين الكولنيالي والأهلي

زادت حدة أزمة سوق العمل في الجزائر مع الظاهرة الاستعمارية، فعمليات التفكيك الاجتماعي والاقتصادي التي بدأتها السلطات الاستعمارية أدت إلى تبلتر متصاعد للجزائريين بسبب الإفقار والتهميش الذي لحق الأرياف. في المقابل استقطبت المدينة الاستعمارية الأهالي لأجل العمل كأجراء لدى المستوطنين، هذه العملية التاريخية جعلت سوق العمل يعرف تحولا بنيويا حيث تصاعد عدد الخماسة والعمال المياومين والعمال المانيفاكتوريين على حساب الفلاحين الأصلاء والتجار والحرفيين، وبذلك تسجل البروليتاريا الفلاحية في بداية القرن العشرين وما بين الحربين العالميتين «... نموا سريعا لها تحت تأثير توسع زراعة الكروم والنمو السكاني... في العام ١٩٥٤ يحصى في الجزائر ٥٧٣٠٠٠ عامل زراعي، منهم تقريباً أكثر من ١٠٠,٠٠٠ «دائم»، أما البقية فيتشكلون في غالبيتهم من «المياومين»: في الحقبة نفسها يتراوح عدد البطالين الريفيين بحسب التقديرات من ٤٠٠,٠٠٠ إلى مليون»[٧].

هذه التحولات في بنية الشغيلة، غلّبت هيمنة الفئات السوسيومهنية من مستقلين ومستخدمين (في قطاع التجارة الصغيرة والحرف)، وفلاحين على سوق العمل بما يساوي ٨٠٪ من السكان المشتغلين. فيما اقترنت هشاشة القطاع الصناعي المملوك للجزائريين بالسياسة الاستعمارية المحتشمة نحو الاستثمار الصناعي، لهذا فقد قدر عدد الصناعيين الجزائريين بنحو «بـ ١٥٥٤ جزائرياً مقابل ٥٤٦٦ أوروبياً يشتغلون في فروع الألبسة والصناعات الغذائية والفلاحية»[٨]، وهؤلاء يقتربون من الشكل المانيفاكتروي منه إلى الشكل الرأسمالي(ماكينات قديمة، وظروف عمل سيئة، وموارد مالية هشة، وتنظيم عمل تقليدي، وغياب رؤية للسوق وللتصدير). فالمدن التي يعيش فيها الأهالي افتقدت لعمالها المهرة الذين تحطمت صنائعهم أو صودرت حتى تلاشت بفعل تنافسية السلع الرأسمالية التي دخلت بسرعة في السوق المحلي واستقطبت إليها مستهلكين جدداً على حساب الإنتاج الحرفي التقليدي. ولأن التصور الكولونيالي للجزائري يقوم على الاستغلال لما هو متاح، فلم يكن همّ المستوطنين تنمية الصناعة بل فقط إنماء أعمال حرفية تسند القطاع الزراعي والتجاري، إذ تظهر بعض التحليلات الاقتصادية للثلث الأول للقرن العشرين مفادها أن الجزائر فيها «تأخر أكيد في التصنيع، ناتج عن منافسة بعض صناعات المتروبول، ونظام ضريبي غير متكيف مع وضعية التخلف للبلاد»[٩].

رابعاً-سوسيولوجية سوق العمل في الجزائر: ما وراء الأرقام - المجتمع يتحرك-

حالة العمل في مختلف القطاعات مرتبطة بمتغيرين اثنين: الأول يخص القرار الاستثماري للدولة في قطاعات محددة، وأيضاً بنمو الطلب الداخلي على الشغل والاستهلاك نتيجة الزيادة الديمغرافية، كما أن زيادة عدد المحافظات في سنوات السبعينيات والثمانينيات إلى ثمان وأربعين

محافظة حتّم على الدولة تجهيزها بالمنشآت القاعدية والإدارية المختلفة لأجل تسيير الساكنة والموارد الموجودة بها. إضافة إلى عامل آخر هو إتباع الحكومة لسياسة متوازنة في التنمية تأخذ في الحسبان توطين الساكنة في المجالات الترابية المختلفة سواء في الجنوب أو في الشمال.

هذا التوجه هو ما عزز حماية الدولة من ظاهرة النزوح الريفي التي تعاظمت في سنوات الاستقلال وما بعدها. بالنتيجة تحولات سوق العمل. ويمكن ملاحظتها في البيانات المعروضة في الجداول الموالية والتي تغطي الفترة ١٩٦٧-٢٠١١[١٠].

جدول يبين تطور سوق العمل في الجزائر بحسب قطاع النشاط خلال الفترة 1967-2011

قطاع النشاط	1967	1978	1988	1997	2000	2006	2009	2010	2011
الصناعة	123	375	621	584	826	1264	1194	1337	1367
البناء والأشغال العمومية	71	399	820	588	617	1258	1718	1886	1595
النقل	53	120	256						
التجارة والخدمات	321	430	651	2334	3864	4738	5318	5377	5603
الإدارة	306	565	1207	1317					
المجموع	874	1889	3555	4823	5307	7260	8230	8600	8565

تعكس معطيات بيانات الجداول التوجهات السياسية والاقتصادية للدولة، فتركز التشغيل في قطاعات النشاط متباين من سنة لأخرى، فحقبة الستينيات التي عرفت انطلاق المشروع التنموي القائم على الصناعة، عرفت تنامي التشغيل بهذا القطاع، مثلما هو الحال بالنسبة لقطاع البناء والأشغال العمومية والإدارة.

١- حقبة المأسسة والاندفاع للمشروع التنموي (١٩٦٩-١٩٨٥):

مثلت مرحلة استثمارية مهمة في جزائر الاستقلال بالنظر إلى حجم المنشآت والهياكل القاعدية التي تم بناؤها، والسكنات والقرى النموذجية التي تم بناؤها سواء في المدن أو في الأرياف. القطاع المشغل الجديد الذي ارتكزت عليه الدولة في عملها المحلي تمثل في الأخص في قطاع الجماعات المحلية والإدارات العمومية وقطاع الوظيفة العمومية، وهي حيوية بالنسبة للحكومة في تنفيذ خططها وبرامجها المحلية سواء الولائية أو البلدية، لهذا تميزت هذه الحقبة بزيادة «حصة التشغيل بالقطاع العمومي من إجمالي التشغيل، بحيث انتقلت من ٤٢,٢٦٪ سنة ١٩٦٧ إلى ٥٣-٨٩٪ سنة ١٩٦٩ وهذا مؤشر على عزم الدولة على النهوض بالقطاع العام والتقليص من نفوذ القطاع الخاص بما ينسجم ومنطق النظام الاشتراكي»[١١].

علينا التذكر أن هذه الحقبة تتعرف من خلال الدولة الوطنية المستثمرة، حيث تتغلغل في جميع البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، و«...تتصرف الدولة في هذه الحال كممثل للمصالح الواقعية للشعب الذي تتكفل به»[١٢]. هذا الدور هو حصيلة منطقية لتبني الدولة الخيار الاشتراكي في التنمية، فميثاق طرابلس العام ١٩٦٢ حدد بشكل واضح شكل الدولة وعلاقة القوى الاجتماعية في المجال العام، وبذلك يصبح

تشييد الجزائر لا يعني فقط «... طبقة اجتماعية واحدة مهما بلغت درجة تطورها ومعرفتها... ووحده الشعب يملك القدرة على هذا الإنجاز أي الفلاحون، العمال والمثقفون الثوريون»[١٣]، وهؤلاء يذكر ميثاق طرابلس بمشاركتهم الثورية في حرب التحرير، ويتوجب «على الحكومة الجزائرية المستقبلية... توفير العمل للبالغين، وتعليم الصغار، مكافحة الجوع والأمراض وأن يتحسسوا طعم الحياة من خلال قاطرة البناء الجماعي للبلاد»[١٤]. هذا التخصيص لفئات اجتماعية ينبغي أن يتضمنها سوق الإنتاج والعمل أزاح في الواقع ما كان يسميه الخطاب الرسمي البرجوازية المستغِلّة حليفة الإمبريالية، التي انغلقت مجاليا وإنتاجيا وتخندقت في أوعية استثمارية محافظة. هذه العلاقة بين القطاعين العمومي والخاص هي من أسست لهامش ارتياب بين الدولة والمجتمع الاقتصادي وعززت لاحقا نمو الأنشطة غير الرسمية. ميثاق طرابلس تطور لاحقا بميثاق الجزائر العام ١٩٦٤ الذي أكد الدور الدولاتي على الاقتصاد وغذّى العداء ضد كل أشكال الملكية الخاصة قومية كانت أم أجنبية. تحوّل الدولة للدور التشغيلي يوافق الحالة العامة للاقتصاد، والتي تشير إلى أن العمل الصناعي في الجزائر بلغ مائتي ألف وظيفة فقط، لساكنة يبلغ عددها ١١ مليون نسمة. لهذا فميثاق الجزائر لا يمثل تحليلا واقعيا لكينونة الاقتصاد القومي فحسب، ولكن تهيّئاً موضوعياً على الصعد الإيديولوجية والاقتصادية والثقافية لإحلال نظام ثوري مستقل ومتجاوز للوضعية الكولونيالية بكل ترسباتها. ومن بين القرارات المتخذة في المؤتمر الأول لحزب جبهة التحرير الوطني المنعقد من ١٦ إلى ٢١ أفريل ١٩٦٤ المصادق على ميثاق الجزائر[١٥]:

- تأميم التجارة الخارجية، البنوك والنقل.

- تعطى الأولوية للاستثمارات المنشأة للشغل، حتى يمكن مكافحة البطالة ونزيف اليد العاملة وتحفيز عودة المهاجرين خاصة العمال المؤهلين والتقنيين من خلال تهيئة هياكل الاستقبال المناسبة.

٢- حقبة مجتمع الأزمة (١٩٨٦-١٩٩٧):

إن مقاربة السلطة السياسية في مرحلة ما بعد الاستقلال لحل مشكلة البطالة كانت مُتَأسِّسة على الاعتماد على مداخيل ريعية تتأتى من الجباية البترولية خاصة بعد تأميم قطاع المحروقات كما سلف ذكره،و التي تم استثمارها – أي هذه المدخيل- في مجال التصنيع والاستثمار في البنية التحتية وتوسيع قطاع التوظيف العمومي، كانت نتيجته تراجع نسبة البطالة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٠ من ٢٤ ٪ إلى ١٥ ٪، إذ بلغ عدد مناصب العمل التي تم توفيرها ١٣٢ ألف منصب شغل سنوياً»[١٦].لكن مع بروز أولى بوادر فشل النموذج التنموي المُخَطّط وتراجع أسعار النفط في منتصف الثمانينات بداية من ١٩٨٦ وتزايد الضغط الديمغرافي وكذا مخرجات التعليم، فلم يكن بالإمكان مع شكل الاقتصاد الريعي المُدَوْلَن وغير المنتج مواجهة تصاعد معدلات البطالة، بل أضيفت لجملة هذه المصاعب سياسة إعادة هيكلة للمؤسسات والتي ساهمت في تسريح أعداد أكثر من العمال أي ارتفع معدل البطالة من ١٩,٧٪ سنة ١٩٩٠ إلى ٢٩٪ سنة ١٩٩٩.

لقد مثلت بداية حكم الرئيس الراحل الشاذلي بن جديد (١٩٧٩-١٩٩٢) مرحلة بداية تفكيك الإرث الاشتراكي وذلك بالشروع في إعادة هيكلة المؤسسات سنة ١٩٨٢، والتسويق لفكرة لامركزية التسيير، والتي كانت اعترافاً ضمنياً بفشل السياسات الاقتصادية والخيارات التنموية السابقة من التسيير الذاتي الى مركزية التسيير الاشتراكي كما لم يخرج نمط العلاقة الرابطة بين الدولة والمجتمع إلى غاية سنة ١٩٨٦ (على الأقل) على ذلك النوع من الزبونية والشعبوية؛ من خلال حالة الإشباع التي وفرتها الدولة من تشغيل وتوفير السكن والتعليم المجاني وسياسة التحويلات الاجتماعية،و التي كانت تستهدف المحافظة على القدرة الشرائية للفئات المحرومة والأهم للطبقة المتوسطة التي كانت (في اعتقادنا)مع نهاية السبعينيات «الحامل المجتمعي» للقطاع العام وتحت السلطة المطلقة للدولة الموجهة والناظمة لكل أشكال العلاقات داخله.

تأثر حجم الاستثمار في القطاع العام بشكل كبير منتصف الثمانينات وذلك بسبب الانهيار الذي عرفته أسعار النفط مما كان له بالغ الأثر على كل أشكال التوظيف التي كانت في أغلبها في وعاء القطاع العام «كما تزامنت هذه المرحلة الحرجة مع وصول أجيال عديدة إلى سوق العمل مما أدى إلى تفاقم الوضع أكثر مما كان عليه، وبدأت معدلات البطالة في الارتفاع، حيث انتقلت من نسبة ٨,٧٪ سنة ١٩٨٤ لترتفع سنة ١٩٨٧ إلى ٢١,٤٪، وهو تطور سريع جدا وخطير بالنظر إلى الفرق القصير في المدة»[١٧]. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال قراءة أرقام الجدول الموالي:

جدول التشغيل بحسب القطاعات الاقتصادية في الحقبة بين 1980و 1988[18]

القطاعات	1980-1984	1986	1988
الصناعة	105.700	8.000	5.000
البناء والأشغال العمومية	221.000	10000	11.000
الخدمات	183.000	8.000	13.000
الإدارة	285.000	45.000	32.000
الفلاحة	30.000	12.000	7.000
المجموع	824.700	83.000	61.000

يمكن ملاحظة ذلك التراجع المطرد في مناصب العمل المتوفرة في أهم القطاعات الأساسية المنوطة بالتوظيف وذلك من سنة ١٩٨٠ الى غاية سنة ١٩٨٨، وذلك يعود إلى ضعف الاستثمار المتواتر في هذه القطاعات مع التراجع المستمر لأسعار النفط، مع ملاحظة استحواذ قطاع الإدارة على أوسع وعاء للتشغيل مقارنة بالقطاعات الأخرى وهذا يعود طبعا لخصوصية العمل في هكذا قطاع والذي يضمن استقراراً وأمانًا وظيفيًا بشكل أكبر؛ هذا القطاع الذي عرف تراجعاً في التوظيف هو الاخر لضعف الموارد المالية للدولة وعدم قدرتها حتى بالتكفل باجرائها الناشطين.

لقد ساهمت هذه الوضعية الحرجة للاقتصاد في التمهيد لانتفاضة ١٩٨٨ كأول شكل من اشكال القطيعة التي يمكن تلمسها بوضوح بين الدولة والمجتمع والتي سبقتها الإضرابات التي تزايدت

بداية من سنة ١٩٨٦ وتصاعدت خاصة في قطاع الصناعة ولعل أهمها إضراب عمال الشركة الوطنية للسيارات الصناعية snvi بالروبية، لقد كان تدهور القدرة الشرائية وتفاقم أزمة السكن والبطالة والتي مثلت جملة المشكلات التي تعاني منها المدن في أغلب الحالات المحرك الأساسي في ذلك الحراك الاحتجاجي والذي مثل نكسة لتراكمات الأنموذج التنموي الاشتراكي الذي راهنت عليه الدولة سابقاً.

إذا لقد تميزت هذه المرحلة بخاصيتين: الأولى الأزمة النفطية التي أدت إلى تراجع عائدات الجزائر من العملة الأجنبية، والخاصية الثانية تتعلق بالحدثين السياسي والأمني اللذين رافقا الصعوبات الاقتصادية للبلاد.

كانت أحداث أكتوبر ١٩٨٨، وفوضوية العملية السياسية وما تلاها من انتخابات (١٩٩٠ و١٩٩١)، تعبيراً عن أزمة مجتمع، بتخبّط في أزمة اقتصادية حادة ومتعاظمة، جذّرت أزمة سوق العمل، ومع تدهور الحالة الاقتصادية والأمنية، تسارعت وتيرة الأزمة لتضرب المؤسسات الاقتصادية والصناعية والتجارية، مع ما رافق ذلك من إصلاحات هيكلية عمقت من البطالة التي التحق بها العمال المسرحون من المؤسسات العمومية، وتراجع كبير لعروض العمل التي كانت تقدمها الدولة، في ظل انكماش مبادرات القطاع الخاص التي لم تقدم نفسها كبديل مشغل لليد العاملة.

جمود سوق العمل القومي، حركته مبادرات الحكومة، إذ أطلق رئيس الحكومة الأسبق السيد مولود حمروش برنامجا لتشغيل الشباب في العام ١٩٩١، ولم ير النور بسبب حدة الأزمة الاقتصادية وضغوط المعارضة السياسية (الأحزاب الإسلامية). غير أن الدولة برغم ذلك لجأت إلى حلول ظرفية لتجاوز أزمة سوق العمل تمثلت في تعظيم حجم التشغيل في قطاع الإدارة والخدمات والنقل على حساب قطاعي البناء والأشغال العمومية والصناعة اللذين تعرضا للأعمال التخريبية وأيضا للخصخصة نتيجة الإصلاحات الهيكلية التي ابتدأتها الجزائر سنة ١٩٩٣ تحت إشراف صندوق النقد الدولي، ما أدى إلى تسريح مئات آلاف العمال في القطاع العمومي، وفي الوقت نفسه تخلف القطاع الخاص العتيق عن تعويض سوق العمل بفرص عمل تسمح بتقليص عبء التكلفة الاجتماعية عن الدولة المنضبطة مع تعليمات المؤسسات المالية الدولية.

تبقى هذه الحقبة غير منفلتة عن المنطق الاجتماعي الذي يقلص من الحضور النسوي في عالم الشغل، فرغم أن التشريعات القومية لا تفرق في الأجر والحماية الاجتماعية بين الإناث والذكور، وحتى بالنسبة للمرأة المتزوجة فليس هناك أي مانع قانوني أو هيكلي يحد من ولوجها للشغل، غير أن الخضوع والتبعية للزوج تجعل قرار العمل ومن ثم نوعيته وعائده خاضعاً لرغبة وقرار الزوج. «فهل من الصدفة بحسب التقديرات أن أغلبية النساء العاملات خارج البيت يعشن بمفردهن (عازبات، أرامل، مطلقات)؟»[١٩]. وحتى العام ١٩٩٦ ارتفعت بشكل متواضع حصة النساء من التشغيل العام لتبلغ ١٣,٢٪ وهي الأعلى منذ الاستقلال.

٣- حقبة إعادة تموضع سوق العمل في جزائر التحول (٢٠٠٠م إلى اليوم):

عرفت هذه الحقبة تحولاً اقتصادياً وسياسياً للجزائر، فعلى المستوى السياسي عرفت البلاد استقراراً أمنياً وسياسياً من خلال انتخابات رئاسية وتشريعية وبلدية وتعديلات دستورية وإصلاحات تشريعية تخص قانون الانتخابات، والأحوال الشخصية، وترقية المشاركة النسوية. «وتظهر الإحصائيات الرسمية أن الانخفاض في معدل البطالة سار جنبا إلى جنب مع تنامي القطاع غير

الرسمي. وفيما انخفض معدل البطالة من ٣٠ إلى ١٠ في المئة تقريباً على مدى العقد الماضي، ازدهر القطاع غير الرسمي، وارتفعت مساهمته في جميع الوظائف التي وفّرها الاقتصاد من أقل من ٢٠ في المئة إلى أكثر من ٢٧ في المئة في العام ٢٠٠٧»[٢٠]. وتنامي هذا القطاع في الجزائر راجع إلى مزايا يتمتع بها مقارنة بالقطاع الرسمي منها «سهولة الحصول على دخل، اكتساب خبراته بعيدا عن التعليم الرسمي، تدني مستوى التعليم والمهارات، عدم خضوعه لضوابط إجرائية معقدة، يوفر فرص عمل لشريحة كبيرة من المجتمع»[٢١].

هذه المرحلة تمثل نجاح الجزائر في برنامج التصحيح الهيكلي الذي سمح بتخفيف الصعوبات المالية للبلاد، وكرس المنطق الإنتاجي الربحي للمؤسسات العمومية. غير أن سياسة الدولة فيما يخص العدالة الاجتماعية لم تنقطع يوماً عن إسناد الفئات الاجتماعية الهشة من الخدمات والسلع الضرورية للساكنة. لهذا فقد كانت هذه المرحلة تسير في اتجاهين استدراك تخلف البنية التحتية نتيجة انقطاع الدولة عن الاستثمارات العمومية بفعل الأزمة المالية، وأيضاً التخريب الذي دمر الكثير من المؤسسات والمنشآت العمومية. لقد كانت الحاجة إذن ملحة للدفع بالتنمية من جديد، ولكن كان لا بد من تحمل التكلفة الاجتماعية لأكثر من عشر سنوات من الإرهاب، في الأرياف والمدن، من هنا أطلقت الدولة برنامجين أحدهما اجتماعي/أمني (المصالحة الوطنية) والثاني اقتصادي/تشغيلي يقوم على لملمة اللحمة الوطنية لتجفيف المنابع البشرية والاجتماعية للإرهاب، إذ أقرّت الحكومات المتعاقبة سلسلة من المبادرات الهادفة لاستيعاب الشباب نحو الشغل. تمثلت في أجهزة الإدماج والمرافقة والتشغيل والقروض الموجهة للشباب للعمل إما في عقود مؤقتة أو محددة المدة في مختلف قطاعات النشاط أو منح مبالغ مالية لدعم مشروعات الشباب المقاول بغية دعم مخطط تنمية المؤسسات المصغرة والصغيرة والمتوسطة. هذه المبادرات سمحت بتراجع نسب البطالة والتي تحققت «تحت أثر البرامج التنموية التي تم إطلاقها في السنوات الأخيرة، لا سيما المشاريع المسجلة في قطاع السكن والمقاولات، حيث يحتل البناء والأشغال العمومية مرتبة مهمة في امتصاص البطالة (١٩,٤٪) بعد قطاعي التجارة والخدمات (٥٥,٢٪) إلى جانب النقص الفادح في الصناعة (١٣,٧٪) والفلاحة (١١,٧٪) عام ٢٠١٠»[٢٢]. كما أن مخطط الحكومة في تشجيع القروض الموجهة لإنشاء المؤسسات ساهم بشكل كبير في بلورة منطق تشغيلي بعيد عن السيرورة الدولاتية في الاستقطاب لليد العاملة، فهذه المؤسسات الصغيرة والمتوسطة استطاعت «امتصاص جزء كبير من البطالة أي بعدما كانت ٨٣٨٥٠٤ منصب شغل سنة ٢٠٠٤ تضاعفت لتصل إلى ١٧٢٠٠٠٠ منصب أواخر ٢٠١١ فهي بذلك تساهم بنسبة ٥٦٪ من اليد العاملة وتساهم بنسبة ٤٨٪ من الناتج الداخلي الخام»[٢٣].

من الناحية التنموية عرفت بداية الألفية الثانية إطلاق برامج خماسية لإعادة بناء البلاد، رصد لها أكثر من ثمانمائة مليار دولار لأجل المنشآت القاعدية الكبرى، والسكن، وتحسين مستوى المعيشة، وبناء الموافق التعليمية والصحية ودعم المشاريع الاستثمارية المحلية والأجنبية. هذه المرحلة عرف التشغيل تصاعدا في قطاع الصناعة والبناء والإدارة. والملاحظ أن التشغيل هنا لم يقتصر هذه المرة على ما توفره الدولة من مناصب عمل، بل إن مساهمة القطاع الخاص الذي تشجعه

الدولة بإغراءات وتحفيزات ضريبية وتمويلية كبيرة ساهم في توفير ملايين مناصب الشغل ما انعكس في تراجع البطالة من ٢٨٪ إلى سنة ١٩٩٩ لتبلغ ١٧,٧٪ العام ٢٠٠٤ ثم ١٣,٧٩٪ سنة ٢٠٠٧، لتنخفض إلى ١٠٪ سنة ٢٠١٦. وعلى الرغم من أهمية المناصب المنشأة، غير أن ملمحاً آخر يجب ذكره ويتعلق بالأجهزة المكلفة بالتشغيل المنوط بها توفير مناصب عمل مؤقتة وليست دائمة، «ففي سنة ٢٠٠٥ نجد ٥٨٪ من الأجراء مؤقتين. هذا التوجه يصاحبه غياب الحماية الاجتماعية والإحساس بعدم الأمان في الشغل»[٢٤]. تحولات سوق العمل في الجزائر خلال هذه الحقبة يظهرها الجدول الموالي:

جدول يبين وضعية سوق العمل بحسب قطاع النشاط من سنة ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٥[٢٥]

المؤشرات	2008	2011	2012	2013	2014	2015
عدد المشتغلين	9146000	9599000	10170000	10788000	10566000	10594000
نسبة التشغيل	% 41.7	% 40	% 42	% 39	% 5.37	% 37.1
الفلاحة	1252000	1034000	912000	1141000	1007000	917000
الصناعة	1141000	1367000	1335000	1407000	13290000	1377000
بناء وأشغال عمومية	1575000	1595000	1663000	1791000	1743000	1776000
تجارة، خدمات إدارية	5178000	5603000	6260000	6449000	6486000	6524000
نسبة البطالة	% 11.3	% 10	% 11	% 9.8	% 9.8	% 11.2

تظهر البيانات سنتين مهمتين عرفهما سوق العمل، تراجع كبير في نسبة التشغيل سنة ٢٠١١، والتي هي مقترنة بما يسمى الربيع العربي، ويبدو أن انكفاء الاقتصاد القومي عن توفير مناصب الشغل كان أهم العوامل التي غذت بل ودفعت إلى محاولة شحن الجماهير لأجل حراك يتماهى مع ما عرفته بلدان عربية أخرى في ذلك الوقت، غير أن الملاحظ أن السنة التي تلتها (٢٠١٢) صاغت بوضوح ديناميكية الحكومة التي وفرت من خلال أجهزتها ومن خلال القطاع مناصب شغل لتظل وتيرة التشغيل في شكل متصاعد. المؤشر الثاني مرتبط بتراجع التوظيف في سنة ٢٠١٤، وهي مناسبة تقترن بإقرار الدولة للعقد الاقتصادي والاجتماعي للنمو، والذي عبرت فيه صراحة عن ضرورة تساند القوى الاجتماعية والاقتصادية لأجل تحمل التكاليف الاقتصادية والاجتماعية التي ستنجر مستقبلا للتخلي عن التبعية لتقلبات أسواق النفط.

مؤشر قطاع التجارة والخدمات يبدو أنه حافظ على نمو مرتفع في التشغيل، هذا النشاط يمثل أساساً تجارة التجزئة والخدمات المتعلقة بالتأمينات والهاتف النقال وغيرها. هذا التوجه في التشغيل ليس بغريب في المنطق الاقتصادي الدولي وهو يعرف تنامياً بفعل التقدم التكنولوجي في الاتصال والإعلام والمهن المرافقة للمدنية الحديثة التي تفرضها احتياجات الساكنة، و«يجب التنبيه إلى أن قطاع النقل ويليه قطاع الاتصالات هما المبرران لهذا الاستقطاب، بينما لا تزال السياحة تعاني من التدهور، وتراوح مكانها على الرغم من إمكانيات الجزائر الطبيعية»[٢٦].

في الأخير قطاعان اقتصاديان يؤشران لحالة من الضبابية، يتعلق الأمر بالبناء والأشغال العمومية التي تعرف تذبذباً كبيراً، بالنظر إلى تعلقه بالمشاريع الخاصة بالسكن والمنشآت المختلفة (طرق،

وجسور، ومرافئ، وموانئ، وسدود، وهياكل فندقية، ومؤسسات تعليمية،...)، وإذا نظرنا إلى استراتيجية الدولة لما بعد الأزمة النفطية، فهي اتخذت إجراءات لتجميد كثير من المشروعات وتأجيل أخرى إلى حين تحقيق التوازن المالي للدولة. القطاع الآخر هو الفلاحة الذي يعرف نزفا كبيرا في قدرته التشغيلية، لهذا فهو بالنسبة للدولة رهان كبير للحد من التبعية الغذائية.

ولكن هل يمكن الإقرار بإيجابية سوق العمل في الجزائر وفقا لتحولات الاقتصاد القومي في ظل برامج النمو والسياسات الحكومية؟ بالطبع لا يمكن إغفال انخفاض متواصل لنسب البطالة من سنة لأخرى، وأيضاً دخول فاعلين أقوياء في السوق الاقتصاد في عمليات التوظيف، كما أن الدولة ساهمت من جهتها في تحفيز الشباب على المقاولاتية.

إلا أن هذه الحقبة مثلما عرفت ازدهاراً استثمارياً عمومياً وخاصاً، فقد نما فيها أيضاً وبشكل قوي القطاع غير الرسمي فهو في العام ٢٠٠٧ من بين «٧,٢٪ مليون عامل (٦,١٪ عدا الفلاحة)، ٣,٨٪ مليون (٢,٨٪ عدا الفلاحة) يشغلون عملا غير رسمي. فحصة العمل غير الرسمي في التشغيل ارتفعت بأقل من ثلاث نقاط في السنوات ٢٠٠١-٢٠٠٧ في الاقتصاد عامة، ولكن بـ ٨,٥٪ نقطة خارج الفلاحة... تخلي الدولة عن التشغيل لم ترافقه ديناميكية توظيف خاصة رسمية كافية، فهذا الأخير ينمو بـ ٥٤٪ ولكن مساهمته في إنماء التشغيل تصل ٩٪ في مقابل ٢٨٪ للتشغيل غير الرسمي»[٢٧]. وبالنظر إلى ضبابية القطاع غير الرسمي، تشير تحليلات اقتصادية أخرى أن «حصة التوظيف في القطاع غير الرسمي بلغت ٤٢,٦ في المئة في العام ٢٠٠٧، مرتفعة من ٣٩,٩ في المئة إذا أخذنا في الاعتبار عمليات التوظيف في القطاع الخاص لافي المناطق الحضرية. وفقاً لذلك، فإن مساهمة القطاع غير الرسمي في خلق فرص العمل على مدى القترة ٢٠٠٠-٢٠٠٧ تصل إلى ١٥٠ ألف وظيفة جديدة كل عام، أي ما يعادل ٤٥ في المئة من فرص العمل المستحدثة في الجزائر خلال تلك الفترة»[٢٨].

خاصية العمل غير الرسمي، تتناسب مع حجم المؤسسات التي ينشئها أصحاب الأعمال غير الرسميين، فعدد العاملين في المنشأة خاضع لتحجيم معين يسمح بالتمويه واللعب في المجال الاقتصادي والاجتماعي، وعلينا التذكر أن أغلب المؤسسات توجد في أحياء عمرانية حضرية وليس في مناطق صناعية مراقبة من الدولة، الجدول الموالي يمنح صورة عن منطق المؤسسات غير الرسمية:

جدول يوضح حصة التوظيف غير الرسمي من التشغيل بحسب حجم المؤسسات بين سنتي 2001-2007[29]

تشغيل خارج الفلاحة	2001	2007
0-4 أجير	% 70.9	% 75.4
5-9 أجير	% 70.7	% 70.1
10 أجراء وأكثر	% 6.2	% 11.6

يحجز التوظيف غير الرسمي حصة الثلاثة أرباع من التشغيل العام في المؤسسات التي يقل عدد عمالها عن تسعة عاملين، فيما لم يسجل انخراط قوي في المؤسسات التي تشغل أكثر من عشرة أجراء. إن منطق المؤسسة المصغرة يتناسب مع حركية السوق الاقتصادي، سيما في تلبية الاحتياجات المباشرة للساكنة. العلاقة التاريخية لهذا النشاط غير الرسمي مع المجتمع المحلي تغذي في الواقع استمراريته كنشاط اجتماعي وثقافي يدعم الاقتصاد القرابي والعائلي الذي يقوم على التحالفات الدموية أو العشائرية الحمائية. وفي جانب آخر يحتفظ هذا النشاط بخاصية التوازن والقطع، فمن جهة يعمل على الإبقاء على عمالة مستمرة في الزمن التشغيلي، وفي جانب آخر يقوم على تنمية عمالة أخرى يقوم باستقطابها بشكل متقطع ومناسباتي مستفيداً من توسع العمل الأجري الرسمي المؤقت الذي لم يعد يغري الفئات الاجتماعية الملتحقة بسوق العمل.

إلى اليوم لا يزال القطاع غير الرسمي يزحف بشكل كبير على سوق العمل، خاصة وأن مناصب الشغل التي يعرضها تتواجد في الخدمات «(٣٣٪) متبوعاً بالفلاحة (٣٠٪)، والبناء والأشغال العمومية (٢٥٪) ويساهم بشكل أقل في الصناعة (١٢٪)»[٣٠]، وعليه فالقطاع غير الرسمي يعبر عن هشاشة معروض مناصب الشغل التي يقدمها القطاع الرسمي سواء كان عمومياً أو خاصاً أو أجنبياً. وحتى سنة ٢٠١٠ «يسمح تطور بنية التشغيل غير الرسمي خلال هذه الفترة بملاحظة أن التشغيل غير الرسمي ينمو في قطاعات الصناعة والبناء. في الصناعة التشغيل غير الرسمي ارتفع للضعفين (٢,٠٤ مرة)، أما قطاع البناء والأشغال العمومية فقد نما بـ ١٦ نقطة. في المقابل تناقصت حصته في قطاع التجارة (أقل من ١٢,٢ نقطة) وفي الخدمات (١٢,٦ نقطة). إن اتجاه تطور نسبة البطالة والتشغيل غير الرسمي في هذه الفترة تسمح باستنتاج أن القطاع غير الرسمي امتص حصة من البطالين»[٣١]، وهو ما يؤشر إلى ضعف نوعية المناصب المقدمة، وانتفاء الحماية الاجتماعية في مقابل ارتفاع الشعور بالأمن المهني. غير أن تقييم القطاع غير الرسمي بشكل شمولي قد يحجب الرؤية عن تحولات الوظائف فيه، فالرؤية السابقة التي تعتقد بتفضيلات عديمي التأهيل والكفاءة للاشتغال في القطاع غير الرسمي، تغيرت تماماً، فمهن البناء والتجارة والنقل والنسيج والميكانيك والسياحة والخبازين والجزارين، لم تعد وحدها واجهة القطاع غير الرسمي، فالأمر تعداه إلى مهن أخرى «تتطلب تكويناً عالياً. ويشتغل ١٧ ٪ من أطباء الأسنان في السوق غير الرسمية، و١٦٪ من المهندسين المعماريين، و١٥ بالمئة من المهندسين في الإعلام الآلي، و١٤٪ من المحامين، و٩ ٪ من الخبراء المحاسبين، و٥ ٪ من الأساتذة و٤ بالمئة من المختصين في الصحة»[٣٢].

كل هذه التغيرات في بنية سوق العمل غير الرسمي تبعث على القلق من السلوك المجتمعي الذي يميل إلى التفلت من الضبط الاجتماعي والاقتصادي. بنية القطاع غير الرسمي لا تتعرف فقط من خلال المهن فقط، ولكن أيضاً بالحالة العمرية، إذ يتمركز الشباب من فئة العمر ١٥و٢٤ سنة في القطاع الفلاحي مقارنة بالأشخاص من فئة العمر ٣٥ و٦٣ سنة، «وتقلص تمثيل الشبان بالمقارنة

مع البالغين في القطاعات المحمية: الإدارة والقطاع العمومي الاقتصادي. كما أنهم غير ممثلين بشكل كبير في فئة العمل الأجير المصرح به في القطاع الخاص مقارنة بالبالغين. غير أن هذه الوضعية انقلبت في سنة ٢٠١٠. فلقد لوحظ تواجد متزايد في الفئات غير المحمية وفي قطاع العمل الأجير غير المصرح به لدى الضمان الاجتماعي في القطاع الخاص. وبالتالي فإن الوضعية لم تتحسن كثيرا بين ١٩٩٧ و٢٠١٠»[٣٣].

ومن المهم الإشارة إلى أن الحكومة من خلال البرنامج الخماسي للنمو الاقتصادي (٢٠١٠-٢٠١٤) أقرت ٤٠٪ من الميزانية لأجل «تنمية الموارد البشرية في مجال التشغيل تحقيق ٣ ملايين من صب عمل في غضون ٢٠١٤، منها ١٥٠٠٠٠٠ منصب في إطار البرامج العمومية لدعم القطاع، وقد قدر الغلاف المالي بـ ٣٥٠ مليار دج لمراجعة الإدماج المهني لخريجي الجامعات والتكوين المهني بهدف تقليص معدل البطالة»[٣٤].

تحولات سوق العمل اقترنت إذن بسياسات الحكومة الهادفة لتقليص البطالة، كما اقترنت أيضاً بتوجهات اجتماعية ارتكزت على تقييم إيجابي للتعليم والتكوين، وعلى إعادة الاعتبار للتشغيل الأنثوي الذي ظل لفترة طويلة مقترنا بالعمل الفلاحي في الأرياف، وعلى التربية والتكوين في المدن، وعلى تشجيع المقاولاتية لدى الشباب كي يخلقوا بأنفسهم فرص عمل، بدعم ومرافقة وكالات وصناديق حكومية، وقد سمح قانون الموازنة التكميلية لسنة ٢٠١١، بـ «عدة إعفاءات وتخفيضات للشباب المرقي (المقاول) المستفيد من الصندوق الوطني لدعم تشغيل الشباب والصندوق الوطني لدعم القرض المصغر والصندوق الوطني للتأمين على البطالة، ويتعلق الأمر بالإعفاء أو التخفيض لمدة ثلاث سنوات من أرباح الشركات والرسم على الدخل الإجمالي والرسم العقاري، رسوم التسجيل»[٣٥].

خامساً- سوق العمل والمنطق الاجتماعي

يسجل أن نسبة النشاط تزداد مع متغير العمر أي من سن ١٥ سنة حتى سن ٤٤ سنة بالنسبة للرجال، وتتناقص شيئاً فشيئاً مع تقدم العمر، وتشير الإحصائيات أن السكان المشتغلين مقدر العام ٢٠١٤ بـ ١٠٢٣٩٠٠٠ أي ما يعادل نسبة ٢٦٪، تشكل فيه النساء نسبة ١٦,٨٪ من المجموع العام. أما البطالة فهي في عمومها منخفضة، ولكن قراءة خلافية لفئات الأعمار تعطي لنا تصوراً سلبياً لواقع البطالة التي تزداد لدى الفئة العمرية ١٦-٢٤ سنة بحوالي ٢٥,٢٪، وتخص بالأساس الجامعين بنسبة ١٦,٤٪ في سبتمبر ٢٠١٤، وتخص ١٠,٩٪ لدى الرجال و٢٢,١٪ لدى الإناث[٣٦].

منطق سوق العمل في الجزائر، ضبابي وأيضاً متمايز بحسب الجنس والسن، فالساكنة غير المشتغلة التي يزيد عمرها عن ١٥ سنة يبلغ تعدادها ١٦٦٥٨٠٠٠ شخص منهم ١١٨٧٣٠٠٠ من النساء ما يعادل ٧١,٣٪ سنة ٢٠١٤، والملاحظ أن التعليم والتكوين في جميع أطواره يلعب دوراً في إبطاء دخول هؤلاء إلى عالم الشغل. تمركز اليد العاملة نجده تحول من القطاع الدولاتي إلى القطاع الخاص وهو ما يبينه الجدول الموالي:

جدول يبين توزيع المشتغلين بحسب القطاع القانوني والجنس ومحل الإقامة سنة ٢٠١٥[٣٧]

	ذكر	أنثى	مجموع
الحضر			
العمومي	% 40.1	**% 65.8**	% 45.5
خاص-مختلط	**% 59.9**	% 34.2	**% 54.5**
مجموع جزئي	% 100	% 100	% 100
الريف			
العمومي	% 31.5	**% 57.9**	% 34.6
خاص-مختلط	**% 68.5**	% 42.1	**% 65.4**
مجموع جزئي	% 100	% 100	% 100
الكلي			
عمومي	% 37.1	**% 64.1**	% 42
خاص-مختلط	**% 62.9**	% 35.9	**% 58**
المجموع	% 100	% 100	% 100

تعرض بيانات الجدول أهمية القطاع الخاص في تشغيل اليد العاملة (٥٨٪)، ويستقطب الذكور بنسبة (٦٢,٩٪)، بينما تتواجد الإناث في القطاع العمومي بنسبة (٦٤,١٪). أما على المستوى القطاعي والمجالي، فالتشغيل يسيطر عليه في الوسط الحضري القطاع الخاص بنسبة(٥٤,٥٪) ويستقطب الذكور(٥٩,٩٪) بينما السلوك التشغيلي عند الإناث يميل لناحية المؤسسات العمومية بنسبة (٦٥,٨٪).وعلى نفس المنوال وبأكثر حدة يتمركز التشغيل في القطاع الخاص في الوسط الريفي (٦٥,٤٪) إذ يحوز الذكور على نسبة (٦٨,٥٪) فيما تتواجد الإناث بنسبة (٦٨,٥٪). برغم هشاشة الحضور النسوي في سوق العمل، غير أن ذلك لا ينفي التعزيز المتواصل لتواجدهن في مختلف قطاعات النشاط، ويمكن تفسير هذا الاتجاه الجديد في السنوات الأخيرة إلى «تعاظم الفقر، وديناميكية القطاع غير الرسمي المستنزفة للنساء في سوق العمل والممكنة للعمل المنزلي بالازدياد بشكل محسوس، وارتفاع المستوى التعليمي الذي فتح المجال لتأخر عمر الزواج وضغط باتجاه تعديل القيم المرتبطة بالعمل لدى الفتيات حيث الاندماج في عالم الشغل أقل صعوبة كما للمرأة المتزوجة»[٣٨].

يسجل في السنوات الأخيرة، دخول القطاع الخاص بقوة في التشغيل العام، حيث يهيمن على نسبة تشغيلية عالية مقارنة بالقطاع الدولاني، وعليه «فإن سوق العمل يتميز بهيمنة التشغيل في القطاع الخاص. هذا الأخير يتجاوز القطاع العمومي منذ سنوات ١٩٩٠. من المفيد التأكيد بأنه في العام ١٩٨٩ كان القطاع العمومي المشغل الكبير، موفرا ٥٤٪ من الوظائف. في العام ٢٠١١ حصة القطاع العمومي من التشغيل انخفضت إلى ٤٠٪، فيما زادت حصة القطاع الخاص من التشغيل ٦٠٪... من هنا فغالبية الأجراء للقطاع الخاص يشغلون وظائف مؤقتة (٧٩,٥٪ العام ٢٠١١)، فيما تتواجد الوظائف غير محددة المدة في القطاع العمومي»[٣٩].

لقد انحسر الاستثمار العمومي بفعل رؤية الدولة للنمو الاقتصادي حيث احتفظت الدولة بالمجمعات الصناعية والتجارية الاستراتيجية والتي تظل إلى اليوم تحقق قيمة ربحية عالية. وعلى هذا الأساس يمثل الاستثمار العمومي في البنى القاعدية والسكن وتحرير التجارة الخارجية والصناعات الغذائية والإلكترونية استراتيجية مقاولاتية يضطلع بها رجال الأعمال وأرباب العمل الخواص. ومن

المهم الإشارة إلى نمو نشاط المناولة في ما يخص المشروعات الكبرى والذي يحوز عليها القطاع الخاص، دون نسيان أن البرامج الحكومية في التنمية اعتمدت على تنمية المؤسسات الصغيرة والمتوسطة المنشأة من طرف الشباب والتي وظفت الكثير من اليد العاملة.

استقطاب اليد العاملة لا يتوقف عند القطاعين العمومي والخاص، «فسوق العمل يشتغل بسرعتين مختلفتين: قطاع رسمي يدار بمعايير وتشريعات العمل، وقطاع غير رسمي على هامش الشرعية مثلما هي محددة بقانون العمل»[٤٠] إذن يحوز القطاع غير الرسمي على كتلة بشرية معتبرة، فهو مستفيد من العملية التشغيلية لطالبي العمل الذين هم من المتسربين من المنظمة التعليمية والتكوينية أو المتقاعدين أو من المتمدرسين. خاصيات العمل غير الرسمي تتمثل في ضعف الأجور وعدم استقرار نشاطاته وتواضع وسائل الإنتاج وأمكنته، لهذا فنجاعته الربحية متأتية من اعتماده على العمل المنزلي، وعلى العلاقات القرابية في التوظيف والتسيير والتوسع في المجالات السوقية. والتعرف على القطاع غير الرسمي إجرائياً غير ممكن في الواقع بالنظر لهلاميته واختفائه المكاني والبشري، وعلى سبيل المثال ففرع التجارة الذي يساهم «في حدود ٥٠٪ من القيمة المضافة للخدمات يضم حصة من النشاط غير الرسمي تقدر بأكثر من ثلث النشاط التجاري الإجمالي. ومن بين ٤٧٠,٨٢٦ تاجرا تم إحصاؤهم فإن ٢٠٠,٠٠٠ لا يمارسون نشاطهم طبقاً للقانون، كما أن أكثر من ٥٠٪ من التجار لا يسددون اشتراكاتهم الاجتماعية. ومن جهة أخرى فإن أكثر من ٧٠٠ سوق غير شرعية ينشط بها ١٠٠,٠٠٠ شخص»[٤١].

وقد رصد جهاز الإحصاء القومي مؤشر عدم انخراط قوة العمل في صندوق الضمان الاجتماعي للدلالة على وجود القطاع غير الرسمي، ويظهر أن «أغلبية العمال باشروا نشاطهم غير الرسمي في سنوات التسعينات من القرن الماضي، بحيث أصبحت الأقدمية ظاهرة يمكن ملاحظتها، وفي الوقت نفسه، بإمكاننا الحديث عن تعاقب أجيال في هذا الشكل من النشاط بدون وجود لتغطية للحماية الاجتماعية، ويحافظ العمل غير الرسمي، بصفة عامة على نوع من الديناميكية بحيث أن نسبة ٤٢٪ إلى ٤٥٪ من الفئة الشغيلة لم تساهم في دفع مستحقات الضمان الاجتماعي في الفترة ما بين سنة ٢٠٠٣ إلى سنة ٢٠١٠»[٤٢]. غير أن هذا المؤشر المعتمد على التقييد لدى الأجهزة المختصة، لا يقدم قراءة محددة وتعريفية لحجم اليد العاملة الموجودة في القطاع غير الرسمي.

إن تعدد الأنشطة غير الرسمية خاصة في الخدمات والتجارة والصناعة التحويلية والأعمال المانيفاكتورية المختلفة، والأعمال الفلاحية، وغيرها تمثل مجالات تخزين بشري غير معلومة، كما أنه يمثل اللقاء الأول لطالبي العمل مع المهنة لأجل اكتساب الخبرة. برغم كل شيء يظل هذا القطاع يلعب دورا في تجهيز اليد العاملة للولوج للقطاع الرسمي، بكلام آخر أنه يسند الشغيلة بالمعرفة النظرية والتطبيقية التي ينبغي لهم حيازتها لأجل الولوج في عالم الشغل. من هنا ليس مناسباً القول بهشاشة تعداد اليد العاملة في القطاع غير الرسمي طالما أن سوقه البشرية تعرف دينامية متواصلة.

عطفاً على ما سبق، فإن سوسيولوجية سوق العمل القومي تؤشر لتضخم متصاعد لقوة العمل النشطة بفعل النمو الديمغرافي من جهة، ومن

جهة ثانية سياسة التعليم والتمهين التي اعتمدتها الحكومة الجزائرية، لهذا تتركز البطالة اليوم لدى الأفراد الحاملين للشهادات الجامعية ومعاهد التكوين المهني، وهؤلاء تقل تتراوح أعمارهم بين ٢٢-٢٩ سنة. في مقابل عرض العمالة المرتفع يتباطأ نمو الطلب على العمالة وذلك بسبب «غياب جهاز عرض إنتاجي مرن قادر على استيعاب وامتصاص أكبر كمية ممكنة من المعروض البشري المتاح، ومن ثم ضعف قدرة النسيج المؤسساتي على توليد فرص مستديمة للتوظيف»[٤٣]. الملاحظة الأخرى التي تميز سوق العمل هي أنه غير مبني على العروض التي تتقدم بها الجهات الرسمية، فالاقتصاد غير الرسمي الذي نشط بفعل سياسة الانفتاح الاقتصادي، لعب دورا في استقطاب يد عاملة متكيفة ومشتغلة وفقا للمنطوقات الاجتماعية والاقتصادية المحبذة لمؤسسات الاقتصاد غير الرسمي. اليد العاملة هذه تتشكل من «الأشخاص المصرحين بالبطالة غير أنهم يمارسون أنشطة تدر دخلاً لأصحابها، العاملات بالبيوت، المساعدات العائلية أو الجوارية التي يقدمها الأشخاص، العمال بالمؤسسات غير المؤمنة»[٤٤]. كما يمثل المتمدرسون فئة مهمة في سوق العمل من خلال امتهانهم لأعمال محدودة المدة، والمتسربون من المنظومة التربوية والذين ينخرطون بسهولة فهذا النوع من الاقتصاد الذي لا يتطلب قدرات تكوينية ومهنية عالية، وأخيراً المتقاعدون من المؤسسات العمومية الذين استفادوا خلال العقدين الماضيين من التقاعد النسبي والتقاعد المسبق.

على المستوى الماكروسوسيولوجي علينا أن نسجل في السنوات الأخيرة حصول تحول في سوق العمل يدعو إلى القلق من جوانب متعددة، الأول أن هناك عمالة يتم تنشئتها بعيداً عن مراقبة الدولة، وأن عملية توسعة القاعدة المادية للقطاع الخاص يجب أن يرافقها جهاز إيديولوجي للدولة وللمجتمع المدني لتأطير هؤلاء ومن ثم توجيههم نحو التنمية الاجتماعية والمدنية ضمن سياسات الحكومة. الجانب الثاني وهو متعلق بغياب كلي للمؤسسات التعليمية والتكوينية التي يشرف عليها القطاع الخاص، والمنطق الذي تعتمده الدولة في تكوين الإطـــارات لصالح المشـروعات التنمويـة لا يأخذ في الحسبان ضرورة مشاركة القطاع الخاص في هذه العملية، ومن الناحية الربحية يسجل أن القطاع الخاص يستفيد وينافس الدولة ومؤسساتها في استقطاب اليد العاملة ذات الكفاءة والتأهيل العاليين. الجانب الأخير «أنّ القراءة في تركيبة مناصب العمل الجديدة حسب «الوضعية ضمن مهنة مهم في مسار تحليل نوعية المناصب التي تمّ استحداثها، فهو يبيّن أن هذه المناصب أغلبها موجودة في خانة العمل المأجور غير الدائم»[٤٥]، ما يعني أن سوق العمل أشبه ما يكون بالبالون المثقوب، فهو بالقدر الذي يتشبع بمناصب العمل هو في الوقت نفسه يتسرب منه مناصب يتم فقدها بالنظر إلى هشاشة المشروعات المستقطبة، وأيضاً دوران اليد العاملة ما بين القطاع غير الرسمي والقطاع الرسمي.

حركية سوق العمل في الجزائر تظل برغم الصدمة البترولية إيجابية على العموم ومتناغمة مع مخطط الحكومة للنمو، فالإحصائيات المتوفرة عن شهر ديسمبر ٢٠١٦، تبين بوضوح استمرار القطاع الخاص والأجنبي في توفير مناصب الشغل.

جدول (7) يبين عروض العمل بحسب التقسيم القانوني وقطاع النشاط ديسمبر 2016 [46]

قطاع قانوني / قطاع النشاط	عروض العمل المسجلة				سنة 2016
	العمومي	الخاص الوطني	الخاص الأجنبي	المجموع	
الصناعة	3525	7208	875	11608	149698
البناء والأشغال العمومية	1387	6287	1924	9598	142118
الفلاحة	388	339	47	774	14153
الخدمات	1984	9146	270	11400	159932
المجموع	7284	22980	3116	33380	465901

منطق سوق العمل سيظل إذن معتمدا على الوظائف التي يوفرها القطاع الخاص، الذي يسيطر بشكل أساسي في الخدمات والصناعة والبناء والأشغال العمومية. على نحو معاكس ينسحب القطاع الدولاتي من عمليات التوظيف، كاستجابة للبرنامج الحكومي الذي يمنح المبادرة الاقتصادية في المجالات المختلفة للمقاولات الخاصة. إن هذا التمايز الوظيفي بين رعاية ومرافقة الدولة للمقاولات وبين تحول الأخيرة إلى إحدى وسائل الدولة في الشأن العمومي يقدم لنا صورة واضحة عن تغير فلسفة الدولة التي كانت ترى في السابق القطاع الخاص خطرا يهدد الأمن القومي للدولة. تغير مزاج الدولة ليس مقترناً بضعف الأخيرة عن تلبية الحاجيات والطلبات الاجتماعية للساكنة والتي هي في تصاعد مستمر، ولكن هناك توافقاً حصل بين مختلف القوى السياسية الدولانية والمجتمعية والاقتصادية بغرض صياغة دور اجتماعي ومسؤولية اجتماعية لكل الكيانات التي تعمل في السوق الاجتماعي والاقتصادي. هذا التوافق الذي تكرس في سلسلة نقاشات وأفواج عمل بين الحكومة والاتحاد العام للعمال الجزائريين ومنظمات أرباب العمل انتهت بتوقيع وثيقة العقد الاقتصادي والاجتماعي للنمو في ٢٣ فيفري ٢٠١٤. والتي أسست لشراكة متكاملة بين الدولة والمجتمع في سبيل تحقيق الرفاه الاجتماعي.

خاتمة

لقد ارتبط سوق العمل في الجزائر بتطور شكل الاقتصاد، عبر مراحل تطوره التاريخية والذي ارتسمت ماضيا بارتباطه بطبيعة البُنَى الاجتماعية القبلية المؤسسة على اقتصاد رعوي زراعي في غالبه مع أشكال من النشاط الحرفي في المدن تحت سلطة عثمانية ممركزة. عرف هذا الشكل في العهد الكولنيالي (الاستعماري) تحولا عميقا بعد حالة الإفقار والتهميش التي عرفها الجزائريون، مما اضطرهم التي التحول إلى نوع من البروليتاريا الزراعية عند مُلاّكِ الأراضي الجدد من المستعمرين،أو احتراف مهن وصناعات هي في الغالب متدنية وذات طابع مانيفكتوري، وهذا راجع إلى تلك النظرة التي غلبت على المستعمر في تصوره للجزائر والقائمة على الاستغلال لكل ما هو متاح.

بعد الاستقلال كانت حقبة ١٩٦٩- ١٩٨٦ هي مرحلة الاستثمارات الموسعة بالنظر إلى حجم الهياكل والبنية والتحتية التي كانت الدولة بصدد بنائها، وبالنظر إلى ذلك فقد كانت القطاعات الأكثر استقطاباً للتشغيل هي القطاع العام والجماعات المحلية؛ بحكم دولنة أغلب مشاريع الاستثمار،كضرورة حتمية بعد تبني الدولة للخيار الاشتراكي في التنمية وتحييد كل أشكال المشاركة البرجوازية في عملية التنمية وبالتالي فقد دخلت

هذه الخيارات الى حالة من الأزمة بعد عدم قدرة الدولة على الإيفاء بوعودها التنموية بعد انهيار أسعار النفط بدءاً من سنة ١٩٨٦ وتراجع مداخيلها البترولية، حيث كان من أهم إفرازاتها تصاعد نسب البطالة وعدم قدرة سوق العمل المتراجعة على استيعاب تلك الأعداد الهائلة من طالبي العمل بفعل تلك الزيادة السكانية وتضاعف مخرجات التعليم بكل أطواره، خاصة بعد انتهاج سياسات الإصلاح الهيكلي للمؤسسات بداية من منتصف الثمانينات وحتى بدايات التسعينيات تحت إكراهات صندوق النقد الدولي ووصولاً إلى سياسة الخوصصة التي كان لها بالغ الأثر في تفكيك سوق عمل كان يعاني أصلاً من أزمات متراكمة.

مع بداية الألفية الثالثة ساهم استقرار الأوضاع الأمنية وتصاعد أسعار النفط تدريجياً مع استقرار سياسي ومؤسساتي بعد الانتخابات الرئاسية سنة ١٩٩٩، قُلتُ ساهم في أن عرف الاقتصاد الجزائري طفرة نوعية مع إطلاق مشاريع مخطط الإنعاش الاقتصادي (٢٠٠١-٢٠٠٤) والذي وصل غلافه المالي إلى ١٦ مليار دولار (والذي كان تمويله من الخزينة العمومية بالطبع) ثم تَلاهُ البرنامج التكميلي لدعم النمو، كل هذا لعب دوراً هاماً في خفض نسب البطالة وتشجيع متدخلين اقتصاديين آخرين في القطاع الخاص وبالتالي المساهمة في خلق وظائف كرديف لما يمنحه القطاع العام من فرص عمل، غير أنه مع الموازاة مع ذلك نشأ قطاع غير رسمي بعيد عن رقابة الدولة تضخم حجمه حتى بلغ ما يقارب نصف حجم سوق العمل الرسمي وهو بقدر ما يشكل عاملاً مساهماً في تخفيف أعباء طلبات العمل إلا أنه في الوقت نفسه كان يمثل شكلا من أشكال النزيف الاقتصادي بحكم عدم خضوعه لمنظومة الحماية الاجتماعية والضوابط الجبائية على التشغيل.

الهوامش

1- Mohammed Liassine, Les réformes économiques en Algérie: une transition vers l'économie de marché ?, Annuaire de l'Afrique du nord, Tome XXXV, CNRS édition, Paris, 1996, p66.

٢ – الوزارة الأولى، البيان الختامي للثلاثية المنعقدة بتاريخ ٥ جوان ٢٠١٦، متوفر على الرابط:

http://www.premier-ministre.gov.dz/ressources/front/files/pdf/communiques/communique-final-de-la-tripartite-du-5-juin-2016-ar.pdf.

3- Abdenour Mouloud, De l'économie administrée a l'économie de marché, In : Amar Mohand-Amer et Belkacem Benzenine (dir), Le Maghreb et l'indépendance de l'Algérie, Paris, CRASC-IRMC- Karthala, 2012, p64.

4- Noushi (A). Constantine à la veille de la conquête française. Art. In : cahier de Tunisie-3éme trimestre. 1955. n°11. p381. In: Boudia (A.M), La formation sociale Algérienne précoloniale. essai d'analyse théorique, OPU, Alger, 1981, p161.

5- Esclangon-Morin, (V), Réflexion, débats pour une relecture de l'histoire coloniale, Mémoire et histoire, INRP, p02, [en ligne], "http://ecehg.Inrp.fr/ECEHG/enjeux-de-memoire/colonisation-decolonisation/reflexions-generales/colonisation.pdf/at_download/file", Consulté le 19/07/2009 à 18 :52.

٦- سعيدوني، ناصرالدين، وبوعبدلي، الشيخ المهدي، الجزائر في التاريخ. العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ١٩٨٤، ص ص ٦١،٦٢.

7- Yves Guillermou, Marchés, état et logiques paysannes en Algerie, Cahier Sciences Humaines, n°30, Volume1 et2, Paris, 1994, pp185-186.

8-Boukhobza (M), Ruptures et transformations sociales en Algérie, Volume1, OPU, Alger, 1989, p357.

9-Gendarme (R), L'économie de la l'Algérie, In James Emile, Annales, économies, sociétés, civilisations, volume16, n°2, 1961, p398, [en ligne], "http://www.persée.fr/web/revues/ home/prescript/ article/ahes/pdf", Consulté le 11/0/07/09 à 18 :56.

١٠-الديوان الوطني للإحصائيات، منشورات الديوان، «الفصل٢: التشغيل»، متوفر على الرابط:

http://www.ons.dz/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B4%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D8%A8%D8%7%D9%84%D9%84%D8%BA %D8%A9-.html

١١- آيت عيسى عيسى، سياسة التشغيل في ظل التحولات الاقتصادية بالجزائر(انعكاسات وآفاق اقتصادية واجتماعية)، أطروحة دكتوراه في التسيير، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، جامعة الجزائر٣، ٢٠١٠، ص١٢٢

12- Bouzida (A), Le projet social Algerien. genese et evolution, OPU, Alger, 1991, p18.

13- Écrement (M), Indépendance politique et libération économique. un quart de siècle du développement de l'Algérie 1962-1985, ENAP/OPU, 1986, p18.

14-RADP, Projet de programme pour la réalisation de la révolution démocratique populaire (adoptée a l'unanimité par le C. N. R.A. a Tripoli en Juin 1962), En Ligne: http://www.el-mouradia.dz/arabe/symbole/textes/tripoli.htm, Consulter le 20 Aoute 2017 a 15h :25.

15- RADP, la charte d'Alger. Ensemble des textes adoptés par le 1er congres du parti du front de libération nationale (du 16 au 21 avril 1964) En ligne: http://www.elmouradia.dz/arabe/symbole/textes/chart e%20d›alger.htm#R%C3%A9solution%C3%A9conomiquesociale

١٦- الجمعي نوي، المسألة الاجتماعية في برامج الأحزاب السياسية في الجزائر(أطروحة دكتوراه غير منشورة،جامعة منتوري قسنطينة،٢٠١٠)، ص ٢٦٦.

١٧- محمد صالي،النمو الديموغرافي وخصائص سوق العمل في الجزائر،مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية جامعة ورقلة، العدد ١٧، ديسمبر ٢٠١٤، ص ١٣٢.

18-Abdelhamid BRAHIMI «L'économie Algérienne Défis et Enjeux», Edition Dahlab, 02: Alger, 1991, p 322.

19- Sophie Bessis et Autres, Algérie violation des droits économiques, sociaux et culturels : une population précarisée. Rapport alternatif au rapport présenté par l'Algérie devant le comité des nations unis sur les droits économiques, sociaux et culturels, 27ème session du Comité-novembre 2001, Fédération internationale des droits de l'homme, n°319, novembre 2001,p10.

٢٠- الحسن عاشي، مقايضة البطالة بالعمل غير اللائق: تحديات البطالة في العالم العربي، أوراق كارنيغي، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، العدد ٢٣، بيروت، يونيو ٢٠١٠، ص١٧.

21- Sophie Bessis et Autres, Algérie violation des droits économiques, sociaux et culturels : une population précarisée. Rapport alternatif au rapport présenté par l'Algérie devant le comité des nations unis sur les droits économiques, sociaux et culturels, 27ème session du Comité-novembre 2001, Fédération internationale des droits de l'homme, n°319, novembre 2001,p10.

٢٢- الحسن عاشي، مقايضة البطالة بالعمل غير اللائق: تحديات البطالة في العالم العربي، أوراق كارنيغي، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، العدد ٢٣، بيروت، يونيو ٢٠١٠، ص١٧.

١٨- علي بودلال، القطاع غير الرسمي في سوق العمل الجزائري. دراسة تحليلية تقييمية للفترة (٢٠٠٠-٢٠١٠)، مجلة بحوث اقتصادية عربية، العدد٦٥، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، شتاء ٢٠١٤، ص١٢.

٢٣- طارق قندوز وابراهيم بلحيمر والسعيد قاسمي، الاقتصاد الجزائري تحت رحمة ثالوث الفساد، المجلة الجزائرية للاقتصاد والمالية، العدد٠٤، مخبر الاقتصاد الكلي والمالية الدولية، جامعة المدية، الجزائر، ٢٠١٥، ص ٢٧.

٢٤ - العابد برينيس شريفة، دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في تحقيق التنمية المستدامة-حالة الجزائر، المجلة الجزائرية للعولمة والسياسات الاقتصادية، العدد٤، مخبر العولمة والسياسات الاقتصادية، جامعة الجزائر٣، ٢٠١٣، ص١٨٤.

٢٥- مراد ناصر، التنمية وتحدياتها في الجزائر، مجلة التواصل، العدد٢٦، جوان ٢٠١٠، ص١٤٦.

26- RADP, Activité, Emploi et chômage des années 2007-2015, ONS, Alger, En Ligne http://www.ons.dz/-Enquete-sur-l-emploi-du-temps-ENET-.html.

٢٧ -حسين زبيري، تقرير بحثي: الحركة العمالية والنقابية والبحث عن العدالة الاجتماعية في الجزائر، معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية بالجامعة الأمريكية في بيروت/معهد الأصفري للمجتمع المدني والمواطنة، بيروت، فبراير ٢٠١٧، ص٠٩، متوفر على الرابط: www.aub.edu.lb/ifi

28-Isabelle Bensidoun, Ali Souag, Emploi informel en Algérie: caractéristiques et raisons d'être, Centre d'études de l'emploi, Paris, n°166, Juillet 2013,p6.

٢٩ – الحسن عاشي، مرجع سبق ذكره، ص١٠.

30- Isabelle Bensidoun, Ali Souag, Ibid, p8.

31-Aita, Samir et Autres, Emploi et droit du travail dans les pays Arabes Méditerranéens et le partenariat Euroméditerranéen, Fundación Paz y Solidaridad-Serafín Aliaga de CCOO, et l'Agence Espagnole de Coopération Internationale (AECI), Madrid, 2008, p71.

32-Moundir Lassassi and Christophe Muller, Réseaux sociaux et insertion sur le marche du travail en Algérie, Working paper series, n°699 The Economic Research Forum, Egypte, 2013, p06.

٣٣ – علي بودلال، مرجع سبق ذكره، ص١٧.

٣٤ – منذر لعساسي وخالد منّة، العمل غير المهيكل: طموح السياسات وصعوبة الواقع–حالة الجزائر–، في كتاب العمل غير المهيكل، شبكة المنظمات العربية غير الحكومية للتنمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٦، ص٢٠١٩

٣٥ – مختار عيواج، زهية بوديار، التكامل بين مخرجات نظام LMD ومتطلبات سوق العمل في الجزائر، لمؤتمر الدولي الثالث تكامل مخرجات التعليم مع سوق العمل في القطاع العام والخاص، عمان، الأردن، ٢٨ أبريل–٠١ ماي ٢٠١٤، ص٢٥

٣٦ – رحيم حسين، سياسات التشغيل في الجزائر: تحليل وتقييم، بحوث اقتصادية عربية، العددان ٦١–٦٢،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، شتاء–ربيع ٢٠١٣، ص١٣٩.

37-ONS. Activité, Emploi et chômage en Septembre 2014, Donnés statistiques, N°683, ONS, Alger, 2014, p02.

38-ONS. Activité, Emploi et chômage en Septembre 2015, Donnés statistiques, N°726, ONS, Alger, 2014, p04.

39-Mohamed Saïb Musette et Autres, Marché du travail et Emploi en Algérie, Eléments pour une politique nationale de l'emploi profil de pays, Organisation Internationale du Travail Bureau de l'OIT à Alger(Programme des emplois en Afrique). Alger, Octobre 2003, pp19,20.

40-Mohamed Saïd Musette, Les politiques de l'emploi et les programmes actifs du marché du travail en Algérie, Fondation européenne pour la formation, 2014, p8.

41-Nacer-Eddine Hammouda et Ali Souag, segmentation du marché du travail en Algérie et la détermination du salaire dans les secteurs agricole, moderne non protégé et modernes protégé, Working paper series, n°699, The Economic Research Forum, Egypt, 2012, p13.

٤٢ – بن موسى كمال وبراغ محمد، ظاهرة الاقتصاد غير الرسمي، أسبابه وآثاره، المجلة الجزائرية للعولمة والسياسات الاقتصادية، العدد٤، مخبر العولمة والسياسات الاقتصادية، جامعة الجزائر٣، ٢٠١٣، ص٢٠٥.

٤٣ –محمد صايب ميزات، بانوراما سوق العمل في الجزائر: اتجاهات حديثة وتحديات جديدة، مجلة إنسانيات،

[En ligne], 55-56 | 2012, mis en ligne le 30 juin 2015, consulté le 16 août 2017. URL : http://insaniyat.revues.org/13490 ; DOI : 10.4000/insaniyat.13490.

٤٤– –طارق قندوز وابراهيم بلحيمر والسعيد قاسمي، مرجع سبق ذكره، ص ص ١٨ و١٩.

٤٥– دحماني رضا وبن ربيحة محمد، سوق العمل بين حتميات التشغيل غير الرسمي وتحديات سوق العمل في الجزائر، أعمال اليوم الدراسي الدكتورالي: التشغيل غير الرسمي والعمل اللائق، ص١٢، متوفر على الرابط:

https://www.researchgate.net/profile/Benrebiha_Mohamed2?enrichId=rgreq7b41b39033348de08520d4eecd8c95b1-XXX&enrichS ource=Y292ZXJQYW dlOzMxNjUyNDExOTtBUzo0ODc3Nzg1OTQxMDMyOTZAMTQ5MzMwNg4NzA1Mw%3D%3D&el=1_x_5&_esc=publicationCoverPdf

46-RADP, Informations Statistiques, Ministère du travail, de l'emploi et de sécurité sociale, Agence national de l'emploi, Alger, Décembre 2016, p03.

دراسة بعنوان

ديوان الإنشاء وأسلوب الكتابة وموضوعاتها عند بني الأحمر

(٦٧١- ٨٩٧هـ / ١٢٧٢ – ١٤٩٢م)

أ.د. أحلام حسن مصطفى النقيب - العراق

أستاذ التاريخ الأندلسي، عضو هيئة التدريس (دراسات عليا) في قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل

د. برزان ميسر حامد الحميد- العراق

أستاذ مساعد/ التاريخ الأندلسي، وعضو هيئة التدريس في قسم التاريخ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل

ملخص البحث

اعتنى المسلمون بالكتابة عناية فائقة حتى أصبحت الحرفة التي لا يليق بطالب العلم سواها ولا يجوز له العدول إلى ما عداها.

وديوان الإنشاء في مملكة غرناطة له أهمية خاصة لارتباطه المباشر بإدارة الدولة؛ إذ يعد من الدواوين المهمة التي تخرج منه كل المكاتبات والمراسلات والمخاطبات الصادرة عن الدولة والواردة إليها، كما تصدر عن هذا الديوان الكتب الرسمية التي تُعنى بالمراتب الإدارية كالتعيين والعزل والتكليف بمهمة محددة.

ويتولى العمل في هذا الديوان شخصيات امتازت بالمكانة العلمية والاجتماعية ممن لهم دراية في حسن الخط وجودة التعبير ومعرفة بقواعد اللغة العربية، ولهذا أصبح كتّاب بنو الأحمر قدوة لغيرهم يقُتدى بهم في هذا المجال؛ لأنهم يتخيروا من الكتاب ممن ذاع صيته وطبقت شهرته الآفاق منهم أبو الحسن الجيّاب، ولسان الدين بن الخطيب وعبدالله بن زمرك، حتى أصبح ديوان الإنشاء عند بني الأحمر أشبه بمدرسة فكرية وأدبية نظراً لما امتاز به كتّابهم من البلاغة والأدب والعلم والمعرفة.

ونظراً لأهمية وخطورة كتاب ديوان الإنشاء لم يتبوأ هذا المنصب في عهد بني الأحمر إلا من يوثق بهم، حتى أصبحت أحياناً تختص ببعض البيوتات ممن ثبت إخلاصها وولاءها لبني الأحمر.

وكان لصاحب ديوان الإنشاء حظوة كبيرة عند السلطان أكثر من غيره من الوظائف الأخرى، لذلك كان يختاره من أرفع الطبقات ومن أهل المروءة والعلم.

وفي مضامين هذا البحث سنتعرف على أساليب الكتابة التي استخدمها بنو الأحمر وأنواع الموضوعات التي تضمنتها كتبهم الرسمية، مما يدل على مدى اهتمام سلاطين غرناطة بنظام الكتابة ورسومها؛ إذ لم يكن الهدف هو تزيين الواجهة السياسية فقط وإنما إبراز نخبة من طبقة الكتّاب المتميزين، وإقامة مؤسسات إدارية قوية حازمة ذات أبعاد استراتيجية تمثلت تحديداً في التخصص والانضباط الدقيق لإدارتها، مما نتج عنه مجموعة من الدلالات الحضارية التي أضفت لهم وللأندلس والعصر صورة مشرقة

Divan of Writing and phraseology and their subjects at the time of Bani Al-Ahmar (671 – 897 A.H. / 1272 – 1492 A.D.)

Abstract

Muslims took care of writing greatly, even it became the profession of the knowledge seeker where he couldn't giving it up.

Divan of writing at Granada has an important position for it being connected directly with the state's affairs where it considered one of the most important divans in which exported and imported writings, letters and speeches are issued, also formal letters which are related to administrative ranks like appointment, deposition and assignment are issued in this divan with certain mission.

Working in this divan is carried out by a number of persons who have scientific and social acceptance and who are known with their good handwriting, good of euphemism and know grammar of Arabic language, therefore; Bani Al-Ahmar's writers became as models for others in this regard; because they chose best and famous writers like Abo Al-Hassan Al-Jayab, Lisan adeen Ibn Al-Khateeb and Abdullah Ibn Zumrek, until divan of writing at the time of Bani Al-Ahmar had become look like an intellectual and literary school; because writers were characterized with eloquence, literature, knowledge and science.

For the importance and dangerous of this divan no one took over this position at the time of Bani Al-Ahmar just who were trusty, even this position became special for some who have loyalty for Bani Al-Ahmar.

Master of this divan had had a great favor more than other positions, so he was chosen from the highest ranks of chivalry and knowledge.

In the contents of this research we are going to know writing styles that have been used at the time of Bani Al-Ahmar and types of subjects in their formal letters, as a sign of Granada's sultans concern with writing systems and transcription, where aim wasn't to decorate the political front only but to show an elite of distinctive writers and to establish strong administrative foundations with strategic dimensions appeared exactly in exact specialization, which led to a number of civilized signs added to them and for Andalusia and bright image of immortal Islamic Arabic civilization.

Fundación de escritura: el estilo y los temas en la corte de Bani El-Ahmar en Granada (671-897 H./ 1272-1492 d.C.)

RESUMEN

Los musulmanes se cuidó de escribir con gran cuidado hasta que la artesanía que no es adecuada para el estudioso y otros no está permitido recurrir al resto.

Fundación de escritura en el Reino de Granada es de especial importancia porque está directamente relacionado con la administración del estado, es considerado uno de las Fundaciónes importantes en el que se extrae todas las cartas enviadas por el estado y recibidas. También envia por esta Fundación las cartas oficiales que se ocupan de los nombramientos administrativos, como el nombramiento, el despido y la asignación de una misión específica.

En esta Fundación emplea personalidades que se distinguen por su estatus científico y social, que están familiarizados con la buena letra, la calidad de expresión y el conocimiento de la gramática árabe. Por eso los escritores de Bani El-Ahmar eran modelos en esta área, como Abu Al-Hasan Al-Jayyab, Ibn al-Jatib, y Ibn Zamrak, por los esfuerzos de ellos, la Fundación de escritura granadina se convirtió en una escuela de pensamiento y literatura.

Debido a la importancia de esta institución, algunas de las familias dedicadas a los Bani El-Ahmar son asignadas a trabajar allí.

El Jefe de la Fundación de escritura gozó de gran prestigio con el sultán y, por lo tanto, fue elegido entre las más altas clases sociales y personas de moral y ciencia.

A través de este trabajo aprenderemos sobre los métodos de escritura y sus temas como se menciona en las cartas de Beni El-Ahmar. Lo que demuestra el interés del sistema de escritura de los sultanes de Granada. El objetivo no era solo decorar la Interfaz política, sino también destacar la élite de los escritores privilegiados y el establecimiento de instituciones administrativas fuertes con dimensiones estratégicas, Lo que resultó en un conjunto de connotaciones culturales que he agregado a Al-Andalus y la era de una brillante imagen de la civilización árabe islamica inmortal.

قبل الخوض في الحديث عن موضوع البحث وذكر تفصيلاته لا بد لنا من الإشارة إلى أننا قد اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لما لهذا المنهج من مزايا في دراسة هذا البحث إيماناً منّا بأن الدراسة لا تقتصر على سرد الأحداث التاريخية والوقائع، بل حاولنا مناقشة عدد من الأفكار والآراء والنصوص التاريخية وربطها ومناقشتها وتحليل أسبابها ومعرفة دورها بغية الوصول إلى استخلاص النتائج في ضوء المعلومات المتوافرة وما تركته من آثار، وذلك لرسم ملامح الصورة الواضحة المعالم تاريخياً.

هدف الدراسة

لقد هدفت هذه الدراسة المتواضعة إلى تبصير وتعريف الباحث والمتخصص في الدراسات الأندلسية بأساليب الكتابة التي استعملها بنو الأحمر (سلاطين غرناطة) وكيف كانت الرسائل والكتب الرسمية الخاصة بهم تخرج من ديوان الإنشاء، وأهم الموضوعات التي تضمنتها، في محاولة منّا لتسليط الضوء على مدى اهتمام سلاطين غرناطة بنظام الكتابة ورسومها، وإبراز نخبة من طبقة الكُتَّاب المتميزين واقامة مؤسسات إدارية قوية حازمة ذات أبعاد استراتيجية.

مشكلة الدراسة

مما لا شك فيه أن أي دراسة علمية وفي أي اختصاص كانت لا تخلو من بعض المشكلات والصعوبات، لا سيما وإن موضوع بحثنا من الموضوعات المهمة وما كتب عنه قليل جداً، ومتناثر في بطون كتب التاريخ. كما أن ندرة المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع وبها التفصيل، وعدم توافرها أصلاً في مكتباتنا العراقية والموصلية على وجه الخصوص بسبب الظروف الأخيرة التي أحاطت بالمدينة، وما تعرضت له المكتبات من حرق ودمار، شكل بحد ذاته عبئاً ثقيلاً على كاهل الباحثين، وقد خفف هذا العبء الاستعانة بالمكتبات الشخصية لعدد من الأساتذة والمتخصصين بالدراسات الأندلسية فضلاً عن التواصل مع بعض الأساتذة من خارج الموصل والعراق، والحصول منهم على ما يخدم موضوع البحث.

تمثل الأندلس بتاريخها الحافل وتراثها الزاخر قصة حضارة عظيمة؛ وذلك لما قدمته للبشرية من عطاءات جمّة نتيجة ذلك النتاج الفكري والثقافي الذي خلّفه الأندلسيون فكانت الكتابة إحدى الصور التي تجلى فيها العطاء؛ وذلك لأنها من أهم الوظائف السلطانية التي لا غنى عنها على المستويين الداخلي والخارجي.

فالكتابة هي وسيلة اتخذها الإنسان لينقل إلى ما سواه ما لديه من أفكار ومعارف، ولقد عَلاَ شأن الكتابة بالإسلام؛ إذ وردت في القرآن الكريم في آيات كثيرة ومتعددة، إذ وصف الله ﷻ ملائكته بقوله: «وإنَّ عليكم لحافظين»[1]، «كراماً كاتبين»[2].

لقد وهب الله ﷻ الكتابة منزلة كبيرة ورفيعة أبهى من منزلة التبليغ عن ظهر لسان، ويبدو هذا جلياً واضحاً في قوله ﷻ عن لسان النبي سليمان عليه السلام فيما قاله للهدهد حينما أتاه من سبأ بنبأ المرأة التي كانت تملكهم: ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾[3] فقد آثر الكتابة على الكلام كونها أنبل واكرم تأثيراً ووقعاً لما يراد التعبير عنه، ويبدو هذا واضحاً من جواب ملكة سبأ حين قالت: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾[4] وهذا خير كلام مُنَزَّل من رب العالمين يبين قَدْر الكتابة والكتب المرّسلة.

فالكُتَّابُ هم ألسنة الملوك بكل أوان ومعاول الدول وصدور كل ديوان[٥]، وهم سند الدولة والمدافعون عنها بالسلم والحرب، وهم الذين يقومون بالدعاية لها عن طريق المكاتبات التي تصدر عنهم إلى غيرهم من السلاطين والملوك[٦].

حتى قيل: (إن الملوك أحوج إلى الكُتَّاب من الكُتَّاب إلى الملوك)[٧].

وقد أشار ابن خلدون إلى تحديد مفهوم الكُتب والرسائل الصادرة عن الدولة أنها تعني «المخاطبات لمن بَعُدَ عن السلطان، وتنفيذ الأوامر لمن حُجِبَ عنه»[٨] وتعود أهمية تلك المخاطبات والكتب الصادرة عن الدولة الى خطورتها فهي لسان الدولة وعليه يعتمد ترتيبها وتسيير أمورها وتحديد علاقاتها مع الدول الأخرى فقد تكون وبالاً على الدولة إذا ما أُسيء انشاؤها، وقد تكون مصدر خير ويمن ومَنَعة إذا ما أُحسن إنشاؤها، وعلى ذمة كاتب صياغتها تعتمد هيبة الدولة، فالكاتب هو لسان حال الخلافة المعبر عن رغباتها ويتوقف على حسن أسلوبه وجودة تعبيره حل الكثير من مشكلاتها[٩].

إن ازدياد الحاجة إلى المكاتبات وتبليغ الأوامر الصادرة عن السلطان وارسالها إلى المصالح الإدارية المختلفة تَطَلبَ وجود مجموعة من الدواوين التي تهتم بهذا النوع من المهام، ولعل من أهمها ديوان الرسائل أو ديوان الإنشاء، إذ إن المكان الذي تتم فيه الكتابه السلطانية يعرف بديوان الرسائل وهذا الديوان من أهم المؤسسات الإدارية الرسمية، وقد عد ديوان الرسائل أعلى جهاز إداري في البلاد لأن جُلَّ المكاتبات السلطانية مختلفة الموضوعات كانت تتم داخل هذه المؤسسة الرسمية والتي كانت تشرف على صياغة وتحرير رسائل السلطان وأوامره في الداخل والخارج وإذاعة ونشر المراسيم السلطانية الخاصة بشؤون الدولة ومراجعة الرسائل الرسمية وارسالها إلى ولايات الأقاليم والدول الأخرى قصد تسوية بعض الإشكالات في الشؤون السياسية والاقتصادية[١٠].

فالكتابة عند بني الأحمر صناعة كغيرها من الصنائع وللكاتب مكانة خاصة ومتميزة لديهم فهو عندهم محل تعظيم واجلال ما دام يرتفع ويسمو في أسلوبه وعلمه، فهناك من الكُتَّاب من تمرس كل عمره وقضى فترة شبابه في الكتابة للدولة وتفوق على أهل وقته فيها[١١] كالكاتب علي بن محمد بن فرج القيسي* (ت٦٦٤هـ/١٢٦٨م).

وعن مكانة الكتابة يمكن الاستشهاد بالوصف الذي ذكره أبو منجب الصيرفي حين قال: «الكتابة الجليلة قدراً، السامية ذكراً، الرفيعة شأناً، العُليا مكاناً، التي هي كتابة حضرة الملوك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول»[١٢]، فكاتب الإنشاء يعمل على تأليف الكلام، وتعريف المعاني من المكاتبات، والولايات والمناشير والاقطاعات وغيرها[١٣] فكتابة الإنشاء إذاً هي الكتابة السلطانية لأنها تختص بمكاتبات شؤون السلطة ونظام حكمها، ويؤيد هذا الكلام أبو الهلال العسكري حيث قال: «أما الكتابة فعليها مَدارُ السلطان»[١٤]. فالكتابة السلطانية[١٥] هي احدى أنواع صناعة الكتابة التي نالت اهتماماً واسعاً من لدن اللغويين والعلماء.

ولأهمية هذه الخطة في إدارة شؤون الدولة وتنظيم العلاقات بين مختلف مؤسساتها في الداخل وكذا تنظيم العلاقات الدبلوماسية بين الدولة وجيرانها بالخارج أخذ العديد من الكُتَّاب من أرباب هذه الصنعة من تأليف المصنفات وتدوينها متطرقين إلى أهميتها والتعريف بها وشروطها وأنواعها وغير ذلك، وكان معظم هؤلاء الكتاب من

العاملين بديوان الإنشاء ثم صارت هذه الكتب بمثابة مصادر يرجع إليها، لذلك وجدنا القلقشندي يقول: «الكتابة اشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة إليها ينتهي الفضل وعندها تقف الرغبة»[١٦].

يُعد ديوان الإنشاء في مملكة غرناطة من الدواوين المهمة؛ إذ يتولى شؤون المراسلات والمكاتبات والمخاطبات التي تصدر عن الدولة أو ترد إليها كالمكاتبات بين السلطان وولاته وعماله ورعيته، وكذلك المراسلات التي تتم بين السلطان والدول الأخرى، كما تصدر عن هذا الديوان الكتب الرسمية التي تعني بالمراتب الإدارية كالتعيين والعزل أو التكليف بمهمة محددة وغير ذلك، لذلك فإن ما يصدر عن ديوان الإنشاء الغرناطي أعم وأشمل مما يصدر عن الدواوين الأخرى.

كان ديوان الإنشاء يُفوَّض إلى كاتب يشرف عليه ويقوم بإدارته[١٧] ويتولى العمل في هذا الديوان شخصيات امتازت بالمكانة العلمية والاجتماعية ممن لهم دراية في حسن الخط، وجودة التعبير ومعرفة بقواعد اللغة العربية.

فاهتمام بني الأحمر بديوان الإنشاء وحسن اختيارهم كُتَّابهم كغيرهم من الدول جعلهم موهوبي الجانب في مخاطباتهم فلا يخاطبهم ولا يكتب لهم إلا من أتصفَ بالبلاغة والفصاحة، فقد ذكر القلقشندي بأن (الذي تُراعى الفصاحة والبلاغة فيه من المكاتبات من الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب، كصاحب تونس وتلمسان، وفاس وصاحب غرناطة بالأندلس... ممن تشتمل بلادهم على العلماء بالبلاغة وصناعة الكتابة)[١٨].

وبذلك أصبح كتاب بني الأحمر قدوة لغيرهم يُقتدى بهم في هذا المجال لأنهم يتخيروا من الكُتَّاب من ذاع صيته وطارت شهرته حتى أصبح ديوان الإنشاء الغرناطي أشبه بمدرسة فكرية وأدبية نظراً لما امتاز به كُتَّابهم من البلاغة والأدب والعلم والمعرفة[١٩].

وقد أشار الحريري إلى خطورة كاتب الإنشاء بقوله: «... المنشئ جهينةُ الاخبار... وقلمهُ لسان الدولة... وهو البشير والنذير والشفيع والسفير»[٢٠] فكتابة الإنشاء هي «قوام الملك وضبط قواعده وهي اليد التي بها الأخذ والعطاء والمنع والإمضاء، والبسط والقبض، والوصل والقطع، والسرُّ والجهر والنهي والأمر»[٢١].

ويُعد عبدالحميد الكاتب* أول من وضع القواعد العامة والسمات الرئيسة التي يجب أن تتوفر في كاتب الإنشاء فهو أشهر كُتَّاب الحضارة الإسلامية لمنزلته المرموقه ومكانته العليا في هذا الميدان حتى قيل: «فُتحتْ الرسائل بعبد الحميد وخُتِمَتْ بابن العميد»[٢٢].

فاختيار الكُتَّاب ليس بالمسألة السهلة نظراً لرفعة مرتبة الكتابة، لذلك كان يتم اختياره من أرفع طبقات المجتمع ومن أَهل المروءة والحشمة وذوي العلم وعارضة البلاغة، ولقد خصص التلقشندي جزءاً مهماً من كتابه (صبح الأعشى) لصفات الكُتَّاب وشروط اختيارهم ومدى ثقافتهم وآدابهم فذكر الشروط التي يجب أن تتوافر في الكُتَّاب فكانت شروطاً أساسية في كُتَّاب المغرب والأندلس.

كما بيَّن التلقشندي أهمية ديوان الإنشاء وكاتبه وأهم ما يتحلى به هذا الكاتب فقال: «يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح الألفاظ، طلق اللسان، أصيلاً في قومه، رفيعاً في حَيِّه، وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل كثير الأناة والرفق... ومهما حدث من السلطان من رأي صائب أو فعل جميل أو تدبير حميد أشاعه وأذاعه وعظمّهُ وفخَّمه وكررَّ ذكره وأوجب على

الناس حمدهُ عليه وشكره... ويكون متابعاً للسلطان على أخلاقه الفاضلة وطباعه الشريفة من بسط المَعْدَلَة* ومَدَّ رواق الأَمَنَة* ونشر جناح الانصاف، واغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم...»[٢٣]

لذلك فقد عنى المسلمون عناية فائقة في تخيُّر كتاب ديوان الإنشاء، فلم يكن يتولى ديوان الإنشاء أجلُّ كُتَّاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الأَجَلّ فكان يُسلَّم المكاتبات الواردة فيعرضها على السلطان من بعده وهو الذي يأمر بالإجابة عنها للكُتَّاب والسلطان يستشيره في أموره وكان راتبه مائة وعشرين ديناراً في الشهر وهذا مبلغ كبير يدلل على عِظم هذه الرتبة عند السلطان، ولذلك كان كاتب الإنشاء أول أرباب الاقطاعات وأرباب الكسوه والرسوم ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد إلا الخواص وله حاجب من الأمراء والشيوخ ويفرشون له المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة ويحملها أستاذ من أُستاذي الخليفة أو السلطان[٢٤].

وقد جرى سلاطين غرناطة على حشد أقطاب العلم والبلاغة إلى حواضرهم من الكتاب الذين امتازوا بقسط وافر من الثقافة العربية التي اعانتهم وأَهلتهم لشغل هذا المنصب كأبن الجيّاب وابن زُمْرُكْ وغيرهم من الكتاب الذين عملوا في ديوان الإنشاء وجعلوا من أنفسهم محط نظر واهتمام أهل الحكم والسياسة.

ويستمر القلقشندي في سرد شروط الكاتب ومنها: الذكورة والحرية والبلوغ والعدالة والبلاغة ورجاحة العقل والرأي والمعرفة بالأحكام الشرعية، وقوة العزم وشرف النفس والكفاءة لما يتولاه،[٢٥] فضلاً عن الشروط العلمية التي ذكرها العاملي وهو أحد كتاب الدولة النصرية بغرناطة، والتي يجب أن تتوفر في الكاتب كأن يكون ذا علم وثقافة واسعة؛ فالكاتب مستقر أسرار الملك ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته وأقطار بلاده فلا يختاره السلطان ممن يوقعه موقع نقص بين رعيته أو مراسليه من الملوك فكان بذلك أحوج إلى أن يكون له مشاركة في جميع العلوم وإلى الاستكثار من حفظ الرسائل السلطانية وعيون الأحاديث النبوية، كما ينبغي أن يكون أكثر علمه أَخبار الملوك والسير والدول والتواريخ ومعرفة اخبار الدول، كما يجب أن يكون مستعداً للرد على أي نوع من المكاتبة وفي أي موضوع كان إلى أي شخص مهما كانت مرتبته جليلاً كان أم وضيعاً، فيخاطب كلاً حسب مرتبه فهذا وحده دليل على سعة علم الكاتب ووفرة ثقافته[٢٦].

ونظراً لأهمية وخطورة كاتب ديوان الإنشاء لم يتبوأ هذا المنصب في عهد بني الأحمر إلا من يوثق بهم حتى أصبحت تختص ببعض البيوتات ممن ثبت اخلاصها وولاءها لبني الأحمر فالكاتب محمد بن أحمد بن جزئ × تولى الكتابة خلفاً لوالده[٢٧]، وأبو بكر بن الحكم* تولى الكتابة أيضاً خلفاً لوالده[٢٨] أبي عبدالله بن الحكيم الذي تبوأ كتابة الإنشاء[٢٩] وأبو بكر محمد بن عاصم* ومن بعده ولده يحيى الذي حل محل أبيهِ خلفاً له؛ إذ كان من المتميزين في ديوان الإنشاء.

وكان لصاحب ديوان الإنشاء حظوة كبيرة لدى السلطان أكثر من غيره من أصحاب الوظائف الأخرى[٣٠]؛ لذلك كان يختارهُ كما ذكرنا سابقاً من أرفع الطبقات ومن أهل المروءة والعلم فكان عليه أن يعرف حدوده عند الكتابة ولا يتعداها أَو يتجاوزها بحيث يبلغ غايته بمنتهى الدقة والحذر في كتابته[٣١] بحيث يكون ما يكتبه ساحر للعقول ومالك للقلوب ويشرح الصدور عند قراءته[٣٢]، فالأمور السلطانية من المكاتبات والولايات تبدأ عنه وتنشأ منه[٣٣] وإذا أخلَّ بأي صفه مما ذُكر فإنه معرض للإقصاء عنها وعلى سبيل المثال محمد بن العابد الانصاري الذي تولى كتابة الإنشاء لسلطانة محمد الفقيه لكنه أعفاه من منصبه لمعاقرته الخمر[٣٤].

وفيما يتعلق برسوم تعيين الكاتب فمن المعروف كان يسبق قرار تعيين كاتب السلطان مجموعة من الرسوم الإدارية منها إجراء اختبار قدرة وكفاءة ومهارة الكاتب في الأمور البلاغية فإذا ثبت جدارته نال منصبه وعادةً كان هذا الرسم من اختصاصات السلطان الذي يمنح له قبوله صك سلطاني في شكل ظهير أو أمر يتم بموجبه تقليد كاتب السلطان الذي يكون مُحَلَّفاً ويؤدي اليمين قبل مباشرة عمله[٣٥].

وما دام الأمر هكذا فإن عمل كاتب السلطان الرئيسي لم يقتصر على تحرير الرسائل المتسمة بالبلاغة وإنشاء المخاطبات الرسمية بل يتسلم الرسائل الواردة إلى السلطان فيعمل على قراءتها عليه واستشارته حول نوع الرد عليها هذا مع إشراف الكاتب الرئيسي على مراقبة صغار الكُتَّاب في الديوان والإشراف عليهم في كتاباتهم الثانوية التي يقومون بها[٣٦].

حرص سلاطين غرناطة على الشكل والمضمون في رسائلهم وقد وضعوا شروطاً ألزموا جميع الكُتَّاب التقيد بها، ومن هذه الرسوم أن تكون الكتب من السلاطين وإليهم وإلى الرؤساء بأكمل الخطوط وأبينها وأحسنها[٣٧]، ويراعى المداد ويُمَّيز الرق فيُحسُن اختياره ولا يستثني أحد من هذه التعليمات سواء ولاة الكور وقادة الثغور من اتبَّاع هذه الرسوم فمن أرسل كتاب في رقٍ رديء أو مداد دَبِّي أو كان خطه غير جيد أو في عبارته لَحنٌ وما شَكَلَ ذلك فلا يُنْظَر في طلبه بل سَيُعاقب بالعزل وإغرامِ المال[٣٨].

لقد تنوعت أعمال كتَّاب ديوان الإنشاء فمنهم كاتب مهمته تبييض ما ينشؤه المنشئ مما يحتاج إلى حسن الخط، وهناك كاتب يتصفح كل الإنشاءات والتقليدات والمكاتبات وسائر ما يُسطَّر في الديوان حتى يتفادى الأخطاء الناجمة عن السهو والزلل وعثرات القلم والغرض من ذلك أن يكون كل ما يكتب عن الخليفة أو السلطان أن يكون كامل الفضيلة خّطّاً ولفظاً ومعنىً وإعراباً ولا يجد طاعن فيه مطعناً ويجب أن يكون عالي المنزلة في اللغة والنحو وحفظ كتاب الله ﷻ ذكياً، حسن الفطنة، عاقلاً، مأموناً[٣٩]. وهناك كاتب التذاكر أو متولي ملخصات الكتابة السلطانية فعمله يقوم على إنجاز التذاكر التي تشتمل على ملخصات لأهم ما جاء في محتوى الرسائل التي يبعث بها السلطان أو التي تصل إليه عن طريق الديوان، ثم يقوم هذا الكاتب بترتيبها بحيث يجعل كل تذكرة على حدى ويُعلمها بأوراق يكتب على رؤوسها اسم الصفة أو الجهة ويكتب عليها فصل من كتاب إلى الوالي أو المشرف أو العامل ويكتب فيها وردَ بتاريخ كذا ومضمونه كذا واجيب عنه بكذا لئلا تُغْفَل ولا يُجَابُ عنها، وكانت أصول المراسلات ونسخها تنظم في أضابير خاصه، ويوضع خارج كل منها بطاقة تشير إلى محتوياتها ليسهل الرجوع إليها واستخراجها للسلطان في أي وقت احتاج إليها، وقد استوجبت من هذا الكاتب قدراً كبيراً من الأمانة والصبر على التعب[٤١].

أما سجلات فهرسة الكتب السلطانية فقد كُلف بها كاتب الضبط وقد انحسرت مهمته في تقييد وفهرست الكتب السلطانية الصادرة من السلطان والواردة على ديوانه مُفَصِلاً بكل ما جاء فيها ويكتب تحته كتاب ورد بتاريخ كذا ويسلمه بعد ذلك إلى الخازن ليتولى الاحتفاظ به[٤١].

وقد اقتضت الضرورة تزويد ديوان الإنشاء بدفاتر لتدارك أي نقص أو خلل في أثناء الكتابة السلطانية؛ إذ أُستُعْمِلت كدليل مَرْجعِي بألقاب الولاة وغيرهم من أهل الخدمة وسمائهم وترتيب مخاطباتهم حسب رسوم وأعراف الكتابة السلطانية (ديوان الرسائل) وألقاب الملوك وكتبهم واسماؤهم ويكون هذا الدفتر حاضراً لدى كُتاب الإنشاء ينقلون عنه في المراسلات وما يحتاجونه من رسوم الكتابة السلطانية[٤٢].

وقد تم تخصيص مصلحة خاصة في ديوان الرسائل تعنى بحفظ المراسلات السلطانية والسجلات والأوامر الصادرة عنه، ويعود هذا للأهمية التي اكتسبتها المكاتبات والمراسلات السلطانية وهو ما يعرف بدور الارشيف حالياً أو ما يسمى بخزانة الكتب والتي سيأتي الكلام عنها لاحقاً.

ومجمل القول بأن ديوان الرسائل (ديوان الإنشاء) كان منظماً وفق ترتيب إداري دقيق؛ إذ تُدرج أسماء الكُتَّاب في العمل ويتخصصوا في المصالح الإدارية قصد الضبط، والتنظيم، وترتيب المكاتبات والمراسلات السلطانية بتنظيم جيد وسَيْر حسن لإخراج نصوص الكتابة السلطانية في أجمل صورة لتوظيفها حسب متطلبات الحال والحالة.

ولم تتميز الرسائل السلطانية من حيث الأركان والعناصر المكونة عن ما هو معمول به في باقي الدول الإسلامية وهي البسملة والتصلية على رسول الله الكريم ﷺ والبُعَدِيَة (أما بعد) وذكر المرسل إليه والدعاء لهما، والتحية والتحميد، والغرض من الكتاب، والخاتمة، وتاريخ الكتاب وتختم بالسلام والدعاء، وعلى سبيل المثال نلاحظ في هذا الصدد بعضاً من الكتب التي أشارت إليها المصادر التاريخية كالكتاب الذي بعثه السلطان محمد بن محمد بن يوسف الشهير بالفقيه (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠١م) إلى ملك ارغون جيمس الثاني في ١١ رجب سنة ٦٧٥هـ/١٥ أيار ١٢٩٦م وهذا الكتاب يعد أول رسالة حملت في مضمونها نص المعاهدة التي أُبرمت مع مملكة ارغون، وعدت هذه الرسالة بداية مرحلة جديدة في العلاقات وإقرار الصلح الذي تقرر سريانه في المملكتين بحسب ما أظهرته الاتفاقية. فقد بدأ الكتاب بالبسملة والصلاة والسلام على النبي الكريم محمد ﷺ ثم ينتقل بالكتابة إلى بنود المعاهدة وينهيها بـ قوله: «وكتبنا على صحة هذا خطنا في الحادي عشر لشهر رجب الفرد عام خمسة وسبعين وستماية انتهى، وكتب في التاريخ، انتهى»[٤٢].

وأحياناً يُنهي الكُتَّاب بوضع خط يده عليه ثم تاريخ الكتاب والعلاقة السلطانية والتي سنأتي على ذكرها لاحقاً، وأحياناً أُخرى يُذكر، وأمرنَا بكتابة هذا وجعلنا عليه خط يَدِنا وطَابُعنا في أخره[٤٤]، وهكذا.

أساليب الكتابة عند بني الأحمر

استخدم كُتَّاب بنو الأحمر أساليب عدة في الكتابة ومن أهمها:

أولاً: - الاستعانة بآيات القرآن الكريم، كونه المنهل للكُتَّاب في كل عهود الدولة الإسلامية فالكاتب في الدولة الإسلامية أحوج الناس إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم؛ ولذلك نجد بأن من أهم صفات الكاتب أن يكون على الدين الإسلامي (ليُؤَمَّن فيها ما يكتُبه ويمُليه)[٤٥] ولأنه من الملك بمنزلة الوزير فلا يجوز أن يُتخذ لهذا الأمر إلا المسلمين[٤٦].

ويشير القلقشندي إلى أهمية الاستعانة بآيات القرآن الكريم بأنها «... حُلِّيَّة الرسائل وزينة الإنشاءات وهو الذي يقوي الكلام، ويثبت صحته في الافهام، فمتى خلت منه كانت عاطلة من المحاسن، عارية من الفضائل؛ لأنه الحجة التي لا تُدحض والحقيقة التي لا تُرفض»[٤٧].

وعلى هذا الأساس جاءت كتب بنو الأحمر غنية بالآيات القرآنية الكريمة لتوظيفها في مكاتباتهم ليبلغوا الغرض المراد التعبير عنه[٤٨]. ولا يجوز أن يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة فإنها معدن الفصاحة والبلاغة[٤٩]، فقد تقوم الآية المستشهد بها ببلوغ الغرض بما لا تقوم به الكتب المطولة[٥٠]. فالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة أقرب إلى نفوس المسلمين من غيرها[٥١].

ثانياً: - الأحاديث النبوية الشريفة؛ إذ استشهد كتاب بنو الأحمر بما جاء فيها من معاني[٥٢].

ثالثاً:- استخدم كتاب بنو الأحمر الشعر وكان له دور مهم في كتاباتهم ولكن بشكل ضئيل واقتصر وروده على مواضيع معينة كالبشائر والفتوحات والشكر والاستنجاد في حين لم يستخدمهُ كُتَّاب الدولة في الكتب الرسمية أو المعاهدات[٥٣]. فمن يستشهد بالشعر عليه أن يكون عارفاً لوجوه المعاني وتصريفها، فقد ذكر ابن رشيق القيرواني، أن الكُتَّاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنيفاً وأحلاهم ألفاظاً وألطفهم معانٍ وأقدرهم على تصرف وأبعدهم من تكَلُّفْ (فالكتّاب دهاقين الكلام)[٥٤].

وقد أشار القلقشندي بعد معاينته للرسائل السلطانية في الأندلس وجد فيها سمات تميزت بها عن بلاد المشرق ومن أهم هذه المميزات التي طبعت أسلوب كُتَّاب الرسائل في المغرب والأندلس ميزة ميم الجمع، ويقصد بها تكريم المكتوب إليه واجلاله واستعمال عبارة (إنا كتبنا إليكم، وكَتَبَ الله لكم) وذكر السلطان أو الخليفة الداعين له بعبارات الترضية وذكر المكتوب إليه باسمهِ ضمن الرسالة[٥٥].

ومن الأمور المهمة الأخرى المتعلقة بالكُتَّاب هي حسن الخط الذي يُعد من أفضل وأجود المهارات التي يجب على الكاتب التحلي بها (وإن جودة الخط أول الأدوات التي ينتظم بحصولها رسم الكتابة[٥٦]؛ لأن حسن الخط يزيد الحق وضوحاً... ويدرك الغاية[٥٧]، فالرسالة التي وجهها عبدالحميد الكاتب للكُتَّاب تبين ما للخط الجيد من أهمية عند الكتابة كما أكد على ضرورة تحسين الخط وتجويده حيث قال: «وأجِّيد الخط فإنه حِلْيَّة كتبكم»[٥٨].

هذه الرسالة (رسالة عبدالحميد الكاتب) التي تناولت الصفات العلمية والذاتية والاخلاقية التي يجب أن يتمتع بها الكاتب ليبقى في مستوى مهنة الكتابه الشريفة التي يمارسها حتى أصبحت هذه الرسالة بمثابة القانون المضبوط والدستور الثابت الذي سار عليه الكُتَّاب في المشرق والمغرب وفي جميع العصور.

فالكاتب أحمد بن فركون* «سبق أهل زمانه في حسن الخط سبقاً افرده بالغاية القصوى... اقتضى ذلك... ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية»[٥٩].

أما الموضوعات التي تضمنتها رسائل دوان الإنشاء أو كتب بنو الأحمر فهناك عدة موضوعات تضمننها الكتب الصادرة عنه فكان كل كتاب يختلف عن الآخر باختلاف الغاية التي كُتب من أجلها، ومن تلك الموضوعات، المعاهدات التي ارتبطت بها غرناطة مع غيرها من الدول لتنظيم العلاقات بينها، وكما هو معروف أن المعاهدات كانت تعقد بين طرفين أو أكثر وعادة ما تتبع عمل حربي أو تعاون تجاري أو تبادل ثقافي وغير ذلك. ومن هذه المعاهدات تلك المعاهدة التي عقدت بين سلطان غرناطة أبو عبدالله محمد الثاني مع ملك ارغون سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م؛ فقد أكدت هذه المعاهدة على التزام الصلح الثابت والصحبة الصادقة ورد العدوان عن كل من البلدين وحرية التجارة بأنواعها وحمايتها وحماية التجار بين الطرفين والتزام كل طرف منها تجاه الآخر[٦٠].

وهناك كتب أخرى مثل مخاطبات الرعية في موضوعات مختلفة منها ما كان في الوعظ والارشاد ومنها حث الرعية للجهاد والاستعداد لمجابهة العدو والدفاع عن الوطن أو بيعة السلطان أو بشارة بفتح جليل وغيرها.

ومن هذه المخاطبات تلك المخاطبة التي بعث بها السلطان الغني بالله (٧٥٥ – ٧٦٠هـ) إلى الرعية تختص بالمواعظ والحِكَم قُرأت عليهم في المساجد فقد ذكر فيها حقوق الرعية على السلطان من رعاية واهتمام ونصح وارشاد والسهر على راحتهم، ثم يقدم لهم المواعظ والنصائح فيما يتعلق بالمحافظة

على واجبات الإسلام من صلاة وزكاة وحقوق الجار ومحاربة الفساد والفجار والالتزام بالأخلاق الحميدة والحث على تعليم القرآن للصبيان وغيرها من الأمور المهمة في الشرع والدين[٦١].

وهناك مكاتبات أخرى كالبيعة والعهد والولاء والطاعة للسلطان يكتبها صاحب ديوان الإنشاء من الرعية إلى السلطان معاهدينه على الطاعة وقبولهم بأمرته عليهم عند استلامه الحكم وعلى سبيل المثال البيعة التي تخص السلطان الغني بالله محمد الخامس (٧٥٥-٧٦٠هـ/١٣٥٣-١٣٥٨م) إذ ذكر فيها كيفية وصوله إلى الحكم... بعد ذلك تذكر شروط البيعة والتزام العامة بها ويشهدون الله عليها وإنهم أعطوا ولائهم على الالتزام بها، وإنهم بايعوا سلطانهم على ما بُويع عليه رسول الله ﷺ ومن له من أصحابه وآله وعلى السمع والطاعة وملازمة السنة والجماعة» واعظو صفقات أيمانهم تثبيتاً للوفاء وتأكيداً... وكتب الملأ المذكورون اسماؤهم بخطوط ايديهم شاهدة عليهم بما التزموه... في الثاني والعشرين من شوال عام خمسة وخمسون وسبعماية»[٦٢].

وقبل أن نذكر أبرز وأشهر كُتَّاب ديوان الإنشاء الغرناطي لا بد لنا من معرفة كيفية الكتابة عند هؤلاء الكُتَّاب فقد كانت كتبهم تكتب غالباً على صحيفة واحدة يزيد طولها على عرضها قليلاً[٦٣]، وعلى وجه واحد فقط من الصحيفة وإذا زاد الكلام المراد كتابته عنها كُتب على الحاشية[٦٤] وكان الكاتب يترك هامشين عريضين إلى يمين الرسالة وفي أسفلها[٦٥].

وعن ختم الكتاب أو الرسالة كان لهم طرائق خاصة يستخدمونها للحفاظ على سرية المعلومات ولضمان عدم الاطلاع عليها أو فتحها إلا من قبل المرسل إليه، فكانت تُختم بالشمع الأحمر بخاتم مُعَدّ لهذه الغاية[٦٦]. وهذا دليل على أهمية الختم للحفاظ على سرية المعلومات المذكورة في الكتب ومنح التلاعب بها.

ومن الأمور الأخرى المهمة التي تخص الكتب الصادرة عن ديوان الإنشاء هو اتخاذ العلامة -التي مرَّ ذكرها سابقاً- أو الإشارة أو العبارة من قبل السلطان ليضعها على الكتاب دلالة على صدوره عنه وبأمره؛ فالغالب بالله محمد بن يوسف أو سلاطين بني الأحمر اتخذ علامة «ولا غالب إلا الله»[٦٧] الشعار التاريخي الخالد، ثم بعد ذلك صارت علامتهم عبارة (صَحَّ هذا) وكانت تكتب بخط بارز[٦٨] لتمييزها عن الخط العادي ولإبرازها بشكل واضح على أنها علامة السلطان لأهميتها. وكان الكاتب عندما يكتب علامة السلطان يذكر «وكتب أباؤه الملوك من بني نصر صح هذا»[٦٩] وكانت العلامة عادة تكتب في آخر الكتاب[٧٠] دلالة على صحة صدورها عن السلطان نفسه وموافقته على ما ورد فيها.

ولأهمية العلامة وخوفاً من التلاعب والتزوير كان السلطان في الغالب يقوم بكتابتها بخط يده[٧١] وخاصة عند كتابة المعاهدات وتأكيدها فمثلاً سلطان غرناطة كتب الى ملك ارغون قائلاً: ولا تكونوا منه على صحة ويقين، أمرنا بكتابة هذا الكتاب، وجعلنا عليه خط يدنا وطابُعنا شاهداً علينا[٧٢]، وهذا لم يمنع بعض السلاطين من إعطاء علاماتهم لكُتَّابهم كما فعل السلطان محمد المخلوع بإعطاء علامته لذي الوزارتين أبي عبدالله بن الحكيم[٧٣].

ولو عُدْنَا إلى الوراء نرى أن السلطان محمد الفقيه ثاني سلاطين غرناطة يقوم بتقليد كاتب الحضرة السلطانية أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن صفوان علامته[٧٤]، فضلاً عن أن الكاتب أبو محمد عبدالحق بن عطية المحاربي «تقلد العلامة ورياسة الكتاب»[٧٥]. وهذا دليل على ثقة سلاطين غرناطة العالية بكتابهم، فقد يكون السلطان منشغلاً بأمور أخرى تخص الدولة أو عدم تواجده حينها فلا بد

من علامته ولا سيما إذا كانت هناك كتب مهمة ومستعجلة.

وفضلاً عن العلامة نلاحظ أن بعض الكتب قد كتبتها السلاطين أنفسهم وبخط ايديهم لا سيما عند خروجهم للجهاد وهذا ما ذكره ابن الخطيب عندما وصله كتاب من السلطان بخط يده إثر افتتاحه حُصن أطريرة* بقوله: «وصلني كتاب السلطان يُعَرِف بفتح أطريرة واستيلائه عليها عنوة وذلك بخط يده، فعرفت من أهل حضرته الذين أعجلهم إسراع الحركة عن اللحاق به»[٧٦].

وقد ورد في ديوان سلطان غرناطة يوسف الثالث كتاب بخط يده وهو مُخَيِمٌ (مُعَسْكِرٌ) بجبل الفتح قوله: «.... من كاتبها ومُرْتَجِلها يوسف بن يوسف بن نصر أيدهُ الله ونصره بنصره...»[٧٧] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه الكتب كونها بشارة للمسلمين بفتح المدن، فالسلطان من شدة فرحة وارتياحه وبهجته كتبها بخط يده أو لربما كان الكُتَّاب غير متواجدين معه فلا ينتظر أن يُملي الكلام على الكاتب بل يسرع بالكتابة لإيصال الخبر بالسرعة الممكنة؛ ولهذا بالتأكيد اعتبارات معنوية تؤخذ بنظر الاعتبار.

وبما أن هذه الكتب على قدر كبير من الأهمية سواء من التي حررها كُتَّاب ديوان الإنشاء أو التي حررها سلاطين غرناطة فلا بد لها من مكان خاص توضع فيه فاتخذ بنو الأحمر خزانة الكتب لحفظها لأن ما يرد إلى الدولة أو يصدر عنها من الأهمية بمكان مما يستوجب الحفاظ عليه وحفظه كي يسهل الرجوع إليه عند الحاجة فهي تبقى شاهداً للاجيال القادمة تراثاً وذخراً للأقتداء بمضامينها ولولا تلك الخزائن لما وصلتنا هذه المعلومات القيمة المهمة.

وقد أشار ابن الخطيب في الكتاب الذي ارسله عن سلطانه إلى سلطان مصر رداً على كتابه الذي أعلمه فيه باستعادة الاسكندرية واصفاً هذا الكتاب بقوله: «فاكرم به وافدٍ مخطوب، وزائر مرقوب، صَدَعْنا به في حفل الجهاد انتماء وافتخاراً ثم صُنّاهُ في كرائم الخزائن اقتناءً للخلف وإدخاراً»[٧٨].

ومن هنا يتبين لنا قيمة هذه الخزائن عن غيرها ومكانتها لديهم بقوله «كرائم الخزائن» وإنها خصصت لهذا الغرض لقيمة وأهمية الكتب الصادرة والواردة.

وكان على صاحب ديوان الإنشاء كتمان السر أكثر من غيره بحكم اطلاعه على الأمور كلها فهي لا تكاد تخرج من غير معرفته، إذ لا يجوز له افشاء السر مهما حصل وعليه أن يحفظ أسرار الدولة ويصرف الحديث[٧٩]، وقد ذكر احد الشعراء مخاطباً لسان الدين بن الخطيب حين تولى ديوان الإنشاء فقال:

وقام لها في ساحةِ العزِ كاتباً
بمحضرها أسرارها ومغيبها[٨٠]

وكان لسان الدين بن الخطيب منفرداً بسرِّ سلطانه أبي الحجاج... ومستشاراً له بصدقه النصيحة ويخلص له في سِرِّه وعلنه في كل ما يقوم به[٨١]. فاتخاذ السلطان ابن الخطيب كاتباً لسِرِّه أمر خطير لما لهذه الوظيفة من وضع حساس؛ إذ يقول صاحب كتاب التعريفات في المصطلح الشريف عن كاتب السِرُّ بأنه «المستشار المؤتمن، والسفير الذي كل أحد بسفارته مرتهن، وهو إذا كتب بنانُنا، وإذا نطق لسأننا، وإذا خاطب ملكاً بعيد المدى عنوانُنا، وإذا سدّد رأيه في نحور الأعداء سهمُنا المرُسل وسناناً فليتقِ الله في هذه الرتبه»[٨٢].

ومن الكتاب المتميزين في ديوان الإنشاء الكاتب محمد بن أحمد بن حيون* الذي تقلد خطة الكتابة على عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل (٧١٣-٧٢٥هـ)[٨٣]، وكذلك كاتب القلم الأعلى في المغرب أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي × الذي تقلد الكتابة لبني الأحمر ثم انتقل إلى المغرب بعد

فضل بن الحكيم ليعيَّن كاتباً لسلطانها وصاحب علامته[٨٤].

وكان أبو الحسن بن الجيّاب* من كتاب ديوان الإنشاء المتميزين كان يشارك في المناظرات الأدبية التي يعقدها الكتبة في ديوان الإنشاء، وكان يظهر في ذلك سرعة بديهية عزَّ نظيرها، وكان صاحب ألغاز وطُرف مع الكُتَّاب [٨٥] ويشير المقري إلى مدح لسان الدين بن الخطيب له بقوله: وتأدبتُ بالشيخ الرئيس صاحب القلم الأعلى الصالح الفاضل أبي الحسن بن الجيّاب[٨٦] وقد أنشى كتب عدة في شتى الأغراض حتى قيل عنه «شيخ الكتابة وبانيها»[٨٧].

وامتدحه أبو الوليد بن الأحمر بقوله: «كان قد إمتطى من ديوان الإنشاء جواداً تقدم بها مجلياً وغدا لكل منتم لهذه الطريقة مصلياً»[٨٨]. كما امتدحه ابن القاضي بقوله «له قلمٌ فصيح وباعٌ في الكتابة والخطابة مديدٌ فسيح»[٨٩].

ومن الكُتَّاب الرموز في ديوان الإنشاء الغرناطي لسان الدين بن الخطيب الذي كان لوالده الفضل الكبير في تميزه بالكتابة؛ إذ كان والده من أهل العلم والأدب والطب سريع البديهية حاضر الجواب، وبعد وفاة والده ذكر ابن الخطيب فضله عليه بالمعرفة والأدب بقوله «وخلَفَنُي عالي الدرجة، شهير الخطة، مشمولاً بالقبول، مكنوفاً بالعناية»[٩٠].

وانتظم ابن الخطيب في ديوان الإنشاء مرؤوساً بأبي الحسن بن الجيَّاب ثم ترقى إلى رئاسة الكُتَّاب والوزارة[٩١] بعد وفاة شيخه ابن الجيَّاب[٩٢] وقيل عنه: «أما نثره فهو الزخار بل البدر الذي به الافتخار، وناهيك أن كتبه الآن في المغرب قبلة أرباب الإنشاء التي إليها يُصلون وسيوف دُرَرَهُم النفسية التي يزينون بها صدور طروسهم ويُحلّون»[٩٣] ووصف أيضاً بأنه «كاتب الأرض إلى يوم العرض»[٩٤].

اشتهر ابن الخطيب بمهارته في التأليف؛ إذ كان يواصل الليل بالنهار لا يلحقه كلَّ ولا ملَّ وكانت أكثر مؤلفاته يعكف على تأليفها ليلاً [٩٥]. وقد عرف بأنه شخصية متعددة الجوانب فهو كاتب وشاعر وسياسي ومؤرخ بارع.

ومن كُتَّاب ديوان الإنشاء الغرناطي ممن يشار لهم بالبنان الكاتب المعروف الشهير أبو عبدالله بن زمرك*؛ إذ كثيراً ما يقترن اسمه باسم أستاذه لسان الدين بن الخطيب أعظم مفكري الأندلس وأعظم كُتَّابها وشعرائها والذي ظهر في فترة اعتبرت المع فترة في الحركة الفكرية في ظل مملكة غرناطة وهي فترة القرن ٨هـ/١٤م حيث كانت الحياة الأدبية في الأندلس والمغرب في أوج نشاطها، ابن الخطيب هذه العبقرية الفذة نراه يصف تلميذه ابن زمرك بهذا الكلام الرائع البليغ فيقول «هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس وأفراد نجبائها، عذب الفكاهة حلو المجالسة، حسن التوقيع، خفيف الروح، عظيم الانطباع، شره المذاكره حاضر الجواب شُعلة من شُعل الذكاء، كثير الرقة، غزِل مع حياء وحشمة، جواد بما في يده، مشارك لإخوانه»[٩٦].

وقد أشار ابن زمرك صراحة معترفاً بفضل استاذه ابن الخطيب عليه بقوله: «... أبو معارفي، وولي نعمتي، ومعيد جاهي، ومقوم كمالي،.. جالياً صورة تشريفي بالانتساب إليه في أحسن التقويم...»[٩٧].

وكان لابن مرزوق* وابن الخطيب دور مهم في تقلد ابن زمرك الكتابة؛ إذ قدمه بن مرزوق إلى سلطان المغرب أبي سالم إبراهيم بن السلطان أبي الحسن المريني (٧٦٠-٧٦٢هـ/١٣٥٨-١٣٦٠م) اللائذ وقتذاك بغرناطة فتقلدَ عنه الكتابة[٩٨]. وحين خَلَفَ السلطان محمد الخامس الغني بالله أباه سنة (٧٥٥هـ / ١٣٥٣م) أبقى لسان الدين بن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ) وزيراً له فقام هذا الأخير بالحاق تلميذه ابن زمرك بإدارة الدولة لما راى فيه من نجابه وفطنة، ويُنَوه ابن الخطيب في الاحاطة بذكائه وخلاله وتفوقه في الدرس والأدب[٩٩] ويصفه قائلاً:

«... كان ذكياً، شائق الحديث. حلو المعاشرة، خفيف الروح إلى خشوع في القلب وطهارة في الثوب وإلى بشاشه دائمة وحُب للمداعبة..»[١٠٠] فضلاً عما ذكره بقوله: «ابن زمرك المولع بحفظ النوادر»[١٠١].

وعندما فرّ السلطان محمد الخامس الغني بالله إلى المغرب سنة (٧٦١هـ/١٣٥٩م) إثر تمرد أخيه إسماعيل الثاني واستيلائه على السلطة كان ابن زمرك ممن لحق بسلطانه بعد هذه الحادثة وأقام معه وأثناء عودة الغني بالله إلى الأندلس لاسترداد ملكة عام (٧٦٢هـ/١٣٦٠م) كان ابن زمرك مرافقاً له فاتخذه كاتب سرّه[١٠٢]، وحين عاد الغني بالله إلى غرناطة أصدر مرسوماً بذلك[١٠٣]، وهكذا لازم ابن زمرك عهد السلطان الغني بالله منذ بدئه حتى نهايته وقد صرح ابن زمرك عن هذا الأمر بوضوح حين قال: خدمته سبعاً وثلاثين سنة: ثلاثاً بالمغرب وباقيها بالأندلس[١٠٤] ولا بُدَّ لنا هنا من الإشارة إلى أن ابن زمرك تنكرّ لأستاذه وجحد عرفانه متناسياً فضله وغدا من خصومه وألد أعدائه ومن أشدهم سعياً إلى نكبته فكان أحد الساعين في قتله يقول المقري:

«ابن زمرك من تلامذة لسان الدين ومن عِداد خُدَامِه، صَرَّحَ بذمه وهجوه بعد أن كان ممن يشكره، وهكذا عادة بني الدنيا يدورون معها حيث دارت ويسيرون حيث سارت ويشربون من الكأس التي أدارت، وقد تولى الوزارة عوضاً عن ابن الخطيب وصَدحَ طيرَ عزِه... ثم آل الأمر إلى القتل كما سعى في قتل لسان الدين وكان الجزاء له من جنس عمله والمرءُ يُدان بما كان به يدين»[١٠٥].

ومهما يكن من أمر فإن ابن زمرك قد حظى بحظوة كبيرة عند سلطانه فأسند إليه الكتابة والسفارة والحجابة[١٠٦]. وقد امتدحته المصادر التاريخية وخاصة في مجال الكتابة فقال عنه ابن الخطيب في ذلك: «فارس النظم ثم النثر، وينبوع الحلاوة، اللعوب بأطراف الكلام»[١٠٧] ووصفه ابن الأحمر قائلاً: «ابن زمرك تقلد سبق الشعر المحلَّى، وبالإجادة تجلَّى... محاضراته الأدبية جميلة وصورته من براعةِ الحُسن جميله»[١٠٨]. ونعته يوسف الثالث «بالناظم الناثر»[١٠٩]، فكان عمله في ديوان الإنشاء يتطلب منه الكتابه عن مخاطبات وأوامر السلطان، إذ إنه كان «مضطلعاً بالخطة خطاً وانشاءً، ولَسَناً ونقداً فَحَسُن منابُهُ»[١١٠].

فحسن الخط والبلاغة أمران ضروريان يضافان إلى ما اتصف به كاتب السِرُّ من صفة الكتمان والسرية.

لقد درج سلاطين بني الأحمر على احترام أهل العلم واسندوا المناصب العالية إلى رجال الأدب وحملة الأقلام الذين ارتقى بعضهم من منصب كاتب إلى منصب وزير، فأين زمرك كان ابن حداد فقير من حي البيازين الشعبي[١١١]، ثم أصبح واحداً من هؤلاء الكُتَّاب الذين عرفهم ديوان الرسائل في حمراء غرناطة، فديوان الرسائل ادارة تابعة للسلطان ومركزها قصر الحمراء، إذ كانت مهمته الأساسية هو تأمين المراسلات الرسمية للدولة.

لقد حظيت الكتب الرسمية وكل المخاطبات والمراسلات التي كانت تخرج عن كتاب ديوان الإنشاء وتحديداً على عصر بني الأحمر حظيت بعناية كبيرة لأهميتها كونها تمثل الوسيلة الإعلامية التي تعبر بها الدولة عن سياستها الداخلية والخارجية، كما حَظِيَ ديوان الإنشاء هو الآخر بالعناية نفسها.

ومجمل القول بأن ديوان الإنشاء والرسائل كان يحقق احد أبرز مظاهر التقدم الحضاري بل كان ودليلاً بيناً واضحاً على رُقي الحضارة الإسلامية ونظامها المُحْكَم في التيسير على الرعية والتأكيد على الهوية الإسلامية.

هوامش البحث

(١) سورة الانفطار، الآية ١٠

(٢) سورة الانفطار، الآية ١١

(٣) سورة النمل، الآية ٢٨

(٤) سورة النمل، الآية ٢٩

(٥) أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر، مستودع العلاّمة ومستبدع العلاّمة، جامعة محمد الخامس، (الرباط – ١٩٦٤)، ص١٨.

(٦) موسى بن حسن الموصلي، البرُد المؤشي في صناعة الإنشا، تحقيق: سيد جيرة، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت – د.ت)، ص ٧.

(٧) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية العامة، الطبعة الأميرية، ٧٣/١.

(٨) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق: علي عبدالواحد وافي، لجنة البيان العربي / ط١ – ١٩٥٨، ١٥٩١/١.

(٩) النقيب، احلام حسن مصطفى، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية، رسالة ماجستير مطبوعة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٨، ص٧٤.

(١٠) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مصطفى البابي الحلبي، ط٢-١٩٦٦ ص ١٩٩-٢٠٠، الجهشياري، أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي: (القاهرة – ١٩٣٨)، ص١٦، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، (بيروت – ١٩٦٨)، ص ٢٥٣.

(١١) أبو جعفر أحمد بن الزبير، صلة الصلة، مكتبة خياط، (بيروت – د. ت) ص١٤.

* علي بن محمد بن فرج القيسي، يُكنى أبا الحسن من أهل قيجاطة سكن غرناطة وكان كاتباً بارعاً له مشاركة واعتناء بالحديث والإسناد، حرص على الأخذ من الشيوخ...

ينظر: ابن الزبير، صلة الصلة، ص٢٨٢.

(١٢) ابن الصيرفي: أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان بن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل نقلاً عن محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الفاطمي، الكتابة والكتاب، (الاسكندرية – ١٩٩٥)، ص ٣٨٠.

(١٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥١/١-٥٤.

(١٤) أبو الهلال العسكري – كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي – (القاهرة – ١٩٧١)، ص١٤٢.

(١٥) الكتابة السلطانية نسبة إلى السلطان وهو من ألقاب الملوك فيقال المقام الشريف العالي السلطاني، القلقشندي، صبح الأعشى، ١٥/٦.

(١٦) صبح الأعشى، ٣٧/١.

(١٧) السيد محمود الشريف، ديوان الإنشاء في عصور الإسلام المختلفة، نقابة السادة الأشراف -٢٠١٧، ص١.

(١٨) صبح الأعشى، ٢٨٧/٦.

(١٩) شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر (بيروت – ١٩٦٨) ١٣١/٦، ١٥٩؛ لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني المعروف بابن الخطيب، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان (دار المعارف بمصر د.ت)، ١٦٣/٤، ٤٢٧/٢؛ ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الثقافة (بيروت – ١٩٦٧)، ص ٣٢٠-٣٢٣.

(٢٠) القاسم بن علي الحريري، مقامات الحريري، دار صادر بيروت – ١٩٩٢، ص١٨٤-١٨٥.

(٢١) ضياء الدين نصر الله ابن الأثير، المفتاح المنشأ في حديقة الإنشا، تحقيق: هلال ناجي، (الموصل، ١٩٨٣)، ص١٤.

* هو عبدالحميد بن يحيى (ت ١٣٢هـ) أشهر كتاب العصر الأموي أصله من الأنبار في العراق التحق بديوان الرسائل في عهد هشام بن عبدالملك ثم تقلد رئاسة ديوان الرسائل في عهد مروان بن محمد آخر خليفة أموي بقى مخلصاً حتى قتل على يد العباسيين.

الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر عبدالعال، (القاهرة – ١٩٦١) ص٨٨، ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، مج١ ص ٣٠٧.

(٢٢) أبو عبيدالله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، حيدر إباد الدكن، ٨/٤٧٠-٤٧١.

* المَعْدِلة والمَعْدَله: العدل

* الأَمَنَة: الأمن

(٢٣) القلقشندي، صبح الأعشى ١/١٣٩-١٤٠.

(٢٤) المقريزي، المواعظ والاعتبار ١/٤٠٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ١/١٠٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، (بيروت-١٩٥٧) ص٩٤-٩٦.

(٢٥) صبح الأعشى ١/٦١-١٠٠.

(٢٦) النويري، شهاب الدين، نهاية الأدب في معرفة فنون الأدب، (القاهرة- د.ت)، ٧/٣٢ و٣٥، القلقشندي، صبح الأعشى ١٢/١٣٥؛ انظر ابن خلدون: المقدمة ص١٦٦-١٦٧.

* محمد بن أحمد بن جزيَّ: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن جزيَّ الكلبي من أهل غرناطة وأعيانها نشأ في كنف والده وتدرب على يديه كان معتدلاً في الكتابة انتقل إلى عدوة المغرب وكتب عن بني مرين ولفي هناك حتى وفاته سنة ٧٥٧هـ.

ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣، ص٢٢٣- ٢٢٨، الاحاطة، ٢/٢٥٦، المقري، أزهار الرياض في اخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المغرب والإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٨، ٣/١٨٩.

(٢٧) ابن الخطيب، الاحاطة ٢/٥٦.

* أبو بكر بن الحكم: هو الشيخ الوزير القائد الكاتب أبو بكر بن ذي الوزارتين أبي عبدالله بن الحكم برز في الحديث وروايته ودون الفهارس كان كاتباً بليغاً حسن الخط كتب بالدار السلطانية أكثر عمره، توفي سنة ٧٥٠هـ. ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/٢٧٢- ٢٨٠.

(٢٨) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/٢٧٣.

(٢٩) ابن الخطيب، الاحاطة، ١/٥٦٨، اللمحة البدرية، ص٤١.

* أبو بكر محمد بن عاصم: هو الشيخ الكاتب أبو عبدالله محمد بن محمد بن أبي عاصم القيسي من أهل غرناطة كتب بالدار السلطانية وناب عن كاتب السر، حسن الخط سمح الأخلاق وكان شاعراً.

ابن الخطيب، الاحاطة، ١/٥٧٧؛ الكتيبة الكامنة، ص ١٧٢-١٧٤.

(٣٠) القلقشندي، صبح الاعشى، ١٢/١٣٥.

(٣١) علي الحسين بن محمد، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – ١٩٤٧)، ص١١.

(٣٢) أبو منصور عبدالملك بن حجر، خاص الخاص – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٦، ص٩٢.

(٣٣) ابن خلدون، المقدمة، ص١٩٣.

(٣٤) ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/٩١.

(٣٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس – ص٩٤-٩٦، ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا ص ٨١.

(٣٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ٥/١٤٤.

(٣٧) ابن السماك العاملي، أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد بن محمد العاملي من علماء القرن ٨هـ، رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير، تحقيق: سليمان القرشي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤، ص٥٣.

(٣٨) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ق١، م١، ص٩٣.

(٣٩) القلقشندي، صبح الأعشى ١/١٣٢-١٣٣.

(٤٠) القلقشندي صبح الأعشى ١/١٣٤، الكتابة في عصر الخلافة بالأندلس، عبدالرحمن رزقي، مجلة متون العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، مج٨ العدد ٣٠، السنة ٢٠١٦، ص١٧٣ وما بعدها.

(٤١) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/١٣٦.

(٤٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ١/١٣٤.

(43) Ramon Garcia de Linares. Los Documentos Arabes diplomaticas del Archivo de Lacoronade Aragon (Madrid – 1940) p.1.2 No.1.36.40.

عبدالرحمن رزقي، الكتابة في عصر الخلافة بالأندلس، مجلة متون العلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان عدد٣ ص١٧٨.

(٤٤) ابن الأحمر، مستودع العلامة ص٤١، للمزيد والاطلاع على المعاهدات الأخرى ينظر: المقري، نفح الطيب ٢/٦١٥-٦١٦; مجهول، نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر، تحقيق: محمد رضوان الداية، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر -١٩٨٤ ص ٤٨، ٥٠؛

Los Documentos Arabes p.11.20.22.25. 27.31.36.40.

(٤٥) القلقشندي صبح الأعشى ١/٦١.

(٤٦) أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، نشر وتعليق: علي بهجت، ط١، مطبعة الواعظ، (القاهرة – ١٩٥٠) ص٩٥.

(٤٧) صبح الأعشى ١/٩٣.

(٤٨) مؤلف مجهول، الذخيرة السنية في الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، (الرباط -١٩٧٢)، ص١٤، ابن الخطيب، الاحاطة، ٢/٤٦٦-٤٦٨، كناسة الدكان، ص١١١.

(٤٩) ضياء الدين نصرالله ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط٢، القاهرة، ١٩٧٣، ١/١٢٤.

(٥٠) شهاب الدين محمود الحلبي، حُسن التوسل الى صناعة الترسل، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص٧٦.

(٥١) ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص٩٥.

(٥٢) ابن الصيرفي، قانون ديوان الرسائل، ص٧٨-٨٠، مجهول، الذخيرة السنية، ص١٤١; ابن الخطيب، ريحانة الكُتَّاب ونجعة المنتاب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة – ١٩٨١، ١/١٨١-١٩٨.

(٥٣) مجهول، الذخيرة السنية، ص١٤١; ابن الخطيب، ريحانة الكُتَّاب، ١/١٨٦-١٨٧، ١٩٦-١٩٧.

(٥٤) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق وتعليق: محمد محي الدين عبدالحميد، ط٤، (بيروت-١٩٧٢) ٢/١٠٦.

(٥٥) صبح الأعشى ٧/٣٠-٣٦، انظر: عبدالرحمن رزقي، الكتابة في عصر الخلافة بالأندلس، مجلة متون العلوم الاجتماعية، مج٨، العدد٣، السنة ٢٠١٦، ص١٧٩.

(٥٦) القلقشندي، صبح الأعشى ٣/٢٦-٢٧.

(٥٧) أسعد بن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق: عزيز سوريال، مصر، ١٩٤٣ ص ٦٤-٦٥.

(٥٨) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٧٥.

* ابن فركون: هو أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد القرشي ابن فركون، يُكنى أبا جعفر، ولد عام ٧٤٧هـ عمل في النسخ تم ترقى إلى الكتابة. ابن الخطيب، الاحاطة ١/٢٢٨; الكتيبة الكامنة، ٣٠٥-٣٠٧.

(٥٩) ابن الخطيب، الاحاطة ١/٢٢٨.

(60) Los Documentos Arabes p. 11.16.20.22.31.36.

وللاطلاع على المعاهدات الأخرى ينظر: المقري، نفح الطيب ٢/٦١٥-٦١٦.

(٦١) ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ٢/٤٢-٤٣.

(٦٢) للاطلاع على ما نصت عليه البيعة راجع ابن الخطيب، ريحانة الكتاب ١/١١٦-١٢٦.

(٦٣) القلقشندي، صبح الأعشى ٦/١٨٤.

(٦٤) القلقشندي، صبح الأعشى ٧/٤١.

(٦٥) يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، دراسة حضارية، دار الجيل، ط١، بيروت -١٩٩٣، ص٦٦.

(٦٦) القلقشندي، صبح الأعشى ٧/٤١؛ ابن خلدون المقدمة ٢/٦٤٥.

(٦٧) ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص٢١.

(٦٨) ابن الأحمر، نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٩٧٦، ص٨٠.

(٦٩) ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص٨٠.

(٧٠) القلقشندي، صبح الاعشى ٤١/٧، ابن خلدون، العبر، ٨٨٨/٧-٨٨٩.

(٧١) ابن الأحمر، مستودع العلامة، ص٢١.

(٧٢) محمد ماهر حمادة، الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقيا، ط١، بيروت -١٩٨٠، ص٤٦٥-٤٦٧، ٤٧٣-٤٧٤.

(٧٣) ابن الخطيب، الاحاطة ٤٤٧/٢.

(٧٤) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص ١٣٢.

(٧٥) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص ١٣٨.

* حصن أطريرة: من حصون مدينة اشبيلية يقع إلى الجنوب منها. المقري، نفح الطيب ٣٦٩/٦.

(٧٦) ريحانة الكتاب، ٦٣/٢.

(٧٧) أبو الحجاج يوسف الثالث، ديوان ملك غرناطة، تحقيق: عبدالله كنون: ط٢ (مصر-١٩٦٥)، ص٥٠.

(٧٨) القلقشندي، صبح الأعشى ١١٨/٨.

(٧٩) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الاخبار، دار الكتاب العربي، (بيروت- د.ت)، ٤٥/١.

(٨٠) المقري، نفح الطيب، ١٠٣/٦.

(٨١) الاحاطة ١٦/١.

(٨٢) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: د.سمير الدروبي، ط١، جامعة مؤته -١٩٩٢، ص١٥٧-١٥٨.

* محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن حيوّن: كاتباً في ديوان الإنشاء ثم قُلِّدَ القضاء والخطبة بالحضرة واعقبها ولاية مالقة عام ٧٣٧هـ ثم عزل عن القضاء عام ٧٤٧هـ. توفي سنة ٧٦٠هـ ابن الخطيب، الاحاطة، ١٨١/٢-١٨٢.

(٨٣) ابن الخطيب، الاحاطة، ١٨٢/٢.

* عبد المهيمن بن محمد بن عبدالمهيمن الحضرمي السبتي، من أهل سبته انتقل إلى غرناطة بعد سيطرة ابن الأحمر عليها وكان كاتباً مشهوراً وصاحب رواية وحديث، دوَّن الكثير من العلوم، توفي سنة ٧٤٩هـ او ٧٥٠هـ

ابن الخطيب، الاحاطة ١١/٤-١٨، ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ص٢٢٣-٢٢٦.

(٨٤) أحمد بن القاضي المكناسي ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: الأحمدي أبو النور، ط١، (تونس - ١٩٧٠)، ٢٣٧/٣.

* هو علي بن محمد بن سليمان بن حسن الانصاري يُكنى أبا الحسن ويُعرف بابن الجيَّاب ولد سنة ٦٨٣هـ في غرناطة عمل في الكتابة في كنف بني الأحمر منذ أن كان يافعاً واستمر لمدة خمسين سنة أو يزيد عليها، تقلد مناصب عدة منها رئاسة الكتاب ثم تقلد الوزارة والكتابة حتى لقب بذي الوزارتين.

ابن الخطيب، الاحاطة ١٢٥/٤-١٢٦، ١٦٥/١

المقري، نفح الطيب ٤٤٦/٥

(٨٥) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة ١٨٩-١٩٣، المقري، نفح الطيب ٤٤٣/٥-٤٤٥.

(٨٦) الاحاطة ٤٥٨/٤.

(٨٧) ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة ص١٨٣.

(٨٨) نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق: محمد رضوان الداية، بيروت، ١٩٦٧، ص٢٤٠.

(٨٩)ابن القاضي، درة الحجال، ٢٣٥/٣.

(٩٠) الاحاطة، ٤٤٣/٤.

(٩١) المقري، ازهار الرياض ٢٠٥/١، ابن الخطيب، الاحاطة ٣٥/٤.

(٩٢) ابن القاضي، درة الحجال ٢٤٣/٣; ابن الخطيب، الاحاطة ١٢٦/٤.

(٩٣) المقري، نفح الطيب ١٦٤/٦.

(٩٤) ابن الأحمر، نثير فرائد الجمان، ٢٤٣.

(٩٥) أبو الفلاح عبدالحي ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، القاهرة -١٣٥٠هـ، ٢٤٦/٦.

* أبو عبدالله بن زمرك: هو محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الصُرَّيحي، يكني أبا عبدالله ويعرف بابن زَمرُك، ونسبه الصُريحي فهو نسب يقول عنه ابن الخطيب (إنه شاهد على الأصالة، ودليلٌ على العروبية) وهو تلميذ ابن الخطيب وآخر علم من أعلام الشعر الأندلسي ومن مشاهير السياسة الغرناطية تولى الوزارة خلفا لابن الخطيب: أصله من شرق الأندلس نزحت أسرته إلى غرناطة واستقرت في حي البيازين شمال غرناطة ولد سنة ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م كان محباً للعلم عكف على تثقيف نفسه، درس في المدرسة اليوسفية وتتلمذ على أيدي كبار أساتذتها فنبغ في اللغة والأدب والتفسير وهو شاعر مشهور، كتب العديد من الشعر والنثر وله في وصف الحمراء وقصورها وبساتينها العديد من الأبيات الشعرية التي نقشت على جدران الحمراء، قام بمهمات دبلوماسية حيث ارسله السلطان لتمثيل بلاده فضلاً عن مهمات إدارية. توفي سنة ٧٩٧هـ /١٣٩٥م حيث داهمه جماعة من المتآمرين بمنزله وقتلوه وأهله وخدمه.

*ابن الخطيب، الاحاطة ٧٩/١، ٥٧، ٤٧، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ص٦٦، انخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ط٢، (القاهرة -١٩٥٥) ص١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

(٩٦) لسان الدين أبو عبدالله محمد السلماني، الاحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ط١، القاهرة- ١٩٧٤، ٣٠٠/٢.

(٩٧) ابن الخطيب، الاحاطة، ٣١٣/٢-٣١٤.

* أبو عبدالله بن مرزوق: هو الفقيه الخطيب الصدر المحدث الحاج أبو عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني لقب بشمس الدين، جمله من جمل الفضل وفارس المنابر ابقاه الله للعلم والعمل وبلوغ الأمل، قدم الأندلس في أواخر سنة ٧٤٨هـ /١٣٤٨م، وجلس للأقراء في المدرسة اليوسفية ثم رحل إلى المغرب عام ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، له شرح كتاب (الشفاء) وكتاب العمدة، توفي سنة ٧٨١هـ، ١٣٧٩م.

* ابن الخطيب، الاحاطة، ٣٠٢/٢-٣٠٣، ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، مج١ ص ١١١، ٣٤٢، أحمد سليم الحمصي، ديوان ابن زمرك، ط١، بيروت المكتبه العصرية للطباعة والنشر-١٩٩٨، ص٩.

(٩٨) المقري، نفح الطيب ١٦١/٧.

(٩٩) ابن الخطيب، الاحاطة ٣٠٠/٢، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، الدُرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، القاهرة، دار الكتب الحديثة ٧٨/٥-٧٩.

(١٠٠) الاحاطة ٣٠٠/٢، أحلام حسن النقيب، ابن زمرك من مشاهير السياسة الغرناطية، مجلة سر من رأى، مج٧، العدد ٣٦، السنة السابعة، تموز، ٢٠١١م، ص٢.

(١٠١) أعمال الأعلام أو تاريخ اسبانيا الإسلامية، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، لبنان، دار المكشوف، ١٩٥٦، ص٧٨-٧٩.

(١٠٢) المقري، نفح الطيب ١٣٤/٥، ابن الخطيب، ريحانة الكتاب، ٨٤/٢-٨٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٤/١١-٢٦.

(١٠٣) ذكر المقري نص الرسوم بتولي ابن زمرك كتابة السر من إنشاء لسان الدين بن الخطيب، للاطلاع على نص المرسوم راجع نفح الطيب ١٣٥/٧-١٣٦، ابن الخطيب، الاحاطة، ٣٠٢/٢.

(١٠٤) المقري، نفح الطيب، ١٦٧/٧.

(١٠٥) نفح الطيب، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بيروت، ١٩٨٦، ٥١/٧؛ أحلام حسن النقيب، ابن زمرك، مجلة سر من راى، مج٧، العدد ٣٦، ص٢.

(١٠٦) هذه الحظوة والمكانة التي حظي بها ابن زمرك ما كانت لتكون لولا هرب ابن الخطيب إلى المغرب، إذ كان السلطان الغني بالله قد اصدر تنفيذ الحكم بابن الخطيب وكان لابن زمرك دور كبير في القضاء عليه وقتله.

المقري، نفح الطيب ١٦٣/٥، أزهار الرياض ١٧/٢، ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة (الرباط -١٩٧٤)، ٣١٤/١.

(١٠٧) اللمحة البدرية، ص١٣٠.

(١٠٨) نثير فرائد الجمان، ص ٣٢٧-٣٢٨.

(١٠٩) المقري، نفح الطيب، ١٦٣/٧.

(١١٠) ابن الخطيب، الاحاطة ٣٠٢/٢؛ المقري، أزهار الرياض ٩/٢.

(١١١) دائرة المعارف، بطرس البستاني، بيروت-١٩٦٠، ص٣، (ابن زمرك).

E. Garcia Gomez. cin Copoetas masulman's. Madrid – 1944. P.189.

دراسة بعنوان

البيئة من المنظور الجنائي الجزائري

د. بلعرابي عبد الكريم - الجزائر

أستاذ محاضر «أ» بالمركز الجامعي، نور البشير، البيض

أ. سرخاني سماعيل - الجزائر

طالب دكتوراه وأستاذ متعاقد بالمركز الجامعي، نور البشير، البيض
تخصص علوم جنائية

ملخص

تعتبر الجريمة البيئية من الجرائم المستحدثة التي ظهرت في الآونة الأخيرة، والتي اتسع مجالها، فأضحت تمثل أهم المشكلات والمخاطر التي تواجه البيئة والتي تؤثر سلباً على صحة الأفراد والكائنات الحية بشكل عام كما تبرز ضرورة عمل الحكومات على إرساء الآليات القانونية الكفيلة بحماية البيئة لعلاقتها الوطيدة بتحقيق التنمية المستدامة. وفي هذا السياق تعتبر الجزائر من البلدان التي أدركت أهمية الحفاظ على البيئة ووضعت قوانين وتشريعات لحمايتها.

الكلمات الدالة: الجريمة البيئية، التلوث البيئي، الجزاءات، التنمية المستدامة.

Abstract

The environmental crime, is one of the most serious crimes, based on the wide Spread and deals with environmental risk which is not simply risk to the natural environment; it also includes human health risk, ecological risk. The piper emphasized That Gouvernement bodies may need to implémente législation, régulations or other control to protect human health and/or the environnent which incorpora Ted into the logic of sustainable devlopement.in this contexte, Algeria like many other countries, has understand the importance of environment protection,

Key-Words: Environmental crime - environmental pollution - sanctions - sustainable development.

مقدمة

يعد موضوع البيئة من أهم الموضوعات المطروحة للتداول على المستويين الدولي والوطني وهذا راجع إلى ازدياد تفاقم مستوى التدهور البيئي نتيجة سوء تصرف الإنسان مع البيئة واعتداءاته العمدية وغير العمدية المتزايدة عليها في جميع أنحاء العالم، بل أصبح جلياً للمجتمعات أثر تلك الاعتداءات على البيئة وذلك بسبب الانتهاكات الصارخة والخطيرة على كل عناصر البيئة وما يحيط بها من ماء وهواء، وغذاء، وتربة وذلك نتيجة استخدام الآلات والأدوات الحديثة وأسلحة الحرب المدمرة على نطاق واسع، وذلك ما أدى إلى تدخل الباحثين لضرورة البحث عن السبل والآليات الكفيلة بحماية البيئة والتقليل من آثار الأضرار على أقل تقدير، لذا أصبحت مشاكل البيئة تكتسي أهمية كبيرة على كافة المستويات وأصبحت تهدد الجماعة الوطنية وحقوقها الخاصة بالبيئة التي تعيش فيها والتي ينتج عنها العديد من الأخطار والكوارث، أصبح هذا الموضوع يفرض نفسه على الساحة الوطنية مع بروز الإحساس بخطورة ظاهرة التلوث البيئي وفداحة الآثار المترتبة عليها، اذ لفتت انتباه المفكرين والعلماء وحتى عامة الناس على المستوى المحلي، وحتى الدولة التي أصبحت تسعى جاهدة لحماية البيئة كقيمة وظاهرة اجتماعية تستحق الحماية نظرا لأهميتها على في حياة الفرد والمجتمع.

الاهتمام بالبيئة وحمايتها ظهر على المستوى الدولي، وبعدها انتقل إلى المستوى الداخلي بعد إدراك المخاطر التي تتعلق بها، اذ عملت كل الدول إلى على إصدار تشريعات وقوانين لحمايتها ومكافحة الجرائم الواقعة عليها وتدعيم هذه التشريعات بالجزاءات التي يجب احترامها، والغاية هي توقيع العقوبات على مرتكبي الجرائم البيئية وكذلك تحقيق الردع العام والخاص للمحافظة على البيئة.

وعلى غرار بلدان العالم عملت الجزائر على خلق منظومة قانونية تهدف إلى تنظيم التعاملات البيئية والمؤسساتية لحماية البيئة، فكان أول تشريع خاص بحماية البيئة صدر سنة ١٩٨٣ والذي جاء لحماية البيئة والمحافظة على الثروات من الانتهاكات والجرائم التي ترتكب في حقها إلا أن هذا القانون لم يكن متكاملاً مما أدى إلى إلغائه بموجب القانون ١٠/٠٣ لسنة ٢٠٠٣ المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة اذ جاء مواكباً للمعطيات الدولية الجديدة وكذلك شهد عدة تحديثات في الوسائل القانونية وجعلها أكثر فعالية ونجاعة من خلال اعتماد بعض المبادئ الدولية الحديثة.

وتعتبر الجريمة البيئية من أهم الجرائم المستحدثة التي ظهرت مؤخراً والتي تشغل مجالاً واسعاً بسبب سرعة انتشارها وامتداد أثرها على الإنسان، ولكن على أساس اصطلاحي فهي تعتبر دخيلة نوعا ما على مفرداتنا فرغم ترسانة القوانين المتعلقة بالبيئة إلا أن المتمعن فيها يجد صعوبة للإلمام بها لوجود جوانب تقنية وفنية بها، وعليه ما المقصود بالجريمة البيئية؟ وما منظورها من القانون الجنائي؟

وللإجابة عن هذا التساؤل سوف تعالج هذه الورقة البحثية من خلال أربعة محاور، المحور الأول يتعلق بماهية الجريمة البيئية، والمحور الثاني تصنيف الجرائم البيئية في التشريع الجنائي الجزائري. والمحور الثالث تصنيف العقوبات بحسب الجرائم البيئية في التشريع الجزائري والمحور الرابع حول المسؤولية الجنائية.

المحور الأول: ماهية الجريمة البيئية

أولاً: تعريف الجريمة البيئية

على غرار المشرع الفرنسي والمصري لم يعرف المشرع الجزائري الجريمة البيئية تاركاً المهمة كما هو معتاد للفقه والقضاء الجنائي الذي يؤدي دوراً بالغاً في ردع السلوك الإجرامي الماس بالبيئة[١] وعليه فإن الجريمة البيئية عادية أو وطنية إن ارتكبها أحد الأشخاص وتعدى على الأحكام التي تضمن الحفاظ على التوازن البيئي، كقيام شخص بصرف المبيدات أو المواد المشعة أو إغراقها في البيئة المائية، وقد تكون الجريمة البيئية جريمة دولية تسأل عنها الدولة إذا نسب النشاط إليها، كأن تقوم الدولة بإجراء تجارب نووية داخل إقليمها، ويترتب عليها انتقال ملوثات إلى إقليم دولة أخرى وتسبب لها أضراراً بيئية.[٢]

وتعرف الجريمة البيئية بأنها: «كل سلوك إيجابي أو سلبي عمدي أو غير عمدي يصدر عن شخص طبيعي أو معنوي يضر أو يحاول الإضرار بأحد العناصر البيئية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة».[٣]

كما تعرف على أنها «خرق لالتزام قانوني بحماية البيئة، وبهذا تشكل اعتداء غير مشروع على البيئة بمخالفة للقواعد النظامية التي أحظر ذلك الاعتداء وبيان العقوبات المقررة لها»[٤]

(١) وناس يحي: الآليات القانونية لحماية البيئة في الجزائر، رسالة دكتوراه، أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٦.

(٢) علي سعيدان: حماية البيئة من التلوث بالمواد الإشعاعية والكيماوية، دار الخلدونية، الجزائر، ٢٠٠٨، ط١، ص ٣١٠.

(٣) صبرينة تونسي: الجرائم البيئية في ضوء القانون الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، كلية الحقوق، جامعة الجزائر١، ٢٠١٤، ص٧.

(٤) أشرف هلال، الجرائم البيئية بين النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

ثانياً: خصائص الجريمة البيئية

الجريمة البيئية شأنها شأن كل جريمة لها خصائص تميزها عن غيرها من أنواع الجرائم، نستعرض أهمها:

١- **صعوبة تحديد الجريمة البيئية:** وتكمن صعوبة تحديد أركان الجريمة البيئية وعناصرها في كون أن بعض هذه الجرائم قد تكون من جرائم الخطر التي تفترض نتيجة إجرامية تتمثل في التهديد بالإهدار للمصلحة أو الحق الذي يحميه القانون، كما قد تكون من جرائم الضرر والتي تفترض بدورها سلوكاً إجرامياً يترتب عليه اعتداء فعلي على الحق الذي يحميه القانون.

٢- **الطبيعة القانونية لجريمة البيئة:** الطبيعة القانونية للجرائم البيئية تثير العديد من التساؤلات، فهي خليط بين الجرائم البسيطة وجرائم الاعتياد وبين جرائم الوقتية والجرائم المستمرة.

٣- **النتيجة في جريمة البيئة:** تتمثل النتيجة الإجرامية فيما ينجم عنها من أضرار أو أخطار يمكن تلخيصها في الآتي:

أ- **امتداد أثر الجريمة واتساع مسرحها:** يعد الأثر الناجم جراء الجرائم البيئية من الآثار والنتائج المستمرة لفترة طويلة، حتى يتكفل الزمن والطبيعة بإزلتها، كما تتميز الجريمة البيئية باتساع مسرحها، ونطاقها اللامتناهي فالبيئة الهوائية مثلا لا يوجد ما يحدها، كما أن بقعات الزيت تسبب عند تسريبها في البيئة المائية انتشاراً واسعاً جداً، مما يصعب السيطرة على مثل هذه الجرائم في وقت قصير ومنع انتشارها والذي عادة يكون بصفة سريعة نظراً لطبيعة مكونات البيئة[٥].

(٥) صبرينة تونسي: المرجع السابق، ص ١٠.

ب- **جريمة دولية عابرة للحدود:** الجرائم البيئية لا تعترف بالحدود السياسية للدول والقارات، فهي جريمة دولية عابرة للحدود لا سيما إذا تعلق الأمر بجرائم تلوث البيئة الهوائية، وما يكتنفه من صعوبات للسيطرة عليه وعدم إمكانية تضييق حيزه، وهذا ما يساعد على انتشار الهواء الملوث بسبب سرعة الرياح ودرجة الحرارة والرطوبة الخاصة بالجو، وبذلك تكتسي ظاهرة تلوث البيئة طابعا دولياً[٦].

ج- **كثرة عدد الضحايا:** لا يزال يعاني من ويلات الجرائم البيئية ضحايا لا حصر لهم سواء كانت البيئة في حد ذاتها أو كائناتها الحية، فإن العبث بمعالمها والملوثات التي تطال عناصرها ومكوناتها والكائنات الحية الأخرى فيها سواء كانت بشرية أو حيوانية أو نباتية يؤدي إلى سقوط ضحايا كثر، خصوصاً إذا وقعت الجرائم البيئية داخل المناطق السكانية والتجمعات البشرية.

ثالثاً: الغاية من تجريم السلوك الضار بالبيئة

تعود الغاية أو الهدف من تجريم الأفعال الواقعة والضارة بالبيئة من حيث النتيجة الإجرامية التي تظهر بشكل غير محسوس وبطريقة تدريجية، كما أنها تتحقق في زمان ومكان غير هذين اللذين ارتكب فيهما السلوك الإجرامي[٧]، إن المساس قد يتخذ عدة صور، إذ يمثل التلوث أكثرها شيوعاً وإن التلوث من الناحية العلمية له أنواع متعددة، إلا أنه بالإضافة إلى مصطلح التلوث هناك مصطلحات أخرى مثل الإضرار بالبيئة والاعتداء على البيئة وإفساد البيئة، وجميع هذه المصطلحات من شأنها أن تؤدي إلى إلحاق آثار سلبية على البيئة[٨].

فحماية البيئة من التلوث، تفترض تغيير مصطلح التسمية، فالمقتضى أن يقال فساد البيئة طالما أن الفساد يرتد إلى الانسان، الامر الذي يمكن معه القول بأن الانسان مشكلة البيئة فعلا، فالإخلال بتوازن البيئة يعد عدوانا عليها يتطلب الحماية له، وتأخذ الحماية في إطار القانون مفهوماً أوسع من المفهوم العادي، ففي ميدان القانون والذي ينظم سلوك الأفراد تتمثل الحماية في الحيلولة دون التلوث وذلك بمنع مسبباته، وحصر ما هو قائم منه في أضيق نطاق تمهيدا للتخلص منه كلما كان ذلك ممكنا، ويفهم من ذلك أن الحماية القانونية للبيئة تتطلب أحد الأمرين: إما منع مسببات التلوث، وإما مكافحة الاسباب القائمة، من أجل إعادة التوازن البيئي والقضاء على آثارها[٩].

المحور الثاني: تصنيف الجرائم البيئية في التشريع الجنائي الجزائري

تصنف الجرائم البيئية الواردة في القانون الجزائري على أنها جنايات أو جنح أو مخالفات وذلك بالنظر إلى جسامة الجزاء الجنائي الموقع على مرتكبيها.

---

(٦) صبرينة تونسي: المرجع السابق، ص ١١.

(٧) أسامة عبد العزيز: إشكاليات المسؤولية الجنائية عن جرائم تلويث البيئة، ص ٤-٦، موقع www.eastlaws.com

(٨) وليد عايد عوض الرشيدي، المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، دراسة مقارنة رسالة ماجستير في القانون الخاص، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢، ص٢٠.

(٩) وليد عايد عوض الرشيدي: نفس المرجع، ص ٢٠.

أولاً: الجرائم المصنفة جنايات

إن هذا النوع من الجرائم لم يذكره المشرع الجزائري في قانون حماية البيئة، وإنما ذكره في التشريعات التي لها علاقة بالبيئة، مثل القانون البحري الجزائري، كما يمكن القول أن الجنايات البيئية تجد تطبيقها في نصوص قانون العقوبات الجزائري، وكذا القانون البحري، ففي قانون العقوبات نجد نص المادة ٣٩٦ منه تنص على أنه «تعتبر الجريمة جناية، ويعاقب عليها بالحبس المؤقت من ١٠ إلى ٢٠ سنة في حالة قيام شخص بوضع النار عمدا في الاموال التي لا تكون ملكاً له، كالغابات والحقول المزروعة وقطع الأشجار»، أما القانون البحري فنجد المادة ٥٠٠ منه تنص على أنه «تعتبر جناية قيام ربان السفينة الجزائرية أو الأجنبية برمي نفايات مشعة عمداً في المياه التابعة للتراب الوطني»، وكذلك نص المادة ٨٧ مكرر من قانون العقوبات التي جرمت إدخال مواد سامة أو تسريبها جواً أو في باطن الأرض أو إلقاءها في مياه تسبب خطورة لصحة الإنسان، وكذا القانون رقم ١٧/٨٣ المعدل بالأمر ١٣/٩٦ المادة ١٤٩منه، تعاقب طبقا لأحكام المادة ٤٠٦ من قانون العقوبات، كل من أتلف عمداً منشآت المياه، كذلك نجد نصوصاً تشريعية خاصة بالبيئة تصنف جرائم ضمن الجنايات، مثل قانون الصحة[١٠] والقانون المتعلق بالنفايات وإزالتها[١١] والقانون البحري[١٢] وهناك نصوص أخرى في قانون العقوبات.

وتتراوح العقوبات المقررة لهاته الجرائم والمصنفة في الجنايات كل بحسب خطورتها ما بين الإعدام والسجن (المؤبد، المؤقت) وتشديد الغرامات المالية.

ثانياً: الجرائم المصنفة جنحاً ومخالفات

من خلال نصوص قانون حماية البيئة الصادر سنة ٢٠٠٣ [١٣] وكذلك القوانين الاخرى التي تضمنت الحماية القانونية للبيئة، نلاحظ أن أغلب الجرائم الماسة بحماية البيئة مصنفة إلى جنح ومخالفات، ونذكر بعضاً منها والمنصوص عليها في بعض القوانين البيئية. **ففي قانون حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة**[١٤] – يعاقب كل من يتسبب في تلوث الجو عن طريق أحكام المادة ٤٧ من قانون ٠٣-١٠ التي توضح كيفية تنظيم انبعاثات الغاز، كما يعاقب كل ربان سفينة جزائري أو طائرة جزائرية أو كل شخص قام بعمليتي الغمر أو الترميد في المياه الخاضعة للقضاء الجزائري، من شأنها الإضرار بالبيئة وعناصرها وعرقلة صفاء المياه وتعكرها وكذلك عرقلة الأنشطة البحرية، وكل ربان سفينة خاضع لأحكام المعاهدة

(١٠) المادة ٢٤٨ من القانون ٠٥/٨٥ المتعلق بالصحة المؤرخ في ١٩٨٥/٠٢/١٦، يعاقب بالإعدام إن كانت المخالفة المنصوص عليها في المادتين من نفس القانون مخلة بالصحة العمومية للشعب الجزائري.

(١١) المادة ٠٦ من القانون المتعلق بتسيير النفايات، يعاقب بالسجن من ٥ إلى ٨ سنوات وغرامة من ١ مليون دينار جزائري إلى ٥ ملايين دينار أو بإحداهما

(١٢) المادة ٥٠٠ من الأمر ٨٠/٧٦ المؤرخ في ١٩٧٦/١٠/٢٣ معدلة بنص المادة ٤٢ من قانون ٠٥/٩٨ المؤرخ في ١٩٩٨/٠٧/٢٥.

(١٣) القانون رقم ١٠/٠٣ المؤرخ في ٢٠٠٣/٠٧/١٩ المواد من ٨١ إلى ١١٠ المتعلق بحماية البيئة المستدامة.

(١٤) المواد ٨٤،٩٠،٩٤،٩٥ من القانون ١٠/٠٣ المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة.

الدولية للوقاية من تلوث مياه البحر بالمحروقات المبرمة في ١٢ ماي ١٩٥٤ وكذلك الربان غير الخاضع لهذه المعاهدة عند القيام بصب المحروقات أو مزجها في البحر مع تفاوت العقوبة بين الربان الخاضع للمعاهدة من عدم خضوعه. وفي **قانون المناجم**[١٥] – يعاقب كل من يشعل بأية وسيلة كانت أرضا موضوع محمية دون رأي مسبق للوكالة الوطنية للجيولوجيا والمراقبة المنجمية ويعاقب كل من يتخلى عن بئر أو رواق أو خندق أو مكان استخراج بدون ترخيص مسبق من الوكالة الوطنية للجيولوجيا والمراقبة المنجمية، كما يعاقب كل من لم يمتثل للمنع الإداري المنصوص عليه في المادة ٦٠ وواصل الاستغلال، ويعاقب كل من أغفل التبليغ عن استغلال أو إعادة استغلال بئر أو رواق أو خندق يمتد إلى سطح الأرض للوكالة الوطنية للجيولوجيا والمراقبة المنجمية، وكذا يعاقب كل من يقوم بالتنقيب والاستكشاف المنجمي بدون ترخيص. وفي **قانون الصيد البحري وتربية المائيات**[١٦]، يعاقب كل من يستعمل للصيد آلات غير تلك المنصوص عليها في أحكام القانون، وكل من يقوم باستغلال الطحالب البحرية والإسفنجيات دون ترخيص من السلطة المكلفة بالصيد البحري، كما يعاقب كل من استعمل في نشاط الصيد مواد متفجرة أو طعوم أو طرق قتل بالكهرباء من شأنها إضعاف أو إتلاف المواد البيولوجية، وكذلك كل من يحوز منتوجات تم صيدها بهذه الوسائل عمداً، كما يعاقب كل من مارس الصيد في المناطق الممنوع الصيد فيها أو خلال أوقات حظر أو إغلاق الصيد، أما في **قانون المياه**[١٧]، فيعاقب كل من استخراج مواد الطمي وكذلك إقامة مرامل في المجاري والوديان، كما يعاقب كل من يفرغ المواد القذرة مهما كانت طبيعتها في الآبار والحفر وأروقة التقاء المياه والينابيع وأماكن الشرب، أو إدخال كل المواد غير الصحية وكذا رمي الحيوانات الميتة في الهياكل والمنشآت المائية والبحيرات، ويعاقب كل من يستعمل المياه القذرة غير المعالجة في السقي، وكذا في **قانون الصيد**[١٨]، يعاقب كل من يمارس الصيد خارج المناطق والأوقات المنصوص عليها في القانون، وكل من يحاول الصيد بدون رخصة وكذلك باستعمال رخصة أو إجازة شخص آخر، كما يعاقب كل من يصطاد الأصناف المحمية أو يستحوذ عليها ويبيعها أو يستغلها. وفي **قانون كيفيات تسيير النفايات ومراقبتها ومعالجتها**[١٩]، يعاقب كل من يعيد استعمال المخلفات والمواد الكيميائية، وكل من يخلط النفايات الخاصة الخطرة مع النفايات الأخرى، وكل من يسلم النفايات الخاصة والخطرة إلى شخص مستغل لمنشأة غير مرخص بها لمعالجة هذا النوع من النفايات، كما يعاقب كل من استغل

(١٥) المواد ١٨٥،١٨٤،١٨٢،١٨١،١٨٠،١٩٧ من القانون ٠١/١٠ المؤرخ ٢٠٠١/٠٧/٣ المتضمن قانون المناجم، الجريدة الرسمية٤ المؤرخة في ٢٠٠١/٧/٣، معدل والمتم بالأمر٠٢/٠٧ ج.ر رقم ١٦ في ٠٢/٠٧ ج.ر رقم ١٦ في ٢٠٠٧/٠٣/٧.

(١٦) المواد ٩٠،٨٩،٨٢،٨٠،٧٨ من القانون ٠١-١١ المؤرخ في ٢٠٠١/٠٧/٠٣ المتضمن قانون المناجم.

(١٧) المواد ١٧٢،١٦٨، ١٧٩ من القانون ٠٥-١٢ المؤرخ في ٢٠٠٥/٠٨/٠٤ يتعلق بالمياه، ج.ر ٦٠ مؤرخة في ٢٠٠٥/٠٩/١المعدل والمتمم بالقانون ٠٨-٠٣ المؤرخ في ٢٠٠٨/٠١/٢٣ ج.ر رقم ٤ المؤرخة في ٢٠٠٨/٠١/٢٧ والامر رقم ٠٩-٠٢ المؤرخ في ٢٠٠٩/٠٧/٢٢ ج.ر مؤرخة في ٢٠٠٩/٠٧/٢٦.

(١٨) المواد ٨٥،٨٦ من القانون ٠٤-٠٧ مؤرخ في ٢٠٠٤/٠٨/٠٤ المتعلق بالصيد، ج.ر رقم ٥١ مؤرخة في ٢٠٠٤/٠٨/١٥.

(١٩) المواد ٦٤،٦٣،٦٢،٦١،٦٠ من القانون ٠١-١٩ المؤرخ في ٢٠٠١/١٢/١٢، يتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها.

منشأة لمعالجة النفايات الخاصة والخطرة دون التقيد بأحكام القانون ١٩/٠١، وكل من قام بإيداع النفايات الخاصة والخطرة في الأماكن غير المخصصة لها.

أما بالنسبة **لقانون تسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها**[٢٠]، فيعاقب كل من يقطع الأشجار بدون ترخيص، وكل من يدهور المساحات الخضراء، كما يعاقب كل من يهدم جزءاً أو كل مساحة خضراء مع نية التملك وتوجيهها لنشاط آخر.

المحور الثالث: تصنيف العقوبات بحسب الجرائم البيئية في التشريع الجزائري

أولاً: الإعدام: وهي عقوبة مقررة للجرائم الموصوفة بأنها جناية، وجارٍ إقرارها في بعض القوانين وذلك لخطورة بعض الجرائم، وهي إزهاق روح المحكوم عليه بها بإهدار حقه في الحياة باستئصاله من المجتمع على وفق إجراءات محددة سلفاً يقررها المشرع للجرائم الأكثر خطورة. وعلى سبيل المثال تعتبر أفعالاً إرهابية إدخال للمواد السامة أو تسريبها في الجو أو باطن الأرض أو إلقاؤها في المياه مما يسبب خطورة على صحة الإنسان. كذلك يعتبر فعلاً إرهابياً أو تخريبياً كل فعل بهدف الاعتداء على المحيط أو إدخال مواد سامة أو تسريبها جواً أو في باطن الأرض أو إلقاؤها في المياه الإقليمية والتسبب في خطر على البيئة وعلى صحة الإنسان والحيوان، وجعل المشرع العقاب على هذه الجرائم هو الإعدام، كذلك عقوبة الإعدام في حق كل ربان سفينة جزائرية أو أجنبية يلقي عمدا الغازات أو المواد المشعة في المياه الخاضعة للقضاء الجزائري[٢١] بالإضافة إلى بعض النصوص البيئية نذكر منها: المادة ١٥١ من قانون المياه: «إذا نجم عن تلويث المياه وفاة «**ثانياً: السجن:** وهو عقوبة مقررة كذلك للجرائم الموصوفة بأنها جناية، يمس بحرية الفرد سواء بصفة مؤقتة (السجن المؤقت) أو بصفة مؤبدة (السجن المؤبد)، فالسجن المؤقت يتراوح ما بين ٥ سنوات و٢٠ سنة، أما السجن المؤبد فيكون مدى الحياة، فلقد أثبتت عقوبة السجن فعاليتها في مواجهة الجرائم البيئية نظراً لقسوتها أكثر من الغرامة.

ثالثاً: الحبس: هو كذلك عقوبة سالبة للحرية مقررة للجرائم الموصوفة بأنها جنح أو مخالفة، ونعني بالحبس وضع المحكوم عليه في المؤسسة العقابية ليقضي مدة العقوبة المقررة له في الحكم القضائي الصادر ضده، وفي غالب الأحيان نجد النص القانوني يضع العقوبة بين حدين لا يمكن للقاضي إغفالهما والحكم خارجهما، والأصل أن عقوبة الحبس تتراوح ما بين يوم وشهرين في مادة المخالفات ومن أكثر من شهرين إلى ٥ سنوات في مادة الجنح، كما يجوز تعدي الحد الأقصى في الجنح بنص خاص. ونذكر مثلا: كل من تخلى أو أساء معاملة الحيوانات الداجنة أو الأليفة في العلن أو الخفاء أو عرضها لفعل قاس بالحبس[٢٢] من ١٠ أيام إلى ٣ أشهر وكذلك كل من أشعل المنتجات الغابية أو نقلها من دون ترخيص بالحبس[٢٣] من ١٠ أيام إلى شهرين.

---

(٢٠) المواد ٣٧،٣٩،٤٠ من القانون ٠٧-٠٦ المؤرخ في ٢٠٠٧/٠٥/١٣ يتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها، ج.ر رقم ٢٠٠٧/٠٥/١٣.

(٢١) المادة ٤٧ من القانون ٧٦-٨٠ القانون البحري.

(٢٢) المادة ٨١ من القانون ٠٣-١٠ قانون حماية البيئة في إطار التنمية المستدامة.

(٢٣) المادة ٧٥ من القانون ٨٤-١٢ قانون الغابات.

رابعاً: الغرامة: هي من العقوبات الأصلية بحيث تمس الذمة المالية للمحكوم عليه والتي في الغالب تؤول إلى الخزينة العمومية للدولة، وعقوبات الغرامة اعتمد عليها المشرع في مجال حماية البيئة على أساس اعتبارها رادعة لأغلب الجرائم الماسة بالبيئة[٢٤]، فالقانون ٠٣-١٠ ولا سيما المادة ٨٢ منه تعاقب كل ربان سفينة بسبب سوء تصرفه أو رعونته أو إخلاله بالأنظمة أو تسببه بوقوع حادث ملاحي لم يتحكم فيه ولم يتفاداه تعاقبه بغرامة من ١٠٠,٠٠٠ دج إلى ١,٠٠٠,٠٠٠ دج، كذلك كل من يتسبب في تلويث جوي بغرامة من ٥,٠٠٠ دج إلى ١٥,٠٠٠ دج.

المحور الرابع: المسؤولية الجنائية للأضرار البيئية في التشريع الجزائري

إن الاعتداء على البيئة قد يتم من طرف شخص طبيعي أي الانسان، كما قد يتم من شخص معنوي كهيئة أو منشأة معينة مثل: منشأة صناعية، وبالتالي تقع المسؤولية على الاشخاص الطبيعيين القائمين على إدارة أو تسيير هذا الشخص المعنوي، ومن هنا يثار التساؤل حول تحديد المسؤولية، إذا كان الفاعل شخصاً طبيعياً، أيمكن مسألته بمفرده، أم أنه من الممكن أن يشترك معه آخر[٢٥]، وبالنسبة للشخص المعنوي، أيسأل من قام بالفعل أو من أمر به، أم أن المسؤولية موضوعية تقع على عاتق مالك المنشأة، حتى ولو لم يتدخل بأية صفة لإجراء النشاط المؤدي للإضرار بالبيئة.

(٢٤) نور الدين حمشة: الحماية الجنائية للبيئة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الشريعة والقانون، كلية العموم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، سنة ٢٠٠٠، ص ١٨٦.

(٢٥) الطاهر دلول: الحماية الجنائية للبيئة في التشريع الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة باجي مختار، عنابة، ٢٠٠٧، ص ١٨٩.

أولا: المسؤولية الجنائية للشخص الطبيعي

طبقاً للقانون الجنائي الجزائري، فإن المسؤولية الجنائية تسند إلى الذي يساهم مساهمة مباشرة في تنفيذ الجريمة أو من يحرض على ارتكابها بالوعد أو التهديد أو بمقابل مادي أو بإساءة استعمال السلطة أو التحايل أو التدليس، وكل العقوبات الواردة في قانون حماية البيئة تعاقب الفاعل الذي يرتكب الجريمة مباشرة أو تسبب فيها، سواء بنفسه أو بواسطة غيره، وكذلك الشريك الذي لم يشترك اشتراكاً مباشراً ولكنه ساعد بطريقة أو أخرى الفاعل الأصلي على ارتكابها، أو على الافعال التحضيرية في الجريمة المسهلة لارتكابه مع علمه بذلك.

وفي مجال الجرائم البيئية فقد نص القانون على أن صاحب كل سفينة أو طائرة أو آلية أو قاعدة عامة أو مشرف عليها لم يعط أمراً مكتوباً لربان السفينة أو قائد الطائرة أو الشخص المشرف على الآلية أو القاعدة العامة بالامتثال لأحكام الفصل الثالث من الباب الثالث يمكن متابعته باعتباره مشاركا في المخالفات المنصوص عليها وإذا ارتكبت بأمر منه، فإنه يعاقب بصفته فاعلا أصليا ويعاقب بضعف الحد الاقصى للعقوبة المقررة للجريمة.[٢٦]

ثانياً: المسؤولية الجنائية للشخص المعنوي

وهنا يجب التفرقة بين مسؤولية الشخص المعنوي بصفة عامة وبين مسؤولية القائمين على إدارته أو مالكه، لأن مسؤولية الشخص المعنوي

(٢٦) أنظر المادة ٩٢ فقرة ١و٢ من القانون المتعلق بحماية البيئة الجزائري.

كمنشأة صناعية مثلا لا تلغي مسؤولية ممثليه، وقد يثار السؤال لماذا الحديث عن مسؤولية الشخص المعنوي طالما أن المسؤولية تطال الشخص الطبيعي القائم بالفعل؟[٢٧]

في الواقع ان هذه المسؤولية تختلف بطبيعتها عن المسؤولية للشخص الطبيعي، لأنها تتضمن جزاءات خاصة لا يمكن توقيعها إلا على الشخص المعنوي كسحب الترخيص أو الغلق مثلاً، أو كدفع تعويضات مناسبة لمن أصابه الضرر وقد يعجز عن سدادها الشخص الطبيعي الذي قام بالفعل أو أمر به.

تقييم المنظور الجنائي لحماية البيئة في التشريع الجزائري

أصبحت البيئة موضوعاً من المواضيع الهامة من قبل المجتمعات الاكثر والاقل تصنيعاً على حد سواء، وإن تباينت دواعٍ درجت هذا الاهتمام بكل منها وفقا للخصوصية التاريخية والثقافية والاقتصادية لكل مجتمع، ففي المجتمعات الأكثر تصنيعاً، ظهر الاهتمام بقضايا البيئة وطورت ترسانة من القوانين ترافقها حملات توعية إعلامية شاملة بدعم من جمعيات مدنية وأحزاب سياسية بيئية، وهذا نتيجة الأعراض الجانبية للتطور الصناعي والتكنولوجي، في عمليات التنمية بهدف تحقيق أقصى معدل للنمو الاقتصادي، أما في المجتمعات الأقل تصنيعاً ومن بينها الجزائر فإنها تعاني من مشاكل بيئية مرتبطة بأوضاعها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المتخلفة، ففي ظروف المجتمع الجزائري يتعرض الوسط البيئي لمخاطر وتحديات كبيرة ومن أبرز هذه المخاطر: هدر الأراضي الزراعية، وحرائق الغابات، وتلوث المياه، وتراكم القاذورات، ومع ذلك لازالت ما زالت الجزائر تعاني من تأخر واضح في هذا المجال[٢٨] وعدم قدرتها في على الحد من الجرائم الماسة بالبيئة ووضع سياسة قانونية ردعية تحد من هذه المخاطر.

الخاتمـــة

إن للتشريعات والأنظمة القانونية دوراً كبيراً وهاماً في مجال وضع القوانين التي تجرم الأفعال التي تعود بالضرر على البيئة مهما كان الفعل هيناً في نظر الأشخاص مع تشديد العقوبات على هذا النوع من الإجرام كما تحدد الإطار المفاهيمي وأهم نقاط الجزاءات والمسؤوليات في حال ارتكاب الجرائم البيئية أو المساعدة على ارتكابها على السواء، فلذلك لا بد من اتباع سياسة إجرائية وقائية وكذا ردعية مناسبة تتلاءم مع الظواهر الإجرامية الخطيرة التي باتت تكتسح المجال البيئي، باعتبارها من الجرائم الخطيرة التي تمس بسلامة الإنسان والمجتمعات الإنسانية بصفة عامة، فكان لابد من الدولة ومؤسساتها والهيئات الناشطة أن تتظافر في مجال حماية البيئة، من أجل مكافحة انتشار مرتكبي المخالفات البيئية والحد منهم.

(٢٧) لحمر نجوى: الحماية الجنائية للبيئة، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، كلية الحقوق، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١١/٢٠١٢، الجزائر، ص ١٢٣.

(٢٨) أ. فضيل دليو: البيئة الجزائرية – لتأثير على الاوسط الطبيعية واستراتيجيات الحماية (كتلب حماعي) مخبر الدراسات والابحاث حول المغرب والبحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠١، الجزائر، ص ٩٣.

المراجـــع

القوانين

- القانون رقم ٠٣/ ١٠ المؤرخ في ٢٠٠٣/٠٧/١٩ المتعلق بحماية البيئة المستدامة.
- القانون ٠٥/٨٥ المؤرخ في ١٩٨٥/٠٢/١٦ المتعلق بالصحة.
- القانون ٠١-١١ المؤرخ في ٢٠٠١/٠٧/٠٣ المتضمن قانون المناجم.
- القانون ٠٥-١٢ المؤرخ في ٢٠٠٥/٠٨/٠٤يتعلق بالمياه.
- القانون ٠٤-٠٧ مؤرخ في ٢٠٠٤/٠٨/٠٤ المتعلق بالصيد.
- القانون ٠١-١٩ المؤرخ في ٢٠٠١/١٢/١٢، يتعلق بتسيير النفايات ومراقبتها.
- القانون ٠٧-٠٦ المؤرخ في ٢٠٠٧/٠٥/١٣ يتعلق بتسيير المساحات الخضراء وحمايتها وتنميتها، ج.ر رقم ٢٠٠٧/٠٥/١٣.

كتب ورسائل علمية

- وناس يحي: الاليات القانونية لحماية البيئة في الجزائر، رسالة دكتوراه، أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ٢٠٠٧.
- علي سعيدان: حماية البيئة من التلوث بالمواد الإشعاعية والكيماوية، دار الخلدونية، الطبعة الأولى، الجزائر، ٢٠٠٨.
- صبرينة تونسي: الجرائم البيئية في ضوء القانون الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في القانون، كلية الحقوق، جامعة الجزائر١، ٢٠١٤.
- أشرف هلال، الجرائم البيئية بين النظرية والتطبيق، الطبعة الأولى، مكتبة الأدب، القاهرة، ٢٠٠٥.
- أسامة عبد العزيز: إشكاليات المسؤولية الجنائية عن جرائم تلويث البيئة، موقع www.eastlaws.com
- وليد عايد عوض الرشيدي: المسؤولية المدنية الناشئة عن تلوث البيئة، دراسة مقارنة رسالة ماجستير في القانون الخاص، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢.
- نور الدين حمشة: الحماية الجنائية للبيئة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الوضعي،(مذكرة لنيل شهادة، الماجستير في الشريعة والقانون)، كلية العموم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، سنة٢٠٠٠.
- الطاهر دلول: الحماية الجنائية للبيئة في التشريع الجزائري، رسالة دكتوراه، جامعة باجي مختار، عنابة، ٢٠٠٧
- لحمر نجوى: الحماية الجنائية للبيئة، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير، كلية الحقوق، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠١٢/٢٠١١، الجزائر
- أ.فضيل دليو: البيئة الجزائرية – لتأثير على الاوسط الطبيعية واستراتيجيات الحماية (كتاب جماعي) مخبر الدراسات والأبحاث حول المغرب والبحر الابيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠١، الجزائر.

حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم في القرآن الكريم «دراسة بلاغية تحليلية»

د. شومة بنت محمد الفاضلي البلوي - السعودية

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بجامعة تبوك

مقدمة

الحمد لله (الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[١].. سبحانه وتعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[٢].. وبالبيان يتحاور الإنسان مع أخيه الإنسان، فيُجَق الحقُّ، ويُبطل الباطلُ.. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، الذي أوتي جوامع الكلم، فحاور ﷺ أصحابه رضي الله عنهم، معلماً ومرشداً، مبلغاً رسالة ربه، مؤدياً أمانته، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.. أما بعد

فالحوار وإن تعددت صوره ونماذجه، فإن أثره الإيجابي لأكبر دليل على أهميته ودوره، فكم من كافر اهتدى إلى الإسلام بعد محاورته، وكم من أسرة نجحت في حياتها، وتفوق أبناؤها؛ لأن الحوار عندهم نمط ومنهج حياة.

والحوار أسلوب من أساليب الاتصال اللغوي، وطريقة من طرائق التربية النفسية والفكرية، وللحوار آداب وضوابط، وينبغي أن يكون في هدوء وطمأنينة، بعيداً عن الانفعالات، وعلى المحاور الحكيم أن يستفيد من الحوار القرآني، وأن يراقب نفسه بنفس الدرجة من اليقظة والانتباه التي يراقب فيها الآخرين.

وأن يتذكر دائماً أنه بالقدر الذي يظهر فيه مسيطراً على نوازعه ولسانه وصوته وطريقته في الأداء، يفوز باحترام الآخرين، كما عليه إذا وجد خللاً في شيء من ذلك، أن يبادر فيعدل طريقته، ويعتذر عن إساءته، ولا يستسلم لعاطفته وهواه فيتمادى في أخطائه، بهذا يحقق الحوار أهدافه ويؤتي ثمرته[٣].

ولأن الأبناء هم غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة الأعين، وثمرة الفؤاد، فقد وجه الإسلام عنايته إلى تربيتهم، والحوار معهم بما يكفل لهم نمواً يشمل الجسم والروح والخلق والعقل، فالمربي الناجح هو الذي يلون في طريقته، وينوع في أساليبه حسب المواقف المختلفة، والحوار يجب أن يراعي مقتضى حال المحاورين من جميع الجوانب النفسية

(١) سورة العلق الآيتان: ٤، ٥.
(٢) سورة الرحمن الآيتان: ٣، ٤.
(٣) الحوار آدبه وضوابطه: يحيى بن محمد حسن ٢٦٣، ٢٦٤.

والاقتصادية والصحية والعلمية، ومراعاة الفروق الفردية، والفئة العمرية، فحوار الأطفال غير حوار المراهقين والراشدين.

يقول الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله «من الخطأ أن تلجأ إلى وسائل الوعظ الكلامي والتلقين، وفرض المبادئ الخلقية فرضاً خارجياً، والأولى أن نبني هذه التربية عن طريق الإيمان، والاقتناع والخبرة التي تتم عن طريق التفاعل الاجتماعي»[٤].

والحوار التربوي هو الأسلوب الذي انتهجه الأنبياء - عليهم السلام - منذ آدم وحتى رسول الله محمد ﷺ وذلك لما للحوار من أثر فعال في الأداء، ومن بلاغة في التعبير والقول، ومن جذب لانتباه المستمع ، وبذلك يتحقق الوصول إلى الهدف المنشود..

وقد نهض هذا البحث بتدبر وتأمل آيات الذكر الحكيم التي ورد فيها حوار الأنبياء - عليهم السلام - أبناءهم، وحوار إبراهيم عليه السلام أباه، وأنعم النظر في تلك الآيات الكريمة، مجليا المبادئ والأسس والعظات، التي يفيض بها النظم القرآني، والمقاصد والأهداف التي ينشدها ويرمي إلى تحقيقها.

وقد جاء البحث بعنوان: «حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم في القرآن الكريم» «دراسة بلاغية تحليلية» ويتكون البحث من هذه المقدمة، وتمهيد في بيان مفهوم الحوار، ثم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تحاور نوح عليه السلام وابنه

المبحث الثاني: حوار إبراهيم عليه السلام ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: تحاور إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام

المطلب الثاني: تحاور إبراهيم عليه السلام وأبيه

المبحث الثالث: حوار يعقوب عليه السلام ويتكون من ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحاور يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام

المطلب الثاني: تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة يوسف

المطلب الثالث: تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة البقرة

ثم خاتمة تناولت نتائج البحث وتوصياته.. فثبت بالمصادر والمراجع.

فخلاصتين: خلاصة باللغة العربية، وخلاصة باللغة الإنجليزية.. ثم فهرس محتويات البحث.

هذا ومن الدراسات السابقة للحوار في القرآن الكريم:

١- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة ليحيى بن محمد حسن زمزمي..

٢- الحوار القرآني بين التفسير والتبصير لأحمد سنبل..

٣- الحوار في القرآن الكريم لمعن محمود عثمان ضمرة..

وغيرها من الدراسات القرآنية التي اهتمت بدراسات الحوار في النظم القرآني الكريم، وهي دراسات عامة اتجه أصحابها إلى دراسة نماذج من الحوار في القرآن الكريم.

فالموضوع بهذا العموم قتل بحثاً، وتقتضي الإفادة تخصيصه، لتجلية الأسرار البلاغية الكامنة وراء النظم القرآني في سياقات الحوار، كأن يدرس الحوار بين: نوح وقومه في القرآن، بين هود وقومه، بين شعيب وقومه، دراسات في أسرار النظم، بحيث تبرز هذه الدراسات ما في سياق الحوار من دقائق ولطائف، وأثر ذلك في تحقيق المقاصد المرجوة من الحوار..

وتحقيقاً لتلك الغاية اخترت هذا الموضوع: «حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم في القرآن الكريم» «دراسة بلاغية تحليلية» سائلة المولى - جل وعلا - أن ينال القبول وأن ينفع به، إنه خير مسؤول وهو نعم المولى ونعم النصير.

---

(٤) أصول التربية الإسلامية للأولاد والبنات في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية، بدرية المسبحي: ٣٩، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢هـ

تمهيد في بيان مفهوم الحوار

الحوار مصدرٌ فعله: حاور، يقال: حاور حواراً ومحاورة، وتحاور تحاوراً، وأصل الحوار من الْحَوْر، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التجاوب يقال: كلمته فما رد إلي حواراً أي جواباً ، وهم يتحاورون أي: يتراجعون في الكلام، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة[٥].

وأطلق صاحب كتاب الطراز على جنس الحوار مصطلح: (الترجيع في المحاورة) والترجيع تفعيل من قولك: رجَّعت الشيء إذا رددته، ويسمى القيء وهو ما يخرج من بطن ابن آدم: ترجيعاً؛ لأنه يتردد فيه، ويقال للسماء: (ذات الرجع)؛ لأن المطر يتردد في نزوله منها[٦].

قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
يحور رماداً بعد إذ هو ساطع [٧]

فالحوار: «مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين.. وعرفه بعضهم بأنه نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب»[٨].

وهو في مصطلح علماء البيان: «أن يحكى المتكلم مراجعة في القول ومحاورة جرت بينه وبين غيره بأوجز عبارة وأقصر لفظ، فينزل في البلاغة أحسن المنازل، وأعجب المواقع»[٩].

وقد وردت كلمة الحوار لفظاً في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع فقط، وهي ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا**﴾[١١]، وقوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾[١٢].

ويتضح من خلال سياق هذه الآيات الثلاث أن الحوار في أصله لا يخرج عن دائرة مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين، حيث فسر الطبري قوله – تعالى-: (وهو يحاوره) في الآيتين بقوله: وهو يخاطبه ويكلمه[١٣].. وفسر الزمخشري قوله -تعالى-: (وهو يحاوره) أي: يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما أحار كلمة[١٤].. وكذلك فسر الطبري قوله تعالى: (**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) فقال: (إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه)[١٥].

والحوار وإن لم يرد في القرآن الكريم بمادته إلا في ثلاثة مواضع، فقد ورد كثيراً من خلال كلمة (قال)، التي وردت في الذكر الحكيم بمختلف اشتقاقاتها، في ألف وتسعمائة وسبع وأربعين مرة[١٦].

فمن مواضع الحوار بالقول ما كان بين الله ﷻ وبين الملائكة الكرام، حيث أراد ﷻ أن يجعل في الأرض خليفة، فكان هذا الحوار ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ**

(٥) ينظر: لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، مادة حور: ٢١٨/٤ الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
(٦) الطراز يحيى بن حمزة العلوي: ١٥١/٣-١٥٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
(٧) ديوان لبيد بن ربيعة: ٨٨، دار صادر، بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
(٨) الحوار « آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن: ٢٢ الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م،
(٩) الطراز، ١٥٢/٣.

(١٠) سورة الكهف الآية: ٣٤.
(١١) سورة الكهف الآية: ٣٧.
(١٢) سورة المجادلة، الآية ١.
(١٣) ينظر: تفسير الطبري: مج ٨ / ج ١٥/ ٢٢٣-٢٢٤. الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
(١٤) ينظر: الكشاف للزمخشري ٧٢١/٢، دار الكتب العربي.
(١٥) تفسير الطبري: مج ١٢/ ج ٢٨ /٧.
(١٦) ينظر: المعجم الفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد الباقي،دار الفكر،الطبعة الثانية ١٤١١-١٩٩١

فيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ. قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[١٧].

ومنها ما دار بين موسى عليه السلام وقومه في شأن ذبح البقرة.. ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى وإبراهيم عليه السلام حين طلب أن يريه كيف يحيي الموتى.. ومنها قصة موسى عليه السلام وطلبه رؤية ربه عز وجل، وقصة عيسى عليه السلام مع الحواريين في طلبهم للمائدة.

ومنها حوار صاحب الجنتين في سورة الكهف.. وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح في السورة نفسها.. وقصة قارون مع قومه.. وقصة داوود مع الخصمين.. وقصة بلقيس مع قومها ومع سليمان عليه السلام. فضلاً عن حوار نوح وإبراهيم وهود وشعيب وغيرهم من الأنبياء - عليهم السلام مع أقوامهم، كما في سور: الأعراف وهود والأنبياء والشعراء ونوح وغيرها، وفي تلك الحوارات تتقرر المعاني وتتأكد، وتترسخ في الوجدان، فتتحقق الأهداف والغايات المرجوة منها.

وسيتناول هذا البحث: تحاور نوح عليه السلام وابنه في سورة هود. وتحاور إبراهيم عليه السلام وأبيه في سورة مريم، وتحاوره وابنه إسماعيل - عليهما السلام - في سورة الصافات. وتحاور يعقوب عليه السلام وابنه يوسف -عليهما السلام- في سورة يوسف، وتحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة يوسف، وفي سورة البقرة.

(١٧) سورة البقرة الآيات: ٣٠- ٣٣.

والغاية من البحث تجلية مقاصد الحوار وأهدافه من خلال الوقوف على أسرار النظم في سياقات الآيات الكريمة.

المبحث الأول: تحاور نوح عليه السلام وابنه

ورد هذا الحوار في سورة هود عليه السلام بعد أن حَمَلَ نوح عليه السلام في سفينته بأمر الله تعالى من كل زوجين اثنين ومن آمن معه، وأهله إلا من سبق عليه القول منهم، وكان ابنه ممن سبق عليه القول، حيث كان مع الكافرين، فلم يركب، وانطلقت السفينة بأمر الله تعالى، وعلا الموج واشتد، وهنا تأخذ نوحاً عليه السلام عاطفةُ الأبوة فينادي ابنه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ۞وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ۞وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ۞قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ۞وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ۞وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ۞قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ۞قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٨].

(١٨) سورة هود الآيات: ٤٠ - ٤٧.

في هذا السياق الذي حُدِّد فيه لنوح من سيركب معه في السفينة ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾ وكان الذي آمن مع نوح قليل ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ولما حان موعد جريان السفينة، حيث كان فوران التنور هو العلامة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ ركب في السفينة مَن أمر الله بحمله، ثم جرت بهم ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ولم يكن ابن نوح ممن أذن الله لهم بالركوب، بل كان ممن استثناهم الله ﷻ، فقد أمر ﷻ بحمل الأهل إلا من سبق عليه القول ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ فلما جرت السفينة باسم الله، وصارت ﴿تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ هنا تذكر نوح ابنه، وأخذته عاطفة الأبوة، فجرى بينهما هذا الحوار: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ. قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

إن الابن لم يعلن إسلامه، بل كان مع الكافرين، قد اعتزل أباه نوحاً عليه السلام، أو عزله نوح، لأنه لم يعلن إسلامه (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) ونداء نوح له من أجل أن يرغبه في الإيمان، فقد شاهد علو الموج، الذي أخذت السفينة تجري فيه بأبيه ومن آمن معه، إنه موج كالجبال ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ فلعل الابن وقد شاهد هذا الموج يرعوي ويقلع عن كفره، وعندئذ يستحق أن يركب معهم.

وفي هذا النداء ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ تعطف وتلطف، وترغيب للابن في الاستجابة، ويرجع ذلك لأمرين، أولهما: التعبير بـ (يا) الموضوعة لنداء البعيد ليصل الصوت واضحاً لابنه، حيث اشتداد الموج بالسفينة، وثانيهما: تصغير الابن (بُنَيَّ) فلا يخفى علينا ما في هذا التصغير من العطف والتلطف، وبعد النداء جملتان إنشائيتان لفظا ومعنى، وُصل بينهما لكمال الاتصال ﴿ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ ويؤذن هذا العطف بأن الركوب المأمور به في الجملة الأولى متوقف على الإقلاع عن الكفر، الذي تفيده الجملة الثانية، فقوله: (اركب معنا) كناية عن دعوته إلى الإيمان بطريقه العرض والتحذير بلطف[١٩].

ولو اقتصر النظم الكريم على الجملة الأولى: (اركب معنا) ولم يقرنها بالثانية: (ولا تكن مع الكافرين) لكان في ذلك إذن للابن بالركوب، فجاء وصلها بالثانية دالاً على أن نوحاً عليه السلام يشترط الهداية والإيمان لركوب السفينة، كما أمره ربه ﷻ.

ومن دقائق النظم القرآني التعبير بـ (مع) دون (من) إذ لو قيل: (ولاتكن من الكافرين) لدل التعبير على أن نوحاً يعلم كفر ابنه، لكنه عليه السلام لم يكن يعلم، وكان يعتقد أنه يمالئ الكافرين ويُجاريهم، وهذا ما يدل عليه نظم الآية الكريمة (**وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**)؛ ولذا دعاه عليه السلام للركوب عله يهتدي ويقلع عن مصاحبة الكافرين [٢٠].

وعندما أمر نوح ابنه بالركوب ناداه، وإيثار النداء على القول، حيث جاء النظم الكريم (ونادى نوح ابنه) ولم يقل: وقال نوح لابنه، هذا الإيثار يؤذن بالاعتزال (وكان في معزل) إذ لو كان قريباً لكان الأمر بالقول لا بالنداء[٢١].

لقد ترفق نوح في حواره ابنه، فتلك شفقة الأب وحنوه على ابنه، ورغبته في أن يستجيب فينجو من الغرق، ولكن ابنه يرفض هذا الحنان، ويقابله بالجفوة والعصيان ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ كيف يعصمه الجبل والسفينة تجري في موج كالجبال؟ إنه العناد والكفر الذي يذهب بالعقل

---

(١٩) ينظر التحرير والتنوير: ١٢ / ٧٦.
(٢٠) ينظر فتح القدير للشوكاني ٢ / ٦٢٤.
(٢١) ينظر تفسير أبي السعود: ٤ / ٢١٠.

ويستحوذ على التفكير، فلا يبصر صاحبه الخطر النازل به، ومع عناد الابن وإصراره على الجفوة وعدم الاستجابة لأبيه، يكشف له الأب في حواره الهادئ عن خطأ رأيه وخطورة تفكيره ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾.. وإلى هنا ينتهي الحوار بين نوح عليه السلام وابنه، حيث ﴿حَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾.

ويلاحظ في هذا الحوار شفقة الأب وعطفه، وترفقه بابنه، وشدة رغبته في أن ينجو الابن من الغرق والهلاك، فقد ناداه (يا بني) مستعطفاً، ومذكراً له بحق الأبوة، كما يلاحظ في الحوار سوء الرد من الابن، حيث يقف الكفر حائلاً دون استجابة الابن لأبية، فنجد رده على حنان أبيه يجفوة انعدم فيها التفكير، وغاب العقل، فأين هذا الرد من رد الابن المسلم على سؤال أبيه (يا أبت افعل ما تؤمر) في حوار إبراهيم ولده إسماعيل - عليهما السلام - كما سنرى في المبحث الثاني، إن نوحاً عليه السلام يحاور ابنه من أجل نجاته، فيقابل الابن إشفاق أبيه بالجحود والعصيان (قال سآوى إلى جبل يعصمني من الماء) وإبراهيم يحاور ولده إسماعيل - عليهما السلام في شأن ذبحه، فجاء رده موحياً بآداب النبوة والإسلام (قال يا أبت افعل ما تؤمر)[٢٢]. ولا عجب في ذلك فحوار نوح عليه السلام مع ولد عاق، و حوار إبراهيم ولد إسماعيل - عليهما السلام - حوار مع ابن بار سيكون نبياً.

إن شفقة الآباء بأبنائهم لا تقف عند حد، فقد انتهى الطوفان وهلك الكافرون، وأمرت الأرض فبلعت ماءها، وأمرت السماء فأقلعت، وغيض الماء، واستوت السفينة على الجودي، وما زال نوح مشغولاً بابنه، فينادي ربه ﴿**وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**﴾ يتضرع عليه السلام إلى ربه داعياً، ولم يصرح بطلب النجاة لابنه، وإنما ذكر وعد الله عز وجل له بحمل أهله في السفينة ﴿**رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ**﴾ وهذا يشعر باعتقاد نوح عليه السلام بأن ابنه كان مع الكافرين وليس منهم كما سبق في الآيات الكريمة ﴿**يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين**﴾؛ ولذا سأل ربه أن ينجيه، فهو من أهله الذين وعد بنجاتهم.

ولما أيقن عليه السلام أن ابنه ليس من أهله، لأنه عمل غير صالح ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ﴾ ونُهي عن أن يسأل ربه ما ليس له به علم، ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ انتهى عليه السلام واستعاذ بربه أن يسأله ما ليس له به علم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ ولما كان النهي مصحوباً بهذا الوعيد ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ طلب عليه السلام من ربه لنفسه الرحمة والمغفرة ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

المبحث الثاني: حوار إبراهيم عليه السلام

المطلب الأول: تحاور إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-

في سياق أخبر الله عز وجل فيه بتحطيم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه، حيث راغ عليهم ضرباً باليمين، فأقبلوا إليه يزفون، وفي حوار بينه وبينهم حاول فيه عليه السلام أن يبين لهم خطأهم فيما يعبدون، إذ كيف يعبدون أصناماً ينحتونها والله خلقهم وما يعبدون، ولكن هذا الحوار لم يسفر إلا عن إجماعهم على إلقائه عليه السلام في الجحيم، فنَجَّى الله إبراهيم من كيد الكافرين، وجعلهم هم الأسفلين، وجعل النار برداً وسلاماً عليه[٢٣].

(٢٢) سورة الصافات الآية: ١٠٢.

(٢٣) تقرأ سورة الصافات الآيات: ٨٣ – ١١٣.

ويأمر الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بالهجرة إلى الشام، فيلبي أمر ربه (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ)[٢٤]، وهنا يتجه إبراهيم إلى ربه ضارعاً متوسلاً منيباً، يسأله الذرية الصالحة التي تعوضه عن كدر الأيام، ومرارة الفراق ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾[٢٥]، فيستجيب له ربه، ويهبه إسماعيل، غلاماً حليماً، باعتبار ما سيئول إليه شأنه عندما يشب عن الطوق ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾[٢٦].

وتقر عين إبراهيم بولده إسماعيل، حيث وهبه الله له على كبر، فقرت به عينه، واطمأنت نفسه، ولما بلغ معه السعي، وأخذ يرافقه في مهماته وأعماله، يأتي الأمر الإلهي ابتلاء، فيري إبراهيم في منامه - ورؤيا الأنبياء وحي - أنه يذبح ولده إسماعيل - عليهما السلام - وهنا يأتي الحوار، يحاور إبراهيم ولده إسماعيل في أمر الذبح الذي أمره به ربه ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[٢٧].

بدأ الحوار بهذا النداء الأبوي (يَا بُنَيَّ) تقريباً لولده وتنبيهاً لتلقي الخبر الذي سيلقيه إليه (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) إنه خبر غريب، مهد له بالنداء، ثم أمره أن ينظر ويتروى ﴿فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ إنه ابتلاء يتعرض له الأب والابن معاً، والأب نبي، والابن غلام حليم، فأقبل الأب النبي الأب يخاطب ابنه إسماعيل - عليهما السلام - بكل حب ورفق، ومودة وطاعة (يا بني) وبهذا التوكيد (إني أرى)؛ ليدل على أن هذه الرؤيا ملازمة له، وهي ملحة بعد أن أيقن إبراهيم عليه السلام بأن الرؤيا هي هي، لا تتبدل ولا تتغير، ورؤيا الأنبياء وحي، وحين يجيء التعبير عنها بصيغة المضارع (أرى) فمعنى ذلك ألا مفر ولا مناص من الانصياع والتنفيذ.

وعلى الرغم من كل ذلك، لم يوجه إبراهيم الأمر إلى ولده - عليهما السلام - مباشراً، ولكن (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) انظر نظرة تأمل وتدبر وتريث، يقول أبو السعود «فانظر من الرأي وإنما شاوره وهو أمر محتوم؛ ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه إن سلم، وليوطن نفسه عليه فيهون، ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله»[٢٨].

ذلك هو رد فعل الأب أمام ابتلاء الله بأمره أن يذبح فلذة كبده، فما هو رد فعل الابن أما هذا الابتلاء ﴿**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ إن الحوار الهادئ من الأب لابد أن يكون له ثماره فهذا إبراهيم عليه السلام الذي يحب ابنه، حيث وهبه الله ﷻ إياه على الكبر، يجد أن الابن يطرق برهة ثم يجيب ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ثم يؤكد له رضاه بأمر الله تعالى ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ إنه حوار قد امتزج بالطاعة والحنو والصبر والتضحية، والتسليم والإيمان، وعلى الرغم مما يحمله الفعل (فانظر) من الإمهال، وإعطاء الفرصة للتفكير إلا أن الابن الحليم قد سارع، وأدرك بإيمانه ألا خيار أمامه إزاء هذا الأمر الإلهي، فكما تقرب إليه أبوه وتودد، استجاب الابن وتقرب ولم يفزعه الأمر.. وجاءت صيغة (افعل ما تؤمر) مبنية للمجهول؛ لتبين أن إسماعيل عليه السلام قد أدرك أن المشيئة ليست مشيئة والده، بل إنه مأمور بإنفاذ ذلك الأمر، ولذا عقب الموافقة بقوله ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ وقدم المشيئة (إن شاء الله) على الصبر؛ لأن الذبح مما تجزع منه النفوس، وتضطرب له القلوب، فخشي إسماعيل عليه السلام أن تخور

(٢٤) سورة الصافات الآية: ٩٩.
(٢٥) سورة الصافات الآية: ١٠٠.
(٢٦) سورة الصافات الآية: ١٠١.
(٢٧) سورة الصافات الآية: ١٠٢.

(٢٨) تفسير أبي السعود: ٧ / ٢٠٠، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

قواه فيجزع، فاحتاط للأمر بذكر المشيئة وتقديمها على الصبر وكان عليه السلام نعم العبد معيناً لأبيه على إنفاذ أمر الله.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «فلما عزم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده، ورماه على شقه قال: يا أبت اشدد رباطي كيلا اضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أمي فتحزن، وأحد شفرتك وأسرع مداها على حلقي، ليكون أهون فإن الموت شديد، واقرأ على أمي سلامي، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسهل لها، فقال: إبراهيم عليه السلام نعم العون أنت يا بني على أمر الله، ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه، وهما يبكيان ثم وضع السكين على حلقه فقال: كبني على وجهي فإنك إذا نظرت إلى وجهي رحمتني وأدركتك رقة، وقد تحول بينك وبين أمر الله -تعالى- ففعل ثم وضع السكين علي قفاه فانقلبت السكين[٢٩].

وهنا يأتي فداء الابتلاء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[٣٠].

إن تحاور إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- في شأن هذا الابتلاء حوار تسوده الطاعة والاستسلام لأمر الله، والرضا بقضائه، إنه حوار الأنبياء الذين يقتدى بهم ويتأسى، فساد تبليغ الأب ابنه خبر الأمر بالذبح الشفقةُ والتقريب والعطف (يا بني إني أرى.. فانظر ماذا ترى) وسادت إجابة الابن السمع والطاعة بل والعون على تنفيذ أمر الله، وعندما يسود مثل هذا الحوار بين البشر، وبخاصة بين الآباء والأبناء، فإنا نرى السعادة والمحبة، والود والعطف والحنان، وكل صفات الخير، قد رفرفت بأجنحتها على حياة الناس، فيحيون حياة طيبة مطمئنة.

(٢٩) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي: مج١٣، ح١٥٨/٢٥، الطبعة الثالثة، دار أجياد التراث العربي.
(٣٠) سورة الصافات الآيات: ١٠٣ - ١٠٧.

المطلب: تحاور إبراهيم عليه السلام وأبيه

جاء تحاور إبراهيم عليه السلام وأبيه في سورة مريم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾[٣١].

وقد بدأ إبراهيم عليه السلام الحوار، وعلى الرغم من أن أباه كان مشركاً يعبد الأصنام من دون الله، إلا أن إبراهيم قد حاوره محاورة هادئة، سادها: اللين والأدب، أدب الابن مع أبيه (يَا أَبَتِ) ويلاحظ أن هذا الأسلوب هو ما جرى على لسان إسماعيل في تحاوره مع أبيه إبراهيم -عليهما السلام- في شأن أمر الله له بذبحه ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[٣٢].

بدأ إبراهيم محاورة أبيه آزر، فناقشه مناقشة هادئة، الغاية منها ترغيبه في الإيمان، وتحذيره من مغبة الشرك بالله، وجاء كلا الترغيب والتحذير مسبوقاً بهذا النداء (يَا أَبَتِ) حيث قُرن في الآية الأولى بهذا الاستفهام ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ وهو استفهام كاشف لحقيقة ما يعبده آزر من دون الله، فهو يعبد أصناماً لا تسمع ولا تبصر، ولا تنفع ولا تضر، وقد أوثر التعبير بـ(ما) الاستفهامية المسبوقة بلام الجر (لِمَ) وفي هذا الإيثار مزيد من التودد واللين، والتقرب للوالد، كي ينعم التفكير فيما يعبده.

(٣١) سورة مريم الآيات: ٤١ - ٤٨ .
(٣٢) سورة الصافات الآية: ١٠٢.

وقُرن في الآية الثانية بإخباره أنه قد جاءه من العلم ما يوجب له أن يُتَّبع ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ وقد أكد مجيء العلم بـ (إن) وبقد (إِنِّي قَدْ جَاءَنِي) وما العلم الذي جاءه إلا النبوة والرسالة، وبين الرسالة والعلم تلازم، ففي التعبير مجاز مرسل علاقته التلازم، ويوحي هذا المجاز بتواضع إبراهيم عليه السلام وأيضاً رغبته في استجابة أبيه، لأن مواجهته بأنه رسول قد يكون صارفا له ومنفرا، وتختتم الآية بطلبه من أبيه أن يتبعه ليهديه ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.

وقُرن في الآية الثالثة بتحذيره من عبادة الشيطان ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ معللاً هذا التحذير بتوكيد عصيان الشيطان للرحمن ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ومن تأكّد عصيانه للرحمن لا يُعبد، بل يستعاذ بالله من شره، ومن وسوسته وهمزه ولمزه.

وقُرن في الرابعة بتوكيد خوفه عليه من عذاب الرحمن ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ويوحي التعبير بالمس ﴿أَنْ يَمَسَّكَ﴾ بأن إبراهيم عليه السلام يخاف على أبيه من أقل عذاب، كما يوحي لفظ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ بالتحذير الشديد، لأن من شأن الرحمن الرحمة والصفح، والعفو عن كثير، فإن عذب - لشدة إعراض المعرض، وكفره وعناده - كان عذابه شديداً.

وهذا الحوار الهادئ، الممتلئ بالشفقة واللين والخوف على المحاوَر، لم يقابل بالمثل، بل قوبل بالرفض والعناد، والتهديد والتوعد ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ والاستفهام بالهمزة ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ﴾ استفهام تعجبي، بعد ذلك الحوار الهادئ، يتعجب آزر من إعراض إبراهيم عليه السلام عن الأصنام، ورغبته عن آلهته ﴿أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ثم يقسم بآلهته ليرجمنه إذا لم يكف عما يقول، وينتهه عن تلك الحوارات ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ ويأمره بأن يبتعد عنه، ويهجره مليا، أي: زمناً طويلاً ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ وهذا الذي جاء على لسان آزر يدل على أنه لا يطيق رؤية إبراهيم، ويرفض سماع مثل هذه الحوارات مرة أخرى.

ولذا اختتم إبراهيم حواره معه بنفس الأدب الذي بدأه به، حيث سلم عليه ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ ووعده أن يستغفر له ربه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ ثم اعتزله وما يعبد، مستجيبا لطلبه، حيث طلب منه أن يهجره مليا ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ وظل عليه السلام يستغفر له حتى تبين له أنه عدو لله، فتبرأ منه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[٣٣].

المبحث الثالث: حوار يعقوب - عليه السلام

المطلب الأول: تحاور يعقوب ويوسف (عليهما السلام)

جاء حوار يوسف ويعقوب - عليهما السلام في موضعين، أولهما في أول سورة يوسف، حيث رأى يوسف أحد عشر كوكباً والشمس والقمر، رآهم ساجدين له، فأخذ يقص تلك الرؤيا على أبيه، ودار بينهما حوار حول تأويل الرؤيا وما يترتب عليها، قال تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ۞إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ۞قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ۞وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾[٣٤].

(٣٣) سورة التوبة الآية: ١١٤.
(٣٤) سورة يوسف الآيات: ٣ - ٦

بدأ الحوار بقص يوسف على أبيه ما رآه في منامه (يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) ويلاحظ في بداية الحوار بـ(يَا أَبَتِ) أن خطاب الأبناء آباءهم نسيج واحد، فإبراهيم عليه السلام يخاطب أباه مكرراً هذا النداء (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ....) (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ.....) (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ.....) (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ.....) وإسماعيل يخاطب أباه إبراهيم - عليهما السلام – بنفس الخطاب (يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) فخطاب الأبناء آباءهم نسيج واحد يتدفق منه الأدب النبوي، إلا في كفر الابن كما في حوار ابن نوح أباه.

ويدرك يعقوب تأويل رؤيا يوسف -عليهما السلام- ولكنه لا يؤلها له، بل ينصحه بعدم قصها على إخوته (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ) ويعلل له ذلك بأن قصها عليهم سيوغر صدورهم، فيكيدون له (فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) وأكد كيدهم بالمفعول المطلق (كيداً) لأن الشيطان سيوسوس لهم، ويهمز ويلمز (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ).

وكما كان خطاب الأبناء آباءهم (يا أبت) كان خطاب الآباء أبناءهم (يا بني) بتصغير الابن، للدلالة علي المحبة وقرب مكانة الابن من الأب، والنداء بـ(يا): (يا بني إني أرى في المنام).. (يا بني لا تقصص رؤياك) لقد استخدمت (يا) الموضوعة لنداء البعيد في (يا بني، ويا أبت) مع قرب المنادى في الحالين، وقد أشار البلاغيون إلى أن استخدام (يا) مع حضور المنادي فيه دلالة على طلب حضور الذهن ليعي الكلام، ولفت الانتباه إلى عظم الأمر، والإشارة إلي علو منزلة المنادى، إذ ينزل بعد المنزلة والمكانة بمنزلة بعد المكان، إشارة إلى أن المنادَى عظيم القدر، رفيع الشأن [٣٥].

ويختتم يعقوب حواره يوسف- عليهما السلام بتلك البشرى ﴿**وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ لقد بشره ببشريات ثلاث: اجتباء ربه له، وتعليمه من تأويل الأحاديث، وإتمام نعمته عليه وعلى آل يعقوب

والحوار الثاني جاء قرب نهاية السورة الكريمة، بعد أن كشف يوسف لإخوته عن نفسه وأرسلهم بقميصه فألقوه على وجه أبيه فارتد بصيراً، وأتوه بأهلهم أجمعين، قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ۞وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ۞رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[٣٦].

ومما يُلاحظ في حوار أول السورة الكريمة أن يوسف عليه السلام لم يزد عن قص رؤياه، وأن يعقوب عليه السلام قد نصحه بعدم قصها على إخوته، وبشره ببشريات ثلاث ولم يؤول له رؤياه، وفي هذا الحوار الذي جاء في ختام السورة تتحقق الرؤيا التي رآها يوسف، فقد رحب بأهله وآوى إليه أبويه وقال ﴿**ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ**﴾ ولما رفع به أبويه على العرش ﴿**وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا**﴾ تذكر رؤياه، وهذا هو تأويلها يتحقق أمامه، فقال ﴿**يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا**﴾ ثم أوجز ما حدث له في تلك

(٣٥) ينظر: المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني-البيان-البديع): ٢٨٦.

(٣٦) سورة يوسف الآيات: ٩٩ - ١٠١.

السنين التي مرت وهو بعيد عن أبيه (**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**) ويضرع يوسف إلى ربه شاكراً راجياً حسن الختام ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾.

إن الحوارين يكمل أحدهما الآخر، حيث قص يوسف في الحوار الأول رؤياه على أبيه، ونصحه أبوه بعدم قصها، وبشره بالبشريات الثلاث، وفي هذا الحوار الثاني كان يوسف هو المتحدث فيه مرحبا بإخوته وأبويه، ومشيراً إلى تأويل رؤياه التي تحققت أمامه، ولم يكن ليعقوب – عليه السلام حديث في هذا الحوار الثاني.

المطلب الثاني: تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة يوسف

جاء تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في عدة مواضع من السورة الكريمة، وقبل أن نخوض في تلك المواضع، ننبه إلى أن أبناء يعقوب عليه السلام استحوذ عليهم الكذب في الحوارين الأول والثاني، فهم فيهما كابن نوح عليه السلام إلا أن ابن نوح كان كافرا، وأعلن عصيانه، فعندما ترفق به نوح، وطلب منه أن يركب معهم ويتخلى عن الكافرين ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[٣٧].. أما أبناء يعقوب فكانوا كاذبين.

فعندما تشاوروا في شأن يوسف، واستقر رأيهم على إلقائه في غيابة الجب، كان هذا الحوار مع أبيهم ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٣٨].. تودد إليه بالنداء والاستفهام ﴿**يَا أَبَانَا مَا لَكَ**﴾ وأكدوا له نصحهم ليوسف وحفظهم له ﴿**وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ .. وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ وهم كاذبون، ونلحظ في رد يعقوب عليه السلام شدة حرصه وخوفه على يوسف ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[٣٩].. ولكنهم أكدوا له بالقسم وبأنهم عصبة، فكيف يجرؤ الذئب على أكله وهم عصبة، إنهم إذاً لخاسرون ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾[٤٠].. وأمام هذا التوكيد أرسله معهم، ويطوي النظم الكريم إرساله لم يفصح عنه، حيث يوحي طيه بقلق يعقوب عليه السلام وعدم اطمئنانه.

ويأتي الحوار الثاني الذي حاولوا فيه أن يخدعوا أباهم بأمرين أولهما: بكاؤهم، وثانيهما: دم كذب وضعوه على قميصه ﴿**وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ۞قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ. وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ**﴾[٤١].. ومن الأمر الأول استخلص العلماء أن البكاء لا يدل على خشوع الباكي فقد يكون كاذبا، ومن الأمر الثاني اكتشف يعقوب عليه السلام كذبهم، إذ قال: كَيْفَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَلَمْ يَشُقَّ قَمِيصَهُ ؟، لأنهم لَطَّخُوا الْقَمِيصَ بِالدَّمِ وَلَمْ يَشُقُّوهُ، ولذا كان رده على ما جاءوا به ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[٤٢].. حذف مكمل جملة ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ**﴾ وهو إما المسند إليه أو المسند، والتقدير: فشأني صبر جميل أو فصبر جميل أولى به، وحذفه يوحي بشدة حزنه عليه السلام.

---

(٣٧) سورة هود الآية: ٤٣.. وينظر المبحث الأول ص ٩، وما بعدها.

(٣٨) سورة يوسف الآيتان: ١١، ١٢.

(٣٩) سورة يوسف الآية: ١٣.

(٤٠) سورة يوسف الآية: ١٤.

(٤١) سورة يوسف الآيات: ١٦ – ١٨

(٤٢) سورة يوسف الآية: ١٨.. وينظر تفسير البغوي ٤ / ٢٢٢

وكان الحوار الثالث بعد أن جاءوا إلى يوسف، فعرفهم وهم له منكرون، وبعد أن كال لهم، طلب منهم أن يأتوه في المرة القادمة بأخ لهم من أبيهم، فإذا لم يأتوا به فلا كيل لهم عنده، ولما رجعوا إلى أبيهم كان هذا الحوار ﴿**فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٤٣].. وهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين، لقد انطبع كذبهم في ذهنه عليه السلام ولذا لم يصدقهم، وكان رده عليهم ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[٤٤]..

وعندما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم، عادوا لحوار أبيهم ﴿**يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾[٤٥].. ويقتنع عليه السلام بحجتهم، ولكنه يطلب منهم موثقا من الله أن يردوه إليه إلا أن يحاط بهم ﴿**قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ**﴾[٤٦].. فلما أتوه الموثق واستشهد الله عليهم، أرسله معهم، ثم نصحهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، وهو ينصحهم بذلك خاطبهم ﴿**يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ**﴾[٤٧].

لأول مرة نراه يناديهم بهذا النداء ﴿**يَا بَنِيَّ**﴾ ونستشعر أن النداء ليس حناناً وعطفاً، وحباً لهم، ولكنه من أجل أخيهم المرسل معهم، حيث احتاط عليه السلام واستوثق، وما ذلك إلا من أجل كذبهم فيما قالوه عن يوسف عليه السلام عندما ذهبوا به، فجعلوه في غيابة الجب، ثم رجعوا فقالوا: أكله الذهب.

ويأتي الحوار الرابع عندما رفض كبيرهم أن يرجع معهم، بعد أن كاد الله ليوسف فحجز أخاه عنده، وطلب كبيرهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه بما حدث، وأن الأمر قد شاع واشتهر ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[٤٨].. أكدوا صدقهم بـ(إن) واللام، وأن أمر السرقة قد شاع حتى علمته العير والجماد، يوحي بذلك حذف المضاف، إذ المعنى: واسأل أهل القرية وأصحاب العير، وكان رد أبيهم ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[٤٩]..

لم يصدقهم على الرغم من وضوح البراهين، لأن ما صنعوه بيوسف عليه السلام لم يغب عنه، وتركهم متأسفاً على يوسف، واشتد حزنه حتى ابيضت عيناه ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[٥٠].. إن نداء الأسف ﴿**يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ**﴾ وإيثار حرف النداء (يا) ليوحيان بشدة الأسى والحزن، وكأنه يُحَمِّل هذا الحرف (يا) وامتداد النفس بنطقه، ما يجده من وجد وأسى، لقد تركهم وتولى عنهم، ومع ذلك لم ينتهوا، واستمروا في حوارهم ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾[٥١] وعندئذ أعلمهم عليه السلام أنه يشكو بثه وحزنه إلى الله لا إليهم ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٥٢].. وتوحي الجملة المعطوفة ﴿**وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ بأنه عليه السلام لم يصدقهم فيما قالوه عن يوسف وأخيه، ولذا طلب منهم أن يتحسسوا بحثا عنهما ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ**

(٤٣) سورة يوسف الآية: ٦٣.
(٤٤) سورة يوسف الآية: ٦٤.
(٤٥) سورة يوسف الآية: ٦٥.
(٤٦) سورة يوسف الآية: ٦٦.
(٤٧) سورة يوسف الآية: ٦٧.
(٤٨) سورة يوسف الآية: ٨٢.
(٤٩) سورة يوسف الآية: ٨٣.
(٥٠) سورة يوسف الآية: ٨٤.
(٥١) سورة يوسف الآية: ٨٥.
(٥٢) سورة يوسف الآية: ٨٦.

﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٥٣].. والتحسُّس بالحاء: طلبُ الشيءِ بالحاسَّة، ويكون في الخير، ويقابله التجسس بالجيم، ويكون في الشر.

وتختتم تلك الحوارات بالحوار الخامس، عندما ذهبوا بقميص يوسف ليلقوه على وجه أبيه (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ)[٥٤].. فصلت العير أي: انفصلت، وخرجَت من عمرانِ مصرَ، فعلى الرغم من بعد المسافات، وجد يعقوب ريح ابنه يوسف - عليهما السلام - فقال لمن حوله وهم أحفاده ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ وكان ردهم ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾[٥٥].. حيث كانوا يعتقدون أنه عليه السلام قد مات، ويأتي البشير بالقميص، ويلقى على وجه يعقوب عليه السلام فيرتد بصيراً ، وعندئذ يقول لهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥٦].. ويقر الأبناء بخطئهم، ويطلبون من أبيهم أن يستغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٥٧].. ولكن يعقوب عليه السلام يؤخر الاستغفار لهم ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٥٨].. وإيثار التسويف بـ(سوف) دون السين يوحي بامتداد التسويف.

وللعلماء في تأخير الاستغفار أقوال، قيل: آخر الاستغفار إلى وقت السحر، وقيل: إلى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة، وقيل: ليتعرّف حالهم في صدق التوبة وإخلاصها، وقيل: أراد الدوام على الاستغفار لهم، فقد روى أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل: قام إلى الصلاة في وقت السحر، فلما فرغ رفع يديه وقال: اللهمّ اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه، واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم، فأوحي إليه: إنّ الله قد غفر لك ولهم أجمعين[٥٩].

ويفاد مما ذكره العلماء عن سبب تأخير استغفار يعقوب عليه السلام لبنيه، يفاد منه أن الوالد يشفق على أبنائه، ويحنوا عليهم، ويحرص على هدايتهم، ويرجو لهم النجاة، ويخاف عليهم العذاب، فقد فعل أبناء يعقوب عليه السلام ما فعلوا، ألقوا أخاهم في غيابة الجب، ولم يرحموا صغره وضعفه، فقد ورد أنهم لما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده، فتعلق بحائط البئر، فربطوا يديه ونزعوا قميصه[٦٠].. ثم رجعوا إلى أبيهم فكذبوا وقالوا: أكله الذئب وجاءوا على قميصه بدم كذب.

وعلى الرغم من ذلك يؤخر يعقوب عليه السلام الاستغفار، ليستغفر لهم في وقت السحر، أو في ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة، أو ليداوم على الاستغفار لهم، فقد روى أنه كان يستغفر لهم في كل ليلة جمعة لأكثر من عشرين عاماً[٦١]، إنه قلب الأب الذي يفيض حباً وشفقة وحنيناً، وخوفاً على الأبناء من عذاب الله.

المطلب الثالث: تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة البقرة

جاء هذا الحوار في سياق الحديث عن اصطفاء إبراهيم عليه السلام في الدنيا، وتوكيد أنه في الآخرة من الصالحين: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا

(٥٣) سورة يوسف الآية: ٨٧.
(٥٤) سورة يوسف الآية: ٩٤ .
(٥٥) سورة يوسف الآية: ٩٥.
(٥٦) سورة يوسف الآية: ٩٦.
(٥٧) سورة يوسف الآية: ٩٧.
(٥٨) سورة يوسف الآية: ٩٨.
(٥٩) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٤.
(٦٠) ينظر حاشية الطيبي على الكشاف ٨ / ٢٧١.
(٦١) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٤.

وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٦٢].. فمن رغب عن ملته فقد سفه نفسه: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾[٦٣].. وملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٦٤].. وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٦٥] ولقد وصى إبراهيم ويعقوب - عليهما السلام - أبناءهما بأن يستمروا على الإسلام ما داموا أحياء: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٦٦]

ولكن اليهود لعنهم الله زعموا أن إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، وكذلك يعقوب عليه السلام فنزلت الآيات السابقة في إبطال زعمهم، وورد أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: (ألستَ تعلمُ أن يعقوبَ يومَ ماتَ أوصى بنيه باليهودية ؟ فنزل قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٦٧]..

في هذا السياق الذي أُبطلت فيه مزاعم اليهود وافتراءاتهم، جاء هذا الحوار، وهو حوار موجز، حيث جرت أحداثه عندما حضر يعقوبَ الموتُ ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾ ومثل هذا المقام يقتضي الإيجاز، لقد استشعر عليه السلام الموت، فأراد أن يطمئن على أبنائه بعد وفاته، وماذا سيعبدون من بعده فكان هذا الاستفهام: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟ أي: من بعد وفاتي، وهو استفهام حقيقي،

(٦٢) سورة البقرة الآية: ١٣٠.
(٦٣) سورة البقرة الآية: ١٣٠.
(٦٤) سورة البقرة الآية: ١٣١.
(٦٥) سورة آل عمران الآية: ٦٧.
(٦٦) سورة البقرة الآية: ١٣٢.
(٦٧) سورة البقرة الآية: ١٣٣.. وينظر أسباب النزول للواحدي: ٢١، وتفسير البغوي ١/ ١١٠.

وقد جاء جواب الأبناء مطمئناً لأبيهم ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.. إن سؤاله عليه السلام سؤال موجز: ما تعبدون من بعدي؟ وكان يكفي أن تكون الإجابة: (إلهك) مفعول به لفعل محذوف، دل عليه السؤال، والتقدير: نعبد إلهك، فحذف المسند والمسند إليه (الضمير المستتر) والتقدير: نعبد إلهك.

هذا هو الأصل، وقد عدل عنه فذكر المسند والمسند إليه (نعبد)، ولم يُكتف بذكرهما بل عُطف على المفعول ما يؤكد عبادتهم إله أبيهم وآبائه: ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ثم زادوا (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وهذا الإطناب قد اقتضاه المقام، حيث أراد الأبناء طمأنة أبيهم يعقوب عليه السلام على ما يعبدون من بعده، لكي تقر عينه، ويلقى ربه ﷻ وهو مطمئنٌ عليهم.

كانت هذه إجابتهم هنا، لأنهم قد ندموا على ما فعلوه بأخيهم يوسف، وبأبيهم يعقوب - عليهما السلام -كما رأينا- في الحوار الخامس في المطلب السابق - ندموا وتابوا إلى ربهم، وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[٦٨].. وقد سامحهم عليه السلام ورضي عنهم، وظل يستغفر لهم في كل ليلة جمعة لأكثر من عشرين عاماً[٦٩]..

ومن أجل ذلك كان هذا الحوار الختامي، وقد حضر يعقوب عليه السلام الموت فأراد أن يطمئن على حسن إسلام أبنائه، وعلى عبادتهم من بعده، وقد جاءت إجابة الأبناء مطنبة طمأنة لأبيهم، ويلاحظ أن هذا الحوار الختامي، والحوار الخامس في المطلب السابق، يخرجان من مشكاة واحدة، إذ يفيضان بالرضا والحب، الذي صار بين الأب وأبنائه.

(٦٨) سورة يوسف الآية: ٩٧.
(٦٩) ينظر تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٥٠٤.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

تبين لنا من خلال التحاور بين الأنبياء وأبنائهم أن ما جرى على ألسنة الأنبياء - عليهم السلام - كان حواراً تربوياً ينبغي أن يُحتذى، فقد لاحظنا أن أسلوب النداء (يا بني) قد جرى على لسان إبراهيم في حواره ابنه إسماعيل - عليهما السلام - وعلى لسان يعقوب في حواره يوسف - عليهما السلام - وعلى لسان نوح عليه السلام في حواره ابنه، وفي هذا الأسلوب من التودد والتقريب والعطف والشفقة، ما يجعل المحاوَر، وهم الأبناء يُصغون باهتمام، ويقبلون بعناية وهم حريصون على إدراك مغزى الحوار، وما يهدف إليه، إن الأبناء في حاجة إلى عطف الآباء؛ ولذا ينبغي أن يكون الحوار معهم في سياج من الحب والود والكلام اللين، وفيما جرى على ألسنة الأنبياء في حوار أبنائهم خير مثال يُحتذى، وخير قدوة تُقتدى، وخير أسوة تؤتسى.

وكان الأبناء في حوارهم الآباء ثلاثة أصناف، الصنف الأول: تمثل في إسماعيل ويوسف -عليهما السلام- وكان أسلوب حوارهم (يا أبت): (يا أبت افعل ما تؤمر).. (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) وهو أسلوب ينم عن التقدير والاحترام، ومعرفة قدر الوالد، وما يجب له من التعظيم والإجلال، والصنف الثاني: تمثل في ابن نوح، لم يَجر على لسانه اسم أبيه، بل كانت إجابته مواجهة بالرفض والعصيان: (قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) فما جرى على لسان ابن نوح مثال للمحاوِر الضال المعاند، والصنف الثالث: ما كان في محاورة أبناء يعقوب عليه السلام وقد رأيناه في المحاورة الأولى خداعاً ومراوغة ﴿يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون❁أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون﴾ وهم لم يريدوا نصحاً، ولا حفظاً، وإنما أرادوا إيذاءه وإلقاءه في الجب، وفي المحاورة الثانية رأينا كذبهم، بادعائهم أكل الذئب إياه، ووضعهم دما كذبا على قميصه، وكانوا بعد ذلك صادقين في محاورتهم، كانوا صادقين في قولهم: (منع منا الكيل)، وقولهم: (إن ابنك سرق).

وقد رأينا حوار يعقوب عليه السلام إياهم في الأولى خوفاً وإشفاقاً على يوسف: ﴿إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب...﴾ وفي الثانية تكذيباً لهم فيما ادعوه: (بل سولت لكم أنفسكم أمراً) فلما صدقوا بعد ذلك رأينا هذا النداء: ﴿يا بَنِيَّ لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه...) ولما ندموا وتابوا، وقالوا ﴿يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين﴾ أخر الاستغفار ليستغفر لهم في أوقات الإجابة، وعاد حبه لهم، وقد رأينا هذا الحب تفيض به المحاورة الأخيرة في سورة البقرة، حيث رأيناه وهو يحتضر يريد أن يطمئن على عبادتهم بعد وفاته: ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾؟ وكانت إجابتهم طمأنة له لتقر عينه ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم..... الآية﴾.

وفي حوار يعقوب عليه السلام أبناءه قصصاً يقتدى به، فإن حاد الأبناء عن الجادة يُصبر عليهم (فصبر جميل) ويتلطف بهم حتى يثوبوا إلى رشدهم، هذا ما صنعه يعقوب مع أبنائه، ومن قبل صنعه نوح مع ابنه: (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) فلما أبى ظل قلبه معلقا به، ودعا له ربه: (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق...) حتى نهاه ربه (يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنِ ما ليس لك به علم...).

وكذا في حوار إبراهيم عليه السلام أبيه قصصا يقتدى به، فقد نصح له بأسلوب النداء (يا أبت) الذي يفيض بالحب واللين والإشفاق (يا أبت إني قد جاءني.. يا أبت لا تعبد الشيطان.. يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن...) ولما توعده أبوه، وطلب منه أن يهجره: (يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً) ودعه وهو يقول له (سلام عليك سأستغفر لك ربي...) وظل يستغفر له حتى تبين له أنه عدو لله، فكف عن الاستغفار له، فالأب يُبر ويصبر عليه إن خالف الصواب، ولا يُعق حتى ولو كان كافراً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥).

إن في حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم قصصاً يُقتدى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الأنعام:٩٠). (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (يوسف: ١١١).. وبالتزام ما جاء في حوار الأنبياء (يا بُني.. يا أبت.. يا بَنِي) تسود المودة والمحبة، وإن كان ثَمَّ خلاف سينتهي ويزول بهذا الحوار الهادئ، ويوم أن يتخلى الآباء والأبناء عن الحوار النبوي، الوارد في الذكر الحكيم، ويسود حوارهم الشدة والعنف والنزاع، أو ينعدم الحوار أصلا، فإن كيان الأسرة يتصدع، وعندئذ قد يلجأ أفرادها إلى قرناء السوء، فينحرفون عن الجادة، ويكون مصيرهم الضياع والخسران.

أهم نتائج البحث

- ما جاء من حوار الأنبياء -عليهم السلام- أبناءهم وآباءهم في آيات الذكر الحكيم ينحصر في ثلاثة من الأنبياء، وقد مضى على النحو الآتي.
- حوار نوح عليه السلام ابنه وكان عاصياً كافراً فلم يمتثل للحوار.
- حوار إبراهيم ابنه إسماعيل -عليهما السلام- وقد ساد هذا الحوار المحبة والرفق واللين، والامتثال لأمر الله - تبارك وتعالى.
- حوار إبراهيم عليه السلام أباه، وكان هذا الحوار لطيفاً ليناً من جانب إبراهيم عليه السلام عنيفاً شديداً من جانب أبيه.
- حوار يعقوب ابنه يوسف -عليهما السلام- ولم يختلف هذا الحوار عن حوار إبراهيم ابنه إسماعيل -عليهما السلام- فقد ساده الرفق واللين والمحبة.
- حوار يعقوب عليه السلام أبناءه، وكان متلونا من جانب الأبناء، حيث بدأ بالمكر والخداع، ثم بالكذب والافتراء، ثم انتهى بالصدق، وكان من جانب يعقوب عليه السلام الصبر على كذبهم، ثم العفو والمسامحة، فالمحبة التي رأينا آثارها في حوار سور البقرة.

توصيات البحث

- الحوار في القرآن الكريم بهذا العموم قتل بحثاً؛ لذا ينبغي أن تتجه الدراسات إلى تخصيصه، لتعم الإفادة بتجلية الأسرار البلاغية الكامنة وراء النظم القرآني الكريم في سياقات الحوارات المختلفة.
- ينبغي أن تتجه الدراسات البلاغية نحو الحوارات الخاصة، كدراسة الحوار بين: نوح وقومه في القرآن، بين هود وقومه، بين شعيب وقومه، دراسات في أسرار النظم، بحيث تبرز هذه الدراسات ما في سياق الحوار من دقائق ولطائف، وأثر ذلك في تحقيق المقاصد المرجوة من الحوار.

وختاماً أسأل الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، ويجزينا عليه خير الجزاء، إنه خير مسؤول، وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولًا وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين وسلم تسليماً كثيراً.

أهم المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- أصول التربية الإسلامية للأولاد والبنات في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية، بدرية المسبحي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
- تفسير أبي السعود المسمى: إرشاد العقل المسلم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد العمادي، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.
- تفسير البحر المحيط لمحمدين يوسف الشهيد بأبي حيان الأندلسي دراسة وتحقيق: عادل أحمد و وعلي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م.
- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.
- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.
- التفسير الكبير للفخر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي.

- تفسير الكشاف من حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاديل في وجوه التأويل محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦ م.
- الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد حسن زمزمي، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م، دار المعالي، عمان – الأردن.
- الحوار القرآني بين التفسير والتبصير، أحمد سنبل، دار ابن هاني، دمشق.
- ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان – ط٢، ١٤١٦هـ -١٩٩٦.
- لبنان العرب لأبي المفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت – ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- مختصر صحيح البخاري المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للإمام زين الدين الزبيدي، دار السلام، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، السعودية.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه محمد فؤاد الباقي، دار الفكر، ط٢، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- المفصل في علوم البلاغة العربية (المعاني (البيان- البديع) د. عيسى العاكوب، ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.
- نظم الدور في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – ط٢، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

الصحف والمجلات.

- جريدة الأنباء الكويتية السبت ٤ رمضان ١٤٣٤هـ، ٣ يونيو ٢٠١٣ حسن معيوف، العدد (١٣٤٢٢).
- مقال «حسن النداء للأبناء» سارة هليل المطيري، ١٤٣١هـ - ٢٠٠٩م.

ملخص البحث باللغة العربية

نهض البحث بتدبر آيات الذكر الحكيم التي ورد فيها حوار الأنبياء -عليهم السلام- أبناءهم، وحوار إبراهيم عليه السلام أباه، وأنعم النظر في تلك الآيات الكريمة، مجليا المبادئ والأسس والعظات والمقاصد، التي يفيض بها النظم القرآني لتلك الآيات الكريمة، وقد جاء البحث بعنوان: «حوار الأنبياء أبناءهم وآباءهم في القرآن: دراسة بلاغية تحليلية» وتأسس من مقدمة تضمنت أسباب اختيار البحث، وإشارة إلى الدراسات السابقة، والمنهج الذي سارت عليه الدراسة.. وتمهيد في بيان مفهوم الحوار، ومقاصده في النظم الكريم.. وثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول:** تحاور نوح عليه السلام وابنه
- **المبحث الثاني:** حوار إبراهيم عليه السلام وتكون من مطلبين:

  المطلب الأول: تحاور إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام

  المطلب الثاني: تحاور إبراهيم عليه السلام وأبيه
- **المبحث الثالث:** حوار يعقوب عليه السلام وتكون من ثلاثة مطالب:

  المطلب الأول: تحاور يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام

  المطلب الثاني: تحاور يعقوب عليه السلام وأبنائه في سورة يوسف

  المطلب الثالث: تحاور يعقوب - عليه السلام –وأبنائه في سورة البقرة
- **وخاتمة:** تناولت أهم نتائج البحث وتوصياته.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

The research is interested in study of the verses of the holly Quran, in which the dialogue of the Prophets - peace be upon them – to their sons, and the dialogue of Abraham - peace be upon him - to his father, furthermore look at those verses, and clearing principles, foundations, sermons and purposes, which flowed by the Koranic systems of these verses.

The research entitled: "Dialogue of the Prophets, their sons and their parents in the Qur'an, a study in the highlighting the purposes of dialogue" and contains; Introduction contains the reasons for the selection of research, a reference to previous studies, the methodology followed by the study, and a preface contains the way to explain the concept of dialogue, and its purposes in the systems of the Qur'an system, in addition to three topics:

- **The first topic:** dialogue Noah - peace be upon him - and his son
- **The second topic:** the dialogue of Abraham peace be upon him and be two demands;
  - **The first demand:** Ibrahim and his son Ismail, peace be upon them.
  - **The second demand:** the dialogue of Ibrahim-peace be upon him - and his father.
- **The third topic:** the dialogue of Jacob peace be upon him and be of three demands:
  - **The first demand:** Jacob and his son Yusuf talk peace be upon them.
  - **The second demand:** the dialogue of Jacob-peace be upon him - and his sons in Surat Yusuf.

  The third demand: the dialogue of Jacob - peace be upon him - and his children in Surat al-Baqarah.
- And finally **a Conclusion** contains the main findings and recommendations of the research.

دراسة بعنوان

الوثيقة التاريخية مصدراً من مصادر التاريخ
دراسة نظرية نقدية

د. عبد الرحيم الحسناوي - المغرب
باحث، جامعة محمد الخامس، الرباط

ملخص الورقة البحثية

نسعى من خلال هذه الورقة البحثية إلى القيام باستكشاف نظري لمفهوم الوثيقة التاريخية بتشعباته وأبعاده المتعددة. وهذا الاستكشاف هو خلاصة قراءات وأفكار مستقاة من مراجع أو أدبيات تناولت بالدراسة والتحليل إشكالية مفهوم الوثيقة التاريخية. أما الأسئلة التي ستؤطر هذه الورقة فهي تندرج ضمن العلاقة التي تربط بين مفهوم الوثيقة التاريخية من جهة، ومكانة التاريخ كحقل معرفي له موضوعه ومنهجيته من جهة أخرى. ذلك أننا سنتطرق إلى التطور الحاصل بالنسبة لمفهوم الوثيقة التاريخية وذلك في ارتباط تام بالتجديد المستمر الذي عرفته المعرفة التاريخية وخصوصاً ذلك التحول الحاصل عند بداية القرن العشرين عندما أصبح التاريخ علماً اجتماعياً.

Abstract

The purpose of this research paper is to delve into a theoretical study of the concept of the historical document and its multiple dimensions. This exploration is the outcome of readings and ideas derived from the literature that dealt with the historical document.

The questions that will be answered in this paper will be related to the definition of the historical document on one hand and to the importance of history as a field of study that has its own theme and methodology on the other hand.

We are going to focus on the evolution of the concept of the historical document in relation to the continuous renewal of the historical knowledge especially the transformation that took place in the beginning of the twentieth century when history became a sociology.

توطئة

ليس من علم حاز على الإطراء وتعرض في الآن نفسه للنقد أكثر مما حازت وتعرضت له كتابة التاريخ. واللافت للانتباه هو أن المناظرة حول التاريخ لازالت مستمرة، والمؤرخ يفتح باب حجرته ليشترك في العراك الصاخب حول معنى التاريخ، كما يحرص بأن تكون صناعته علمية المنهج والمنزع، وهو مطالب بأن يقنع المتلقين بعمله وبمصداقية ما يكتب.

للتاريخ بوجه عام تاريخ، وهو تاريخ وتاريخ فكر، فمن حيث هو وجود يكون التاريخ جماع ما يعيشه الأفراد والجماعات في واقع حياتهم، وملابسات نشاطهم على مر الأيام وتعاقب العصور والحقب، ومن حيث هو فكر فإن التاريخ نشاط ذهني يتوخى المعرفة بما حدث، ثم تحليل هذه المعرفة واستنباط ما يحسن استنباطه من قواعد ونظم وقوانين تنير السلوك البشري الحاضر والقادم. والتاريخ وجود وفكر، وهو محل اهتمام وعي الثقافي في شتى الحضارات.

إن البحث التاريخي ينمو في إطار اهتماماته الخاصة، كما أن وسائله تكمن في جانبين متداخلين لا فكاك فيما بينهما: فهناك المواد الوثائقية، وهناك النشاط الفكري (إشكالية، نقد...) الذي يبحث عن تلك المواد ويحققها ويستثمرها. وبالتالي فهي تشكل ومن دون شك مجالاً خصباً بالنسبة لمهنة المؤرخ وللممارسة التاريخية.

١ - مفهوم الوثيقة التاريخية

يعد المؤرخ صانع فعاليات التاريخ تتشكل عدته في صناعة البناء التاريخي من الوثيقة التي يعلو بها صرح هذا البناء. وبالرجوع إلى دلالة اللفظ في اللغة العربية، وبالعودة إلى الفعل (وثق)، فالثقة مصدر قولك: وثق به يثق وثاقا وثقة أي ائتمنه، ووثقت فلاناً إذا قلت أنه ثقة، وأرض وثيقة: كثيرة العشب موثوق بها، والوثاقة مصدر الشيء الوثيق المحكم، والفعل اللازم يوثق وثاقة، والوثاق اسم الإيثاق يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ**﴾ (سورة محمد: ٤).

ووثق الشيء (بالضم) وثاقة فهو وثيق: أي صار وثيقاً. والوثيقة في الأمر إحكامه والأخذ بالثقة، والجمع الوثاق. والوثيق الشيء المحكم، ويقال: (أخذ الوثيقة في أمره أي بالثقة. وتوثق في أمره: مثله ووثقت الشيء توثيقا فهو موثق. والوثيقة: الإحكام في الأمر والجمع وثيق. والوثيق هو العهد الوثيق، والموثق والميثاق: العهد، والجمع: المواثيق. والمواثقة: المعاهدة، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ**﴾ (سورة المائدة: ٧). والميثاق: العهد مفعال من الوثاق. واستوثقت منه، أي أخذت منه الوثيقة

أما اللفظة الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية) فهي كلمة اشتقت من أصل لاتيني بمعنى يعلم، ولهذه الكلمة عدة معان تتسع وتضيق: فهي في معناها الحرفي الضيق تعني كافة أوراق الدولة الرسمية التي تضم القوانين والمعاهدات والمعاملات، أما المعنى الأوسع لهذه الكلمة فيشمل كافة الأوراق المكتوبة والمصورات والبقايا الأركيولوجية والروايات الشفوية، وكافة ما يمكن للمؤرخ أن يستعين به من مادة في كتابة التاريخ.

الوثيقة إذن لا تعني النص المخطوط أو الخبر المروي فقط، بل إن مضمونها أوسع من ذلك، فهي تشمل: القبور والأبنية والأسلحة والأدوات والملابس والسجلات الرسمية والمعاهدات والاتفاقيات والوثائق السياسية، وكلها آثار مادية كما تشمل الوثيقة أيضاً الروايات والقصص والأساطير والأقوال والحكم سواء أكانت مروية أم مكتوبة، فضلاً عن الوثائق الكتابية أو اليدوية مثل التصاوير والمشاهد التاريخية وبعض الحفلات والكتابات والنقوش.

على ضوء ما سبق يتبين بأن مفهوم الوثيقة هو مفهوم واسع ومطاط فهو في المعنى الضيق يعني الأثر المكتوب، وفي المعنى الواسع تعني الوثيقة كل ما يمكن للمؤرخ أن يستعين به من مادة في كتابة التاريخ. يتعلق الأمر بمجموع أثار تعمل على إعطاء معلومات حول الماضيبدءاً من نقطة الارتكاز هاته فإن الوثيقة شكلت نقطة للخلاف بين المدرسة الوثائقية ومدرسة التاريخ الجديد وهو ما سنتناوله في العنصر التالي.

٢- أهمية الوثائق في كتابة التاريخ

لا يكتب التاريخ من عدم، لذلك يختلف المؤرخ عما يكتبه القصاص والروائي اللذين بإمكانهما كتابة القصة أو الرواية من محض الخيال. وبما أن التاريخ هو فهم تطور الإنسان عبر العصور، فإن على المؤرخ البحث عن مختلف مخلفات الإنسان من آثار مكتوبة وأخرى غير مكتوبة وعن كل ما من شأنه أن يساعده على إعادة بناء تاريخ الإنسان أي ماضيه.

ولقد بلغ الأمر ببعض مؤرخي القرن التاسع عشر إلى القول أن التاريخ لا يبدأ إلا إذا توفرت وثائق، وجعلوا من مهام المؤرخ الأولى البحث عن الوثائق وبعثوا لذلك علماً قائماً الذات له قواعده وأدوات عمله ومناهجه. إلا أن مفهوم الوثيقة ما انفك يتطور ليشمل كل مصدر من شأنه أن يمكن المؤرخ من معرفة الماضي البشري والمجال على أساس أنه لا يمكن الفصل بين الإنسان ومحيطه الطبيعي والبيولوجي.

وعن أهمية الوثائق في كتابة التاريخ قال بعضهم إنها كالوقود بالنسبة للمحرك الانفجاري. وعن دور الأرشيف وأهميته في حفظ وصيانة الوثائق المكتوبة قال بعضهم إنه بمثابة خزانات المعلومات التاريخية إلا أن التفاوت بين الدول في علاقتها بالوثائق كبير بحسب تقاليدها في المجال التوثيقي؛ فالدول العظمى عظيمة كذلك بعدد الوثائق التي تتضمنها خزاناتها وأرشيفاتها، والدول المتأخرة أو المتخلفة متخلفة بالنظر إلى ضعف رصيدها من الوثائق ونوعية علاقتها بمورثها الوثائقي.

تعد الوثائق إذن مادة التاريخ، بل إنها تعد من أهم مصادره المعتمدة، فلا تاريخ بلا وثائق، فالوثائق هي ذاكرة الجنس البشري، كما أنها تعد أهم سند للمؤرخ الذي يريد الوصول إلى الحقيقة التاريخية. وهكذا تتبوأ الوثيقة مكانة مهمة في معظم الدراسات التاريخية إن لم نقل كلها، وهي تمثل أفكار الماضيين وتترجم أفعالهم؛ فكل فكرة أو فعل لم يخلف أثراً مباشراً، أو ضاع أو طمست معالمه، لا يعني شيئاً بالنسبة للتاريخ. لا جدال إذن في كون أن الوثائق تشكل مادة التاريخ الأولى، والمؤرخ الواعي لابد له من الرجوع إلى الوثائق باعتبارها منبعاً لدراسة شؤون العصر الذي يبحث فيه النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

الوثائق إذن هي مادة التاريخ، هذه ملاحظة بديهية يجب أن يدركها كل باحث في التاريخ عن «المسارات التاريخية» والعثور على الوثائق الخاصة بالموضوع الذي ندرسه عملية هامة جداً، والغالب عند الباحث/ المؤرخ أنه لا يقدم على معالجة موضوع معين إلا بعد التأكد من توافر الوثائق التي تلقي الأضواء على حقيقة الأحداث. وقد تتوافر للمؤرخ أحياناً كميات هامة من الوثائق عن المسألة أو القضية التي يريد دراستها فيواجه آنذاك مصاعب من نوع آخر مثل الفرز والقراءة والتصنيف... ويتعرض نسبياً لمثل هذه الوضعية أحياناً مؤرخو الفترة المعاصرة الذين يستغلون أصنافاً عديدة ومتنوعة من الوثائق المكتوبة والشفوية والمصورة والسمعية البصرية وغيرها... وأحياناً أخرى كثيراً ما يحجم المؤرخ عن الكتابة في موضوع لم تتكشف وثائقه أو جانب كبير منها على الأقل؛ إذ كيف يمكن من الناحية النظرية

أن يتناول المؤرخ أو الباحث موضوعاً لا يملك أدوات بحثه الأساسية ألا وهي الوثائق؟

تكتسي الوثيقة أهمية قصوى في البحث العلمي عموماً، وفي البحث التاريخي خصوصاً، كما أن أهميتها تزداد لدى المؤرخين حتى أن التهافت عليها والبحث عنها وأحياناً احتكارها من طرف البعض منهم أمراً يكاد يكون عادياً في أواسط الباحثين الذين يحاولون توظيف الوثائق واستنطاقها كما أن استثمارها يعد بالنسبة إليهم بمثابة رأسمال.

تتميز مواد عمل المؤرخ بالتنوع والتعدد. ولعل هذا التنوع الوثائقي يطرح قضية تصنيف الوثائق لأجل التساؤل حول طبيعة النقد الوثائقي الذي يتناسب مع كل صنف منها. وفيما يلي عرض لأهم التفاصيل:

• النصوص ووثائق الأرشيف: وهي الصنف المحبذ للمؤرخ نظراً لتميزه بالدقة أكثر من غيره. إلا أن تغير الخطوط عبر الأزمنة واختلافها من ناسخ إلى آخر يستوجب من المؤرخ معرفة وإلماماً بعلم الخطوط ليتمكن من تحقيق النصوص وقراءتها القراءة الصحيحة فتحقيق المخطوطات من مهام المؤرخ وخاصة المختص في الفترة الوسيطة ولئن أصبح من الصعب اكتشاف مخطوطات جديدة، فالمؤرخ في هذه الحالة مدعو إلى استغلال ما توفره مصادر أخرى – معظمها مازال مخطوطاً- ككتب النوازل والفتاوى والمناقب والأحكام والحسبة وغيرها من المؤلفات الفقهية وكتب الطبقات والتراجم والسير والأنساب... أما وثائق الأرشيف فهي نوعان:

- الأرشيف الرسمي أو الحكومي: (محاضر جلسات، مراسلات مختلف الوزارات، معاهدات دولية، اتفاقيات، دفاتر جبائية...) وهي محفوظة عادة بدور الأرشيف الوطنية التي تمثل على حد تعبير بعضهم: «أنبار أو مخزن التاريخ».

- الأرشيف الخاص: وهو ملك الأفراد أو العائلات أو المؤسسات الخاصة ويستوجب الإطلاع عليه ترخيصاً من أصحابه. (عقود زواج، عقود ملكية، مذكرات، رسائل شخصية...) من هذا الصنف نجد سجلات عدول الإشهاد المحتوية على عقود مختلفة تهم الحياة الاجتماعية (زواج، طلاق، قسمة إرث...) والاقتصادية (بيع، شراء، كراء، تكوين شركة...) وهي وثائق قريبة جداً من الواقع المعاش والحياة اليومية.

• الصحف: منها ما هو رسمي حكومي ومنها ما هو خاص. وقد تكون الصحيفة يومية، أسبوعية، قومية، جهوية أو محلية. لكن مهما كانت نوعيتها، فإن الموضوعي بالنسبة للخبر الصحفي يظل مسكوناً بالذاتي وموجهاً من قبله. إن الاعتراف بقيمة النص الصحفي بالنسبة للبحث التاريخي لا ينبغي أن يجعلنا نغفل عن واجب الاحتراس إزاء هذا النوع من المصادر التي قد لا تستجيب دائماً لشروط الموضوعية، وهذا ما يبعدها أحياناً عن الحقيقة التاريخية ويسقطها في متاهات التأويل والتزييف. ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تختلف مقاربة التاريخ في معالجة القضايا والأحداث عن معالجة الصحافة.

• الوثائق السمعية البصرية: هذا الصنف من الوثائق هو في تطور مطرد في السنوات الأخيرة بسبب استعمال الراديو والتلفزيون والسينما والفيديو... وهي كباقي المصادر الأخرى قابلة للتحريف بسهولة عن طريق عملية التركيب.

• المؤلفات الأدبية: توافر معلومات تاريخية عن الأوضاع الاجتماعية (طرائق العيش، أنماط الحياة، العادات) ويكفي أن نذكر بأهمية الشعر الجاهلي في وصف المجتمع العربي قبل الإسلام.

• الأعمال الفنية: توافر للمؤرخ أيضاً جملة من المعلومات التاريخية. نذكر على سبيل المثال أهمية اللوحات الفسيفسائية في دراسة المجتمع الروماني، أو لوحات الرسامين الإيطاليين أو الهولنديين لفهم عصر النهضة الأوربية فهذه الأعمال الفنية هي بمثابة نصوص بالنسبة للمختص في تاريخ الفن.

• الوثائق الأثرية: تشكل مجموعة من المخلفات الأثرية من عمارة ونقائش ومسكوكات وخزفيات... وهي تشكل مصدراً مهماً للمؤرخين وخاصة المتخصصون في دراسة العصور القديمة.

• الوثيقة الايقونوغرافية أو المصورة: إن أهميتها في تزايد مستمر منذ مطلع القرن التاسع عشر والصورة كما يقول المثل الصيني هي بمثابة ألف كلمة. وهي تشكل مصدراً آخر من مصادر البحث التاريخي يمكن الاعتماد عليه خاصة إذا انعدمت الوثائق المكتوبة فمثلاً توافر الرسوم على جدران الكهوف للمؤرخين الكثير من المعلومات التاريخية عن الحياة في عصور ما قبل التاريخ. كما يتعذر على المؤرخ، إن لم نقل يستحيل عليه، دراسة النهضة الأوربية في القرنين الخامس والسادس عشر دون إدراج الرصيد الهائل من الأعمال الفنية ضمن قائمة مصادره.

• المصادر الشفوية: يستغل المؤرخ أيضاً الشهادات الشفوية لشهود العيان الذين عاشوا الأحداث أو كانوا أحد أطرافها وبما أن مصدر الرواية الشفوية هي الذاكرة، فإن على المؤرخ أن يفهم كيفية عملها على أساس أنها عملية إعادة عناصر أحداث الماضي.

• الوثيقة الإحصائية: تزايدت أهميتها في إطار ما يعرف بالتاريخ الكمي أو ما يعرف أيضاً بالتاريخ السلسلي الذي ما انفك يتطور منذ ظهوره في إطار مدرسة الحوليات مع دراسة كل من فرانسوا سيميان وارنست لابروس وبيير شوني. ولقد ولع هذا الأخير بالتاريخ السلسلي حتى عده الشكل الوحيد للبحث التاريخي. كما عد فرانسوا فوربيه منهج التاريخ الكمي بالأرقام هو ثورة في فهم التاريخ كله. ويعتمد التاريخ الكمي على استغلال سلاسل مرقمة لمعطيات متجانسة قابلة للمقارنة وممتدة على فترة زمنية طويلة وذلك حتى يتبين للمؤرخ التغييرات والتطورات الحاصلة وهو ما أسماه عبد الله العروي بـ: «التاريخ بالعدد».

• الخريطة التاريخية: تمثل هي الأخرى أداة من بين أدوات المؤرخ، وهي ضرورية بالنسبة إليه في ضبط المواقع ووسيلة ناجعة للتعبير عن حدث أو ظاهرة تاريخية (توزيع السكان، تحركات القبائل، مراحل تنقلات جيوش...).

أصبح التاريخ اليوم يعيش ثورة وثائقية ولا سيما مع ظهور ما سمي بالتاريخ النقدي أو الإشكالي، لقد فرض هذا التوجه الجديد في الكتابة التاريخية إلزامية الاستناد، ضمن إجرائية تضيع فيها سلطة الوثيقة المكتوبة، إلى أنماط مصدرية أخرى غير مألوفة مثل الإيقونوغرافيا والبحث الشفهي حول الذاكرة الجماعية وإشارة الطقوس والممارسات[1]. نفهم من ذلك توسيع مجال الملاحظة عند المؤرخ باكتشاف مواضيع جديدة، والاعتماد على مجموعة من العلوم الإنسانية (الأنثروبولوجيا، علم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس...)، وبلورة مناهج كمية ما انفكت تزداد تعقيداً بالاعتماد على وثائق كمية ساهمت في بلورت ما اصطلح عليه وبحسب تعبير بيير شوني بالتاريخ الجدولي[2].

---

(١) محمد حبيدة: **من أجل تاريخ إشكالي؛ ترجمات مختارة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، ٢٠٠٤، ص ١٣٠.

(2) Histoire quantitative, Histoire sérielle.

تتوافر إذن للمؤرخ وثائق متنوعة وعديدة، وغالباً ما يعكس تعدد الوثائق انشغال كل متخصص؛ فماهية الوثيقة عند الأركيولوجي هي البقايا الأثرية (حجرية،حيوانية،نباتية) وعند المؤرخ المعتكف على مكتبة وطنية، هي المخطوطات والرسائل والكناشات. أما وثائق القرن العشرين فهي الخطب المسجلة والأفلام الوثائقية والاستجوابات. كما أن ترتيبها أيضاً يختلف فمثلا أندريه كورفيزيه نجده يعطي الوثائق الترتيب التالي: الوثائق المكتوبة، الشواهد الإيقونوغرافية، الأنصاب المادية، الرسوم المرئية، والمسجلات الصوتية.

واضح من خلال هذا الترتيب أنه ترتيب يلائم نوعاً خاصاً من التأليف التاريخي، غالباً ما يعكس هم كل تخصص؛ «فالتاريخ السياسي/ الديبلوماسي يضع على رأس القائمة الشواهد المكتوبة، المخطوطة أو المطبوعة. وتاريخ الفن الرسوم والأشكال التمثيلية الأخرى والأرخيات المواد المستعملة، وتاريخ الإنتاج الجداول الإحصائية وتاريخ الذهنيات الأدبيات والأساطير والأحلام».

وإذا كان الترتيب الوثائقي يخضع لطبيعة البحث أو التخصص التاريخي، فإن تعددها وتوافرها يعرض أيضاً مسألة منهجية تتمثل في الكيفية التي يفهم بها المتخصص صناعته بل التاريخ. وفي هذا السياق يقول عبد الله العروي: «من يتأمل يومياً الأحجار أو حبوب الذرة، أو أواني الفخار، لا يفهم التاريخ كما يفهمه ويتصوره من لا ينفك يقرأ المخطوطات، أو يتابع تطور أسعار القمح أو اللحم. لكل وثيقته ولكل تاريخه.

على هذا النحو يستوجب تعدد الوثائق من المؤرخ وقفة تأملية مقرونة بحذر شديد وحس نقدي، فالتاريخ لا يتجدد باكتشاف وثائق جديدة بقدر ما يتجدد بنوعية الأسئلة التي يطرحها المؤرخ على الوثائق وتأويله لها.

٣- حفريات في مفهوم الوثيقة التاريخية: مقاربات وتصورات

أ)- المدرسة الوقائعية المنهجية

سادت المدرسة الوثائقية بفرنسا طوال القرن التاسع عشر وكان مرجعها الأساسي بفرنسا هو المجلة التاريخية التي تأسست سنة على يد المؤرخ غابريال مونود، وكتاب «المدخل للدراسات التاريخية» لصاحبيه شارل فيكتور لانجلواوشارل سينوبوس سنة وهو عبارة عن دليل في البحث التاريخي أو خطاب في المنهجينطلق المؤلفان من موقف غير مبال وأحياناً محتقر لميثولوجيا التاريخ كما هو حال التاريخ مع، كذلك غير مبال بفلاسفة التاريخ أمثال هيجل أو كونت، وأيضاً للتاريخ والأدب كما مارسه كماً عملاً على نقد مفهوم العناية الإلهية التي استخدمت في تفسير الوقائع. صحيح أن المؤرخين لم يعودوا يلجأون إلى هذه الفكرة اليوم ولكن الاتجاه لتفسير الوقائع التاريخية بأسباب تجاوزية متعالية استمر في النظريات الحديثة حيث بدأت الميتافيزيقا تتخفى تحت أشكال علمية. إن مؤرخي القرن التاسع عشر تأثروا بالثقافة الفلسفية التي أدخلوها – بغير وعي منهم- بصيغ ميتافيزيقية في بناء التاريخ

حسب لانجلوا وسينيوبس فالتاريخ ليس إلا وضعية عمل بالوثائق وهما بذلك يستعيران من ليوبولد فون رانكه نظرية الانعكاس ويعرضان اختباء المؤرخ خلف النصوص، أي خلف الوثائق.

أول فصل في كتابهما بعنوان «في البحث عن الوثائق» يعرفان علم التاريخ انطلاقا من أهمية الوثيقة التي يتركها السلف وفي ذلك يقولان: » التاريخ يصنع من الوثائق والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم، (...) وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور متطاولة من ماضي الإنسانية مجهولاً أبداً؛ إذ لا بديل عن الوثائق، وحيث لا وثائق فلا تاريخ.

الوثائق إذن تحمل الوقائع التاريخية وعمل المؤرخ استدلالي ينطلق من معطى الوثيقة ليصل إلى حقيقة الواقعة. وحسب المؤلفين دائماً فإن الوقائع لا يمكن معرفتها تجريبياً إلا بطريقتين: إما مباشرة إذا لوحظت وهي تحدث، أو بطريقة غير مباشرة بدراسة الآثار التي تتركها، والنوع الثاني من الوقائع هي الوقائع التاريخية لأنها لا تدرك مباشرة إلا وفقاً لآثارها. ولهذا فإن المعرفة التاريخية هي بطبيعتها معرفة غير مباشرة، ولهذا السبب ينبغي للتاريخ ومن وجهة نظر المدرسة الوضعانية أن يختلف كمنهج اختلافاً أساسياً عن منهج سائر العلوم التي تعتمد على الملاحظة المباشرة. وعلم التاريخ في نظرهم أيضاً مهما قيل فيه فإنه ليس علم ملاحظة.

«الوقائع الماضية لا نعرفها إلا من خلال ما بقي لنا من آثار عنها. صحيح أن المؤرخ يلاحظ هذه الآثار، وتسمى الوثائق ويلاحظها مباشرة، ولكنه ليس لديه بعد ذلك ما يلاحظه، بل ابتداءً من هذه النقطة يسلك مسلك الاستدلال، محاولاً أن يستنتج الوقائع من الآثار الباقية على أصح وجه ممكن. فالوثيقة هي نقطة الابتداء والواقعة هي نقطة الوصول. وبين نقطة الابتداء ونقطة الوصول ينبغي المرور بسلسلة مركبة من الاستدلالات المرتبطة بعضها ببعض، فيما فرص الخطأ عديدة، وأقل خطأ سواء ارتكب في البداية أو الوسط أو في نهاية العمل، يمكن أن يفسد كل النتائج»

ومن هذا يتبين أن المنهج التاريخي، أو منهج الملاحظة غير المباشرة أدنى مرتبة من منهج الملاحظة المباشرة، لكن ليس أمام المؤرخ هنا خيار، فهذا المنهج التاريخي هو وحده الموجود للوصول إلى الحقائق الماضية. والتحليل المفصل للاستدلالات التي تقود إلى المشاهدة المادية للوثائق إلى معرفة الوقائع، هو جزء من الأجزاء الرئيسة في المنهج التاريخي. إنه ميدان النقد للوثائق بقسميه الداخلي والخارجي كما هو شائع في عرف المؤرخين.

على ضوء ما سبق يبدو واضحا أن الدعوة التي أطلقتها المدرسة المنهجية/الوثائقية على لسان لانجلو وسينوبوس، كانت تحمل محاولة تجاوز لما آلت إليه الفلسفة الوضعية في فلسفتها التطورية وفي شقها التاريخي الذي سمي بالنزعة «التاريخية» وإن كانت في أساسها ومنطلقها جزءاً منها؛ لكن هل حققت هذه الدعوة على مستوى الممارسة (البحث التاريخي) توجهاتها الفعلية؟

لقد كان هم هذه المدرسة هو الوصول إلى معرفة الحوادث وكيفية حدوثها ومن أجل ذلك عملت على تأسيس النقد والتمحيص الدقيق للوثائق المكتوبة، فكان عمل هذه المدرسة إحياء الأحداث التاريخية من جديد، بغض النظر عن محيط الأشخاص والوقائع وهكذا سقطت ودون أن تدري في التاريخ الحدثي، وفي خلفيات التاريخ الوثائقي التي تؤدي إلى انحياز واضح لإستراتيجيات الدول القائمة وبالتالي إلى كتابة تاريخ جد رسمي. وفي هذا الإطار يلاحظ غي بورده وهرفه مارتن: «أن النص التاريخي الذي تقدمه هذه الكتب كما في الكتب التي تستلهمها متشبع بالحدث، وبالتاريخ السياسي، ومقطع إلى محطات يفصل بينها تغير حكومات أو أنظمة كما تترابط الأحداث عبر سببية خطية، أما الوقائع فهي سياسات وتركيبات وزارية ومناظرات برلمانية وانتخابات تشريعية»

وفقا لهذه الملاحظة نستنتج أن لائحة الوقائع التاريخية (الظروف المادية، العادات المادية، والعادات الاقتصادية، النظم الاجتماعية...) التي تحتل أوجه النشاط البشري في الأزمنة التاريخية وكما رسمها كتاب «المدخل للدراسات التاريخية» لا تترجم جميعها على صعيد الممارسة التاريخية، فثمة انقطاع يلاحظ مابين طموح دعوة المدرسة المنهجية/الوضعانية كما يشرحها كتاب لانجلو وسنيوبوس، وبين ما كتب في الإسطوغرافيا الفرنسية.

إن ما تشير إليه قائمة الوقائع لم تشغل اهتمامات مؤرخي المدرسة المنهجية بل ظلت جزءاً من اهتمامات علماء الاجتماع أو الاقتصاد، أو الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا. هذه الفراغات في البحث التاريخي، هي التي مهدت لظهور مدرسة فرنسية جديدة ستعرف باسم مجلتها «**الحوليات**»، عرضت نفسها مشروعاً جديداً متجاوزاً للمدرسة المنهجية (المجلة التاريخية) سواء على مستوى المنهج أو على مستوى توسيع الحقول في التاريخ سواء في المكان أو الزمان، أو على مستوى انتشار العلائق المشتركة فيما بين العلوم الإنسانية.

ب)- مدرسة التاريخ الجديد - تاريخ جديد ووثائق جديدة

حسب المدرسة الوضعية فالتاريخ لا يكتب إلا حيث توجد الوثائق المكتوبة، كما أن المؤرخ التقليدي في ممارساته متعود على أن يتجه مباشرة إلى النصوص والوثائق بهدف استحضار الماضي. هذا الاعتقاد السائد الذي ظل راسخاً لدى المدرسة الوثائقية سيصير بمثابة بناء عتيق ستتهاوى جدرانه، وخاصة مع مدرسة التاريخ الجديد التي ستنعت المدرسة الوثائقية بمدرسة الحروب والعقودفلا معطى الوثيقة مقدس بذاته ولا الواقعة التي تشير إليها الوثيقة هي الحقيقة بذاتها.

لقد حاولت مدرسة التاريخ الجديد مع أحد أبرز مؤسسيها وهو لوسيان فيفر إبراز عقم التاريخ بأسلوب حدثي واعتماداً على الوثيقة المكتوبة. وفي هذا الصدد يقول لوسيان فيفر:» لاشك أن التاريخ يكتب اعتماداً على الوثائق المكتوبة إذا وجدت لكن يمكن، بل يجب أن يكتب اعتماداً على كل ما يستطيع الباحث بمهارته وحذقه، أن يستنبطه من أي مصدر: من المفردات ومن الرموز، من المناظر الطبيعية، ومن تركيب الآجر، من أشكال المزارع ومن الأعشاب الطفيلية، من خسوفات القمر ومن مقارن الثيران، من فحوص العالم الجيولوجي للأحجار ومن تحليلات الكيميائي للسيوف الحديدية».

إلى جانب لوسيان فيفر، يقر مارك بلوك أيضا بأهمية الوثائق، وبأهمية التحقق والتبحر بمعطياتها ومقرراتها وجزئياتها. لكن ذلك لا يكفي لأنه لا يجب ألا يكتفي بالوثائق وحدها كمصادر للتاريخ، إن ركام الوثائق التي يمتلكها التاريخ ركام غير محدود. ولا يقتصر التاريخ على الوثائق المكتوبة: «إذ يمكن استكمال دراسة الحركات السكانية والهجرات، من خلال المقابر الأثرية في منطقة من المناطق أو حضارة من الحضارات، ثم عن المعتقدات والمشاعر والعواطف يمكن أن تنبئ عنها الصور والرسوم والتماثيل أكثر مما تنبئ عنها النصوص».

لا يدعو هنا مارك بلوك هنا إلى اكتشاف مصادر جديدة للتاريخ فقط، بل يدعو إلى توسيع حقل التاريخ نحو اتجاهات مختلفة: باتجاه الأنثروبولوجيا التاريخية؛ دراسة الفلكلور والعادات ومظاهر السحر، ثم باتجاه مجال تاريخ العقليات كما فعل جاك لوغوف وآخرون، كما درس حقول علم الاجتماع الديني في أزمنة تاريخية معينة وإلى جانب كل هذا فإنه يدعو أيضاً إلى الاهتمام بأصل الكلمات وتطور استخدامها في التاريخ.

وإلى جانب فيفر وبلوك، ثار فرناند بروديل هو الآخر على التاريخ التقليدي الذي عودنا على الاهتمام أكثر بالأحداث وبتسلسلها الزمني بوصفها

أحداثاً نابعة من إرادات واعية تحددها للوثائق المكتوبة فكأن غاية المؤرخ هي الوقوف على مغامرات الرجال العظام، وإيراد سيرهم الذاتية، وكأن ذلك هو الذي يفسر التاريخ. وبصيغة أخرى يؤكد بروديل بأن الحدث في حد ذاته غير قابل للفهم ما لم يبحث له المؤرخ عن سياقه ضمن بنية أشمل تدخل في عين الاعتبار السياسي والمجتمعي والجغرافي، فإنه يظل عاجزاً عن الوقوف على معناه الحقيقي. ولم ينفرد بروديل وحده بالثورة على التاريخ التقليدي، فقد انخرط كذلك أحد كبار المؤرخين الفرنسيين، إنه ايمانويل لوروا لادوري في كتابه «موطن أو مجال المؤرخ» وهو حامل شعار «تاريخ بدون إنسان».

تأسيساً على ما سبق يتضح بأن المدرسة التاريخية الحديثة قد دعت إلى إحداث تحولات كبرى في صناعة التاريخ، ويبقى أبرز هذه التحولات هي تلك التي شملت مفهوم الوثيقة، وهي أساس عمل المؤرخ بلا شك، إذ عملت على توسيع مجالها فلم تعد تقتصر على ما هو مكتوب فقط، وباتساع هذا المجال اتسع كذلك ميدان التاريخ إلى كل المجالات الأخرى. ذلك أن الأدوات الجديدة التي صارت بين يد المؤرخين مكنتهم بأن يتبنوا داخل حقل التاريخ طبقات رسوبية متباينة.

هذا التطور الحاصل على مستوى الوثيقة سيتبلور أكثر مع إبستيمولوجيين أمثال بول فاين وهنري مارو، هذا الأخير يعرف الوثيقة «بأنها كل مصدر للأخبار يتمكن من خلاله فكر المؤرخ من استخلاص شيء من أجل معرفة الماضي البشري منظوراً إليه من خلال الإشكال المطروح ... وشيئاً فشيئاً تتسع الفكرة وتنتهي باحتواء نصوص وآثار وملاحظات من كل نظام». كما يعد أن فكرة الوثيقة تتقدم مع تعميق فكرة التاريخ؛ ذلك أن الإدراك الضيق للشاهد في نظره يؤدي إلى تاريخ مجمل حدثي بحدة. أما بول فاين فهو يرى من حيث الجوهر بأن التاريخ معرفة بواسطة الوثائق، ولكن السرد التاريخي يتجاوز كل الوثائق ويضع نفسه فيما وراء الوثائق. ويرجع ذلك إلى كون أي وثيقة لا تستطيع أن تكون هي بذاتها الحدث، فالوثيقة ليست محاكاة للحدث بل هي حكاية عنه. ونفس المعنى تقريباً نجده عند إدوارد كار إذ يرى «بأن الوثائق هي أشياء أساسية بالنسبة للمؤرخ، ولكن تجنب أن تجعلها معبوداً، فهي لا تشكل التاريخ بحد ذاتها إلا أنها تعطي في ذاتها جواباً غير جاهز عن السؤال المتعب ما هو التاريخ؟».

مجمل القول، إن كل ما تبقى من الماضي يمكن اعتباره كمؤشر يعبر عن شيء كان له وجود في الماضي، وهو ما جعل عبد الله العروي يطلق على الوثيقة اسم الشاهدة، ففي نظره لا وجود للوثيقة المجردة، كل ما يوجد هو وثيقة متميزة يستغلها الباحث ويبني على هذا الوضع نتائج بالكيفية التي يبني بها المؤرخ التاريخ.

على ضوء ما سبق نستنتج بأن إعطاء تعريف موحد للوثيقة، أمر صعب، وذلك بالنظر إلى تعدد أنواع الوثائق التاريخية واختلاف مفهومها وذلك بحسب الاتجاهات والتيارات التاريخية المعاصرة ذلك أن علاقة المؤرخ بوثائقه ومصادره تعد من بين الإشكالات الابستيمولوجية المتكررة لعلم التاريخ، وبحسب المعنى الذي استخدم من طرف المؤرخين، الوثيقة تأخذ مفهوماً يختلف حسب الاتجاهات والتيارات التاريخية المعاصرة سواء على مستوى المفهوم أو على صعيد المنهج المتبع في معالجتها.

ملاحظات ختامية

إن للوثائق بأكملها أهمية كبرى في البحث التاريخي، فهي تستخدم في الغالب كمناجم يستخرج منها التاريخ الخام ليس إلا. ويمكن القول بأن تصورات رواد اتجاه التاريخ الجديد وإسهاماتهم المنهجية، ستؤدي لا محالة إلى توسيع مفهوم الوثيقة التاريخية لتشمل كل ما يمكن للمؤرخ أن يستقي منه مادته التاريخية، كما أن تقنية استنطاقها في ظل هذا الاتجاه ستفرض معالجات جديدة على الخزان الوثائقي؛ جعلت معالجة المؤرخ لمخلفات الماضي البشري تخضع لأسئلته ولثقافته وبنيته الفكرية، هذا بالإضافة إلى توظيف مكتسبات بعض العلوم الإنسانية الأخرى (مثل الأنثروبولوجيا والسيميائيات واللسانيات...إلخ) كعلوم فرضت نفسها ولم يعد من الممكن تجاهلها.

إن الإقرار بهذه الأمور لا يعني أن النقد الوثائقي -كما تصورته المدرسة الوضعانية- لم يعد صالحاً بل على العكس من ذلك إن قوة المنهج النقدي تبقى غير قابلة للنقاش، ولكنها غير كافية. وعلى هذا الأساس فإن المؤرخ يحتاج في فهم ما يوجد بين ثنايا سطور الوثيقة التاريخية إلى مركبه العقلي وخياله ومنهجيته العلمية. إن مرحلة النقد الوثائقي وعلى الرغم من أهميتها في فهم الوثيقة، وفهم الحدث عبرها، ذلك أن النقد الوثائقي/ الوضعاني، ينطبق أكثر على الوثائق السياسية والديبلوماسية التي تترجم التاريخ الحدثي والسردي وتاريخ المدة القصيرة أو التحولات الفردية السريعة، وهم المؤرخ في هذه الحالة هو تحقيق الأحداث فقط ومعرفة زمن حدوثها ووقوعها. ولعل هذا الأمر هو ما يتعارض مع الاتجاهات التاريخية المعاصرة التي تستعمل أنواعا أخرى من الوثائق، وتتوخى الكشف ليس فقط عن التغيرات القصيرة بل ذات المدة الطويلة. وهذا ما يقتضي تعاملاً من نوع خاص مع الوثيقة التاريخية؛ فالنقد الوثائقي يكثر من الأسئلة على الوثائق ولا يدعها تتكلم من تلقاء نفسها. وبالتالي يرغمها بهذه الطريقة أو الكيفية على إعطاء معلومات قد لا تتوافر عليها، وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً يتم التعسف عليها بالاستنتاجات، فضلاً عن ذلك فإن التحليل النقدي للوثيقة لا يعني وجوداً قطعياً لحدث ما. بل فقط إمكانية الاعتماد عليها كشاهد، وهنا تعرض ضرورة فهم الوثيقة وهذا الأخير يتجاوز النقد الوثائقي ويعمل بذلك على توظيف واستغلال ثقافة المؤرخ وبنيته الفكرية.

وفي الختام نردد ما قاله هنري مارو: «فمفهوم فكرة الوثيقة يعتمد على المؤرخ على بديهته وبراعته في استخدام أدواته في العمل ومعرفاته، ولكن قبل كل شيء على ما في ذاته، على ذكائه، نافذة عقله، وعلى ثقافته». ولهذا فالمعرفة التاريخية هي رهينة بالغنى الذاتي للمؤرخ وليس بغناه الوثائقي. إن الوثائق أو النصوص ليست من الأدوات الشفافة التي تساعد على الوصول إلى مضامين جامدة، بل هناك عدد من الدلالات التي لا تخاطب الباحث إلا إذا تبنى هذا الأخير قراءة تتعدى البحث عن وقائع معزولة. إن القراءة المتعددة للنصوص أو الوثائق لا تعني نبذ الاستعمال الوثائقي لها. بل يعني عدم الاقتصار على ذلك الاستعمال، لأن المؤرخ ربما ينخدع بمعطيات مشبوهة، وبين تفاهة الشكل وأولوية المضمون الذي يفترض عادة المنهج النقدي تأتي القراءة المتعدد لتجعل الشكل يتحول إلى مضمون إذا ما وظف المؤرخ أدوات ومفاهيم راكمتها العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

- باللغة العربية

- ابن سليمان فريد: **مدخل إلى دراسة التاريخ**، تونس، مركز النشر الجامعي.
- ابن منظور: **لسان العرب**، مادة وثق المجلد العاشر، دار صادر بيروت،.
- أحمد حسين: **الوثائق التاريخية**، القاهرة.
- إدوارد كار: **ما هو التاريخ؟** ترجمة ماهر كياني وبيار عقل، بيروت.
- بلكامل البيضاوية: «أنشطة فلاحية واستغلاليات من خلال فسيفساء الشمال الإفريقي»، ضمن كتاب **البادية المغربية عبر التاريخ**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
- بول فاين: **أزمة المعرفة التاريخية؛ فوكو وثورة في المنهج**، ترجمة وتقديم إبراهيم فتحي، القاهرة، دار الفكر الدراسات والنشر والتوزيع.
- جاك لوغوف: «العقليات تاريخ مبهم»، ترجمة محمد حبيدة، مجلة **فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد ١٧ مارس ١٩٩٩.
- رضوان العيادي:«زيارة السلطان مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية»، ضمن كتاب **تطوان قبل الحماية**، تطوان، مطبعة الهداية.
- سالم يفوت: **الزمان التاريخي من التاريخ الكلي إلى التواريخ الفعلية**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩١.
- سيار الجميل: **المجايلة التاريخية، فلسفة التكوين التاريخي؛ نظرية رؤيوية في المعرفة العربية الإسلامية**، عمان، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع.
- شاكر عبد الحميد: **عصر الصورة. السلبيات والإيجابيات**، عالم الفكر الكويت، يناير.
- عبد الأحد السبتي: «التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج ملاحظات أولية، مجلة **الجدل**، العدد الخامس والسادس، الرباط.
- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: «الوثائق التاريخية المسجلة وأهمية مقارنتها بالروايات الشفهية»، **مجلة الوثيقة**، العدد، السنة التاسعة عشرة، يوليو.
- عبد الله العروي: **مفهوم التاريخ، الجزء الأول، الألفاظ والمذاهب**، الدار البيضاء- بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧.
- عبد المجيد عابدين:«التوثيق تاريخه وأدواته»، مجلة **الوثائق العربية**، العدد الثالث، بغداد.
- فانسينا، يان:**المأثورات الشفاهية. دراسة في المنهجية التاريخية**، ترجمة ودراسة أحمد علي مرسي، القاهرة، دار الثقافة.
- لانجلوا وسينيوبس: **المدخل إلى الدراسات التاريخية**، ضمن كتاب النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات.
- مارو، هـ أ: **من المعرفة التاريخية**، ترجمة جمال بدران، مراجعة زكريا إبرهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- محمد إبراهيم السيد: **مقدمة للوثائق العربية**، سلسلة الوثائق والمعلومات، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- هاري إلمربارنز: **تاريخ الكتابة التاريخية**، الجزء الثاني، ترجمة محمد عبد الرحمان برج، ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- وجيه كوثراني: **التاريخ ومدارسه في الغرب وعند العرب، مدخل إلى علم التاريخ**، الجزء الأول، بيروت، الأحوال والأزمنة للطباعة والنشر والتوزيع،
- وجيه كوثراني: **تاريخ التأريخ، اتجاهات- مدارس- مناهج**، بيروت، منشورات المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- باللغة الأجنبية

- *Sources et méthode en histoire socialeL'histoire aujourd'hui, nouveaux objets de recherche, courants et débats, le métier d'historien*
- Bruno Galland, « Conserver pour l'histoire: une nouvelle dimension pour les Archives nationales de France », en ligne :http://www.archiviodistato.firenze.it/atti/aes/galland.pdf, consulté le 20/11/2014.*Introduction aux études historiquesLes écoles historiquesLe territoire de l'historienEcrits sur l'Histoire*
- *Histoire & historiens en France depuis 1945Faire de l'histoire t.1 : Nouveaux Problèmes*
- *Histoire et mémoireDe la connaissance historiqueApologie pour l'histoire ou métier d'historien*
- *Dictionnaire des sciences historiques*Paul Veyne, *Comment on écrit l'histoire ?, suivi de Foucault révolutionne l'histoire*, Paris, Seuil, 1971
- *Histoire quantitative, Histoire sérielle*

shows that beyond the high-tech sectors, all economic and social actors are involved in the creation of knowledge and build skills in businesses of all sizes and in the public sector. Collective dynamics implies the multiplication of interactions and cooperation between actors, and an ambitious and innovative policy of investment in knowledge.

REFERENCES

1. AKERBLOM, M., (2001). "*Élaboration d'indicateurs comparables au niveau international sur la mobilité des travailleurs très qualifiés: étude de faisabilité*", *STI Revue*, n° 27, OCDE
2. AVENTUR.F, CAMPO,C. et MÖBUS M., (1999). *"Les acteurs de développement de la formation continue dans l'Europe des Quinze"*, *Bref*, n° 150, CÉREQ
3. BIGOT. R, (2001). "*La diffusion, l'usage et l'acceptabilité des nouvelles technologies en France*", collection des Rapports, n° R214, CREDOC
4. CERC, (2002). "*La longue route vers l'euro, croissance, emplois, revenus, 1985-2000*", rapport n° 2, La Documentation française.
5. CNUCED, (2002). "*Rapport sur l'investissement .dans le monde 2002 – Sociétés transnationales et compétitivité à l'exportation*", Nations unies, New York et Genève, 2002.
6. COMMISSION EUROPÉENNE, (2012) . "*Plus de recherche pour l'Europe – Objectif: 3 % du PIB*", Document de travail des services de la communauté, Bruxelles.
7. COMMISSION EUROPÉENNE, (2009) . "*Science and Technology Indicators for the European Research Area*"
8. FORTIN, P. (2002), . "*Gouvernance et société de l´´information: introduction à ,l´´action publique, thèse de doctorat en sciences de l´´information et de la communication"*, dir. Rémy Rieffel, université Paris 2, 2002, 323 p.
9. FURTADO, C. (1966), . "*Développement et sous-développement*", Paris, Maisonneuve et Larose, .
10. GADREY, J. (2000), . "*Nouvelle économie, nouveau mythe?*", Paris, Flammarion.
11. GARNHAM, Nicolas (2003), "The Information Society: Myth. or Reality», Mégie, B., Tremblay, G. (dir.), *2001 Bogues, Globalisme et pluralisme*, vol. I, *Tic et Société*, Laval (Québec), Les Presses de l´´université Laval, p. 53-61.
12. GURGAND, X. (2004) . "*Quel est l'impact des politiques éducatives? Les apports de la recherche*", Commission du débat national sur l´´aventure de l´´école, avril.
13. HIRSCHMAN, O.A. (1958), . "*The Strategy of Economic Development*», Yale University Press.
14. HUGON, P. (2002), "Nouveaux défis économiques et financiers en Afrique subsaharienne", *Revue internationale et stratégique*, 2002/2 - n° 46, p.107-118.
15. PAILLIART, I. (2002), "La société de l´´information: une société de contradictions?", *Revue européenne des sciences sociales, Cahiers Wilfred Pareto*, Genève, Droz, XL/123, 2002, *La Société de l'Information, état des lieux,* p. 55-64.
16. HUGON, P. (2005), "La scolarisation et l´´éducation: facteurs de croissance ou catalyseurs du développement?" in *Mondes en Développement*, vol.33-2005/4-n°132
17. PERROUX, F. (1949). "L'effet de domination et les relations économiques", *Économie appliquée,* XL (2), p.271-290.
18. PORAT, Marc (1977),. "*The Information Economics: Definition and Measurement*", Washington DC, ministère du Commerce, bureau des telecommunications, publication 77-12
19. REICH, R. (1991),. "*The Work of Nations*"*: Preparing Ourselves for 21st Century Capitalism*, New York, Vintage.
20. ROSZAK, T. (1986),. "*the Cult of Information: The Folklore of Computers and the True Art of Thinking*", Cambridge, Butterworth.

- For developing countries, the share of knowledge-intensive sectors increased from 17% of GDP to 23.4% in the period 2005-2015, while that of industrialized countries increased from 55.5% to 88.7% during the same period.

From this study we found that, for the sample of industrialized countries, it is clear that improvements made at the level of graduates in science and engineering (S & I) and efforts in (R & D), as well as increasing of foreign (R & D) stock values and imports of intermediate goods have led to significant improvements in terms of total factor productivity (TFP). However, for some developing countries, despite the improvement in the number of graduates in (S & I) and increased acquisitions of foreign technologies from industrialized countries and the developing countries, it is observed there no improvement in (TFP).

- This served us to classify the two samples of countries we have chosen four completely different groups:
- A first group, consisting of developed countries' economies of knowledge characterized by institutional capacity capable of providing an environment conducive to technological change and the enforcement of intellectual property rights
- A second group of emerging countries (South Korea, Malaysia, Tunisia, Saudi Arabia), characterized by high decision-making capacity of public authorities and a serious long-term development strategy, but they still suffer from a lack of enforcement of intellectual property rights.
- A third group consists of countries in which the state does not play a fundamental role in the dynamics of growth, but they respect intellectual property rights.
- A fourth group, consisting of some developing countries (Algeria, Morocco, Romania, Cameroon, Bulgaria), characterized by a far from favorable environment for technological change and economic growth.

CONCLUSION

rom this study we found that the success of a strategy of building the knowledge economy for developing countries depend on a number of conditions which require, among other things, a deepening of reforms to the pillars of economy, development of modern infrastructure in the areas of science and technology (R & D), skills development and intensification of scientific research, a favorable regulatory framework for economic and technological change and respect for rules on intellectual property.

In short, the success of this strategy will require a gradual shift towards new forms of work and networking skills in spaces with modern facilities that promote innovation and excellence, as innovation is an innovation of process, marketing and product, as it is defined in terms of the Oslo Manual of the OECD.

This study provides a diagnosis of the relative fragility of the position of developing countries in the knowledge economy and provides recommendations to consolidate. It

In terms of changes in the determinants of TFP in developing countries, it was noted that for a significant number of countries, TFP has declined compared to 2005 (Czech, Algeria, Argentina, Cameroon, Mexico, Peru, Ivory Coast, Kenya, Romania and Uruguay). Nevertheless, most countries have made significant improvements in their productivity, in particular, India and Thailand. The second column notes the improvement of higher education in all developing countries except Morocco, Uruguay and the Philippines who have not come to improve their levels of education. Indeed, the most satisfactory improvements are saved by China, Tunisia, Brazil, Malaysia and Romania.

The surprising growth of foreign (R & D) stock in import of goods with high technological content from the North, is the result of the direction of the developing countries developed to mimic the technologies developed in advanced countries. Indeed, these countries are far from the technological frontier, and they do not have the resources to invest in innovation. The last column shows that imports of capital goods increased for all developing countries except for the Ivory Coast and Cameroon, which experienced a political and institutional instability that disadvantaged economic situations and their international relations.

2.4. Results and interpretations

We We constated that :

The Knowledge Economy Index (KEI) follows the following form:

$$KEI_{Developing\ Countries} = 0.43 * HK + 0.16 * (R\&D) + 0.43 * TFP$$

$$KEI_{Industrialized\ Countries} = 0.32 * HK + 0.30 * (R\&D) + 0.38 * TFP$$

We denote by:
HK: Human Capital
(R & D): Research and Development
TFP: Total Factor Productivity

- The (KEI) shows that value added in high knowledge sectors increased by 9.7% at constant prices during the period 2005-2015 versus 3.9% for other sectors,
- Investments are more dynamic in high-knowledge sectors,
- The (KEI) saw a marked increase of 4.3% during the same period,
- The (KEI) makes it possible to measure the necessary knowledge; It explains 15 variations in economic growth between all countries over a period of 10 years,
- The (KEI) has a correlation of 0.75 with world GDP growth; Developing countries can improve their economic performance through the knowledge and capabilities they have.

Regarding the level of higher education, it is improved in all sample countries except Canada1. The smallest increases were traced by Austria, Belgium, France and the United States. For the remaining of the sample, the enrollment rate in higher experienced an increase exceeding 100%.

Column 4 presents the values of the increase in the stock of foreign (R & D), the largest increase is drawn by Spain, Greece and Ireland who see their stocks of foreign (R & D) multiplied by 10; this increase is mainly due to the increase in imports of manufactured goods with high technological content. The last column shows the ratio of import of capital goods relative to GDP increased in all countries in the sample.

Table2: Summary Statistics ((Developing Countries))

	$\frac{F_{2015}}{F_{2005}}$	$\frac{H_{2015}}{H_{2005}}$	$\frac{S^d_{2015}}{S^d_{2005}}$	$\frac{S^e_{2015}}{S^e_{2005}}$	$\frac{M_{2015}}{M_{2005}}$
CzechRepublic	0.997	3.152			
Algeria	0.939	2.763	3.487	3.468	1.654
Egypt	1.549	2.216	3.153	3.054	1.090
Israël	1.124	1.740	2.993	2.936	1.366
Marocco	1.032	1.359	3.162	2.943	2.144
K.S.A	1.113	2.849	2.501	2.836	1.413
Tunisia	1.117	5.636	2.618	3.752	2.160
China	2.190	7.442	2.459	3.456	2.534
Hong Kong	1.374	1.712	2.337	2.469	1.568
Indonesia	1.213	2.284	2.615	2.878	1.276
Malaysia	1.128	5.529	2.494	2.575	2.197
Philippine	1.008	1.145	2.711	2.837	3.363
Thaïland	1.635	2.416	2.891	2.555	2.235
Albania	1.129	2.778	2.748	2.267	10.103
Argentina	0.963	1.861	3.259	2.625	1.953
Brasil	1.063	5.405	2.681	2.803	3.556
Bulgaria	1.366	2.413	1.990	2.950	3.333
Cameroon	0.957	3.036	3.152	2.628	0.834
Chile	1.183	2.987	3.106	2.834	1.813
Ivory Coast	0.956	2.811	2.429	2.277	0.852
India	1.483	1.967	2.736	3.418	1.491
Kenya	0.879	2.432	3.735	2.525	1.086
Mexico	0.905	1.642	2.777	2.567	4.141
Peru	0.810	1.567	3.570	2.794	1.987
Poland	1.065	3.836	2.171	3.357	10.360
Romania	0.885	5.220	1.603	2.231	35.306
Slovenia	1.298	3.915			
Turquey	1.200	3.888	2.070	3.838	2.995
Uruguay	0.937	1.616	2.946	2.667	2.539
Mean	1.155	3.021	2.755	2.872	3.902
Standard deviation	**0.200**	**1.160**	**0.38**	**0.330**	**3.280**

Source: Authors calculation from database CHELEM, WDI and UNESCO.

Table1: Summary Statistics ((Industrialized Countries))

	$\overline{\frac{F_{2015}}{F_{2005}}}$	$\overline{\frac{S^d_{2015}}{S^d_{2005}}}$	$\overline{\frac{H_{2015}}{H_{2005}}}$	$\overline{\frac{S^e_{2015}}{S^e_{2005}}}$	$\overline{\frac{M_{2015}}{M_{2005}}}$
Australia	1.1010	4.2325	2.6245	5.4545	1.5590
Austria	1.1826	7.5681	1.8902	5.6337	2.2524
Belgium	1.0596	3.8349	1.9193	8.1849	1.8189
Canada	1.1338	4.0593	0.9806	5.1580	1.8258
Danmark	1.1881	8.7586	2.7457	4.6012	2.0316
Finland	1.4309	11.074	2.7331	4.6332	1.5544
France	1.1609	2.7034	1.8859	5.6959	2.0946
Germany	1.1738	3.5067	3.3809	7.6639	2.3543
Greece	1.0803	3.6574	3.7562	6.6796	2.2012
Iceland	1.0222	5.1969	3.4550	5.6566	1.6019
Irland	1.3862	5.1508	2.6368	4.3705	1.5040
Italy	1.1306	3.1676	2.6275	5.3975	1.9434
Japan	1.2795	3.4698	2.0612	6.9570	2.6050
SouthCor	1.4687	8.4690	2.7235	4.6931	1.4124
N.Zeland	0.9925	3.8969	2.3988	5.0206	1.7416
Norway	1.3697	3.0118	2.6182	4.0664	1.4712
Portugal	1.0874	6.2237	4.4309	5.6709	2.5297
Spain	1.0466	7.2698	2.3649	6.7207	2.9329
Sweden	1.2992	4.0244	2.6333	3.6847	1.6940
Switzerla	1.0776	2.5504	2.1810	5.0184	1.7431
U.K	1.1671	2.5811	2.7327	4.9542	1.7321
U.S.A	1.1166	3.5990	1.3588	3.6569	1.6276
Means	1.1798	4.9094	2.5518	5.4351	1.9196
Standardd	**0.1061**	**1.8579**	**0.5387**	**0.9051**	**0.3335**

Source: *Authors calculation from database CHELEM, WDI and UNESCO.*

The table above shows the evolution of the different variables during the study period. The first column shows the PGF of all OECD countries, with the exception of New Zealand, are improved. Indeed, the mean increase in TFP, OECD is of the order of 18%. However, in several countries, this increase does not exceed 10% (Switzerland, Spain, Portugal, Iceland, Greece, Belgium and Austria). For large countries, except Japan, the increase in TFP is between 10 and 20%. The highest improvement was traced by Finland (43%) and South Korea (46%).

The second column shows the stock of domestic (R & D) increased significantly in all countries and is multiplied by five on average. In particular, Finland, Denmark, South Korea and Spain and Austria, domestic (R & D) stock is multiplied by more than 8, reflecting the efforts and expense in these countries during this period, in the field of research.

2.3.3. The index of capital stock in abroad (R & D) $\left(S_{jt}^{e}\right)$

The stock of foreign (R & D) capital is defined as the cumulative acquisition of new technologies incorporated in the products developed elsewhere. According to Coe and Helpman (1997, 2008), the stock of (R & D) foreign capital is defined as the average stock of capital in domestic (R & D) business partners weighted by the share of imports:

$$S_t^{ie} = \sum_{j \neq k} \frac{m_{jk}}{m_{j.}} S_k^d \quad (6)$$

This formula indicates that a country will receive more international spillovers if it centralizes its imports with countries with a capital stock of (R & D) high domestic. Indeed, this measure reflects the "direction" of the effects of spillovers rather than their "magnitude".

2.3.4. The index of the stock research and development related to trade (M)

This variable is given by Schiff and Wang (2006). The idea is that developing countries do not invest in (R & D), so they can not innovate, however, they can mimic the technologies developed in the North since imitation is much cheaper than innovation. These countries first obtain technology, they absorb and assimilate and transform the island to meet their needs, then they incorporate in their production processes. Finally, this transform technology diffuses to other developing countries through trade. Schiff and Wang define the stock of R & D indirectly related to trade country j as the sum of the stocks of foreign (R & D) of its trading partners of South weighted by the ratio of imports to value added in country j, the measure is similar to Lumenga -Neso:

$$M_{Nj}^{e} = \sum_{j \neq k} \frac{m_{jk}}{Y_k} S_{Nk} \quad (7)$$

$k = 1, 2, \ldots, 28$ exporting developing countries.

2.3.5. The index of human capital and the opening (HK)

Human capital reflects the level of skilled labor, in our study; it is approximated by the enrollment rate in higher education. Openness is measured by the ratio of imports of intermediate and capital goods from developed countries. Data on enrollment rates higher are obtained from the database of the World Bank (WDI) and the base of UNESCO. The data on imports of intermediate and capital goods are obtained from the CHELEM database (2015).

2.3. Variables

2.3.1 The index of total factor productivity (TFP: F)

TFP is the part of production that is explained by the usual factors of production, it is calculated from a production function Cobb-Douglass:

$$Y = AK^{\alpha}L^{1-\alpha} \rightarrow A = \frac{Y}{K^{\alpha}L^{1-\alpha}} = F \quad (3)$$

$LogF = LogY - \alpha LogK - (1-\alpha)LogL$, Y is the GDP, K is the stock of physical capital, L is labor input, and α is the capital share in GDP, it is assumed equal to 0.4 for all countries[3]. The physical capital stock is calculated using the perpetual inventory method:

$$K_{t+1} = K_t + (1-\delta)K_t \ , \ K_{2015} = \frac{I_{2015}}{(g+\delta)} \quad (4)$$

Where I_t is investment measured by gross fixed capital formation (GFCF), δ is the capital depreciation rate assumed equal to 10% for all countries, g is the average growth rate of investment in the period $2005-2015$.

2.3.2. The index of capital stock in domestic (R & D) (S_{jt}^{d})

In the terminology of the OECD, (R & D) includes basic research, applied research and development research. The first "all work undertaken primarily in order to extend the boundaries of scientific knowledge without any specific practical application in view", the second encompasses the work, about the research development is defined as the use of basic and applied research in order to use new materials or to improve existing ones.

Capital stock of (R & D) household is measured by the method of the permanent inventory:

$$S_{t+1}^{d} = R\&D_{t-1} + (1-\theta)S_{t-1}^{d}, \qquad S_{2015}^{d} = \frac{R\&D_{2015}}{(g_s + \theta)} \quad (5)$$

θ is the rate of depreciation of the stock of knowledge, it is considered equal to 10%, g_S is the average annual growth rate of spending on (R & D).

Keller (1996) develops the idea that a firm or a country must have a certain level of skills in order to successfully adopt foreign technology, he pointed out that the opening is still a sufficient condition in terms of technological catch-up and a relatively high initial human capital is required in the acquisition of new technologies.

2.2. Empirical analysis

Our empirical analysis is based on the work of Coe and Helpman (1995), a synthetic index of knowledge economy has been developed to rank countries according to the knowledge content (low, medium and high) and measure the intensity of the contribution the knowledge economy to economic performance. This analysis allows us to identify the areas and products are potential targets and in which investment could have the biggest impact.

To conduct our analysis, we selected a panel of two groups of countries, the first consisting of 22 industrialized countries; the second includes 29 developing countries over a period of ten years (2005-2015). Knowledge Economy Index (KEI) is:

$$KEI = \sum_{i=1}^{n} \sum_{j}^{m} w_{jt}^{i} I_{t/0}(X_j^i), \qquad m \geq n \quad (2)$$

We denote by:

- w_{jt}^{i} : the share of the participation of expenditure on (R & D) relative sector i in country j in year t,
- $I_{t/0}(X_j^i)$: Basic index of variable X,
- $X \in \{ F_{jt}^{i}, S_t^{id}, S_t^{ie}, , M_j^d, \mathrm{H_t^i} \}$,
- F_{jt}^{i} : is the total factor productivity in sector i, on the j country during the period t,
- S_{jt}^{id} : is the capital stock in domestic (R & D),
- S_{jt}^{ie} : is the capital stock of (R & D) foreign,
- $M^e = \sum_{j \neq k} M_j^{ie}$: is defined as the average stock of capital in domestic (R & D) business partners, weighted by the share of imports,
- m_{jk} : means imports of goods and services in the k country from the country and $m_{j.}$ total imports of j country , $m_{j.} = \sum_j m_{jk}$.

innovations in the form of improved products that stimulate the accumulation of knowledge and therefore long-term economic growth. The authors assume that the amount of intermediate goods is fixed and the innovation process only allows renewing property. In this sense innovation aims to improve the profitability of the property by substituting new to older who have held the same position during the production process.

Economic openness on his part, allows countries to access foreign technologies. In this context, international trade plays a crucial role in the growth momentum, to the extent that the exchange of ideas and intermediate goods allows the intensification of skilled labor and the exploitation of scale effects (Rivera-Batiz and Romer (1991)). Similarly, international contacts enable less developed countries to accelerate their development and catch up with their developed partners by two mechanisms; the process of learning induced by technological spillovers (Chang 1998)) and, in particular, imitation and exploitation of technologies developed by their partners (Grassman and Helpman (1991)).

2.1. Overview of the empirical literature

The work of Coe and Helpman (CH (1995)) was considered one of the first empirical studies that have attempted to verify the link between the stock of knowledge, knowledge spillovers and productivity. Their study was conducted on 22 industrialized countries for the period 1977-1990 in order to test the hypothesis that technology is transmitted between countries through trade flows. The idea is to evaluate the indirect benefits from imports of goods and services incorporating technological knowledge.

The estimation results showed that for large countries, it is the domestic (R & D) efforts that determine the level of total factor productivity. As for other countries, foreign (R & D) plays a much more important role than those of domestic origin. Indeed, Coe and Helpman (1995) also show that the effects of international technology spillovers on total factor productivity depend on the level of openness to trade the country which confirms the findings of theoretical models of endogenous growth.

Several other empirical studies have investigated the role of absorption and openness capacity in technology transfer mechanism. J.Eaton and Kortum (1999) argue that the source of new technologies is strictly non-domestic but foreign, they believe that even in the United States of America, which is on average the most productive economy, about 40% of the Productivity growth in 1988 was of foreign (R & D); From where the importance of trade openness. Cohen and Levinthal (1989) seek to explain the intensity of (R & D) firms and show that if a country wants to adopt foreign technology and benefit from technological externalities, it must first have in-house knowledge and adequate skills.

factors of production, so as to enable the national economy to withstand foreign competition and especially those based on low wages.

According to Coe & Helpman (1997, 2008), the success of a strategy of building the knowledge economy will depend on a number of conditions which require, among other things, a deepening of reforms to the pillars of economy, development of a modern infrastructure science and technology, skills development and intensification of scientific research, a favorable regulatory framework for economic and technological change and respect the rules of intellectual property. Meanwhile, the success of this strategy will require a gradual shift towards new forms of work and networking skills in spaces with modern facilities that promote innovation and excellence.

- The production system of knowledge that includes the sectors of education, higher education and scientific research;
- The distribution system of knowledge regarding the education sector and its various components, including virtual circuits which use modern information and communication technologies;
- The Knowledge renewal system which refers (R & D) structure;
- The system of appropriation of knowledge by economic agents in the public and private sectors, besides improving the penetration of knowledge in production sectors.

In this context, a Knowledge Economy Index (KEI) was developed to measure the penetration of knowledge at sectoral level; at the same time it allows to estimate the degree of ownership of knowledge through these areas. Furthermore, this index should allow classifying the production sectors according to their level of knowledge. Thus, three groups of sectors have been identified:

- A group who have a low knowledge level,
- A group who have an average knowledge level ,
- A group who have a high knowledge level

Based on this new approach to development, the proposed strategy is to restructure the economies of developing countries and towards activities that would be based on knowledge.

2. 2. ERECTION OF THE KNOWLEDGE ECONOMY AND ECONOMIC PERFORMANCE: AN EMPIRICAL ANALYSIS

In the model of Romer (1990), growth is driven by the increased number of inputs of production. The origin of this increase in inputs is the activity of (R & D), the innovation process is the fundamental factor of economic growth, and is considered endogenous because it results from the choice of agents. In fact, it is the monopoly power that encourages agents to innovate.

Depending on the model of Aghion and Hoowitt (1992) is the research to produce

INTRODUCTION

Knowledge and management skills have become the main sources of economic growth and wealth (V.de Gaulejac,1998) . With increasing globalization and increased competition internationally, they have become the determinants of competitiveness, both at enterprise level and at the level of the national economy.

Therefore, knowledge production and appropriation of skills as well as their distribution and penetration in all productive economic sectors, for the achievement of development goals, is a strategic axis having a progressive dimension involving several agents and stakeholders such as business, administration, research and training institutions, the financial system, support structures, and so on. According to data of international reports on human development, over half of GDP in OECD countries comes from intensive activities in knowledge and intangible inputs.

For developing countries, the factors that led them to adopt a development strategy based on the knowledge economy, it is important to note the slowing performance of traditional export-oriented sectors such as activities based on the processing of raw materials or those using low-skilled labor and relatively low cost as the textile and clothing sector. In addition, the new strategy also reflects a change in the structure of global demand which depends more services, including care services, leisure, and so on. Therefore, the development prospects in developing countries depend largely during the next step, the exports of high value-added services and high knowledge content, especially using human capital(J.Coleman,2001) . They should not be limited to consumer products or semi industrialized and processed products such as textiles and clothing and other products.

1. OBJECTIFSE AND CONDITIONS FOR THE EMERGENCE OF THE KNOWLEDGE ECONOMY

The knowledge economy is seen as a new form of economic growth, based on four pillars of knowledge that contribute to the development of activities that generate high added value: (1) Information (2) Science and Technology (3) the experience and technology transfer (4) and skills. The introduction of the knowledge economy aims to achieve two main objectives:

- - *First*, accelerate the pace of economic growth by adopting sustainable policies, particularly through a restructuring of the economy, improving the contribution of total factor productivity (TFP) growth, so as to expand investment opportunities in existing activities and move together towards new sectors with high added value;

- *Second*, give the national economy in general and economic business in particular high competitiveness and develop new comparative advantages based on the knowledge appropriation and use of technology, and improving productivity of

Erection of the Knowledge Economy: a strong development potential for industrialized countries and a perspective for developing countries

Dr. Bechir Musbah FRIDHI

Abstract

The paper provides a diagnosis of the fragile position of developing countries in the knowledge economy and proposes recommendations to enhance it. The paper opted for: to measure the intensity of the contribution of knowledge to the economic performance of developing countries, a Knowledge Economy Index (KEI) has been developed to classify industries according to the knowledge content (high, medium and low). We present a number of theoretical, making use of econometric techniques developed to justify the role of knowledge production and ownership of skills in the development of activities that generate high added value. We constated that : The Knowledge Economy Index (KEI) follows the following form:

$$KEI_{Developing\ Countries} = 0.43 * HK + 0.16 * (R\&D) + 0.43 * TFP$$

$$KEI_{Industrialized\ Countries} = 0.32 * HK + 0.30 * (R\&D) + 0.38 * TFP$$

The success of a strategy of building the knowledge economy will depend on a number of conditions which require, among other things, a deepening of reforms to the pillars of economy, development of a modern infrastructure science and technology, skills development and intensification of scientific research, a favorable regulatory framework for economic and technological change and respect the rules of intellectual property.

Kay words: *Knowledge Economy Index, saving know, innovation potential, economic performance, developing countries, industrialized countries.*

• Assistant Professor, College of Business Administration - Majmaah University - Saudi Arabia

bechir.fridhi@gmail.com